شرح الباقيات الصالحات

المسمى

إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبارات

في شرح

الكلمات الباقيات الصالحات

ويليه

أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم

تأليف

الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن معد بن عيسى التجيبي

ابن الأقليشي الأندلسي - المتوفى سنة (٥٥١هـ)

تحقيق

الدكتور محمد بن عزوز

دار ابن حزم

مركز التراث الثقافي المغربي

الدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهارس شرح الباقيات الصالحات

فهارس كتاب أنوار الآثار

أسـيـر الـخـطـايـا عـنـد بـابـك واقـف
عـلـى وجـل مـمـا بـه أنـت عـارف
يـخـاف ذنـوبـاً لـم يـغـب عـنـك غـيـبـهـا
ويـرجـوك فـيـهـا فـهـو راج وخـائـف
ومـن ذا الـذي يـرجـى سـواك ويـتـقـي
ومـا لـك فـي فـصـل الـقـضـاء مـخـالـف
فـيـا سـيـدي لا تـخـزنـي فـي صـحـيـفـتـي
إذا نـشـرت يـوم الـحـسـاب الـصـحـائـف
وكـن مـؤنـسـي فـي ظـلـمـة الـقـبـر عـنـدمـا
يـصـد ذوو ودي ويـجـفـو الـمـوالـف
لـئـن ضـاق عـنـي عـفـوك الـواسـع الـذي
أرجـي لإسـرافـي فـإنـي لـتـالـف

من شعر

الإمام أبي العباس ابن الأقليشي

قالوا في الإمام أبي العباس ابن الأُقْليشي ـ رحمه الله تعالى ـ

يقول تلميذه أحمد بن محمد بن سفيان:

كنا ندخل عليه فنجده جالساً والكتب قد أحاطت به يميناً وشمالاً، وكنا نحضر عنده للسماع عليه فكان القارىء يقرأ ويضع أبو العباس يده على وجهه ويبكي حتى يعجب الناس من بكائه.

الذيل والتكملة ـ السفر الأول ـ 545

وقال ابن عبدالملك المراكشي:

وكان مُفسِّراً للقرآن العظيم عالماً عاملاً، محدثاً راوية، عدلاً بليغاً فصيحاً شاعراً مُجوِّداً، أديباً، مُتصوفاً، صالحاً، فاضلاً، ورعاً غزير الدمعة، بادي الخشية والخشوع، كثير اللزوم لمطالعة كتب العلم، عاكفاً على التقييد.

الذيل والتكملة ـ السفر الأول ـ 545

وقال الحافظ السِّلَفي:

كان محمود الطريقة، فصيحاً، من أهل الأدب والورع والمعرفة بعلوم شتى، وله شعر جيّد ومؤلفات حسنة.

معجم السفر ص: 38

وقال الحافظ الذهبي:

وله تصانيف مُمتِعَة، وشعر وفضائل، ويد في اللغة.

سير أعلام النبلاء 358/20

وقال الحافظ السيوطي:

وكان عالماً بالحديث واللغة والعربية، عاقلاً متضلعاً من الأدب والورع والمعرفة بعلوم شتى، والزهد والإقبال على العبادة، والعروض عن الدنيا وأهلها.

بغية الوعاة 392/1

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله على تمام فضله وإكرامه، وعلى سابغ إحسانه وإنعامه، وهو الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وببركة عونه تتكامل الأعمال والحسنات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان فكانوا الصورة الصادقة عنهم، والكلمة الهادية الباقية منهم.

وبعد، فهذا كتاب رفيع فريد في بابه، أجاد فيه مؤلفه الإمام الحافظ أحمد بن مَعَدّ بن عيسى بن وكيل التجيبي - ابن الأُقْلِيشِي (ت **551** هـ) - أيّما إجادة، وشرح به حقائق الكلمات الباقيات الصالحات، وهي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله) وهي كلمات تفيد الإنسان في الدنيا أنوار الهداية، وفي الآخرة غاية السعادة، لذلك اختصَّها رسول الله ﷺ بأنها الباقيات الصالحات تنبيهاً على عِظم قدرها، وشرف خطرها، ومكنون سرِّها.

ولقد جاء شرحه لهذه الكلمات الباقيات الصالحات أحسن شرح، فذكر الفوائد العظيمة التي انطوت عليها هذه الكلمات وما تفيد من الأسرار الشريفة والأنوار اللطيفة إذا اجتمعت. كل ذلك بأسلوب سهل جزل، وملأ فراغاً لم يقم بملئه سواه، ولا ينهض للقيام به إلا الأئمة الأفذاذ الموهوبون أمثال ابن الأُقليشي - رحمه الله تعالى -.

فهو كتاب في الذروة من العلم والبحث، على مستوى الأئمة الكبار من المحدثين والمفسرين واللغويين.. ومن أجل هذا تعلقت به نفسي وأحببت خدمته والعناية به، وإخراجه للناس في حُلّة بهيّة تلاقي مقام الكتاب ومؤلفه، وتُحلُّه المنزلة اللائقة به من نفوس أهل العلم.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب النفيس على نسخة توجد بالخزانة العامة بالرباط - رقم: **1737**د - في مجلد يحتوي على ثلاثة أجزاء، صفحاته: **196**، مسطرته **17**، مقياسه **140/195**.

كمل نسخ كراسين من الجزء الأول بخط مغربي جيّد على يد قاسم

المغربي. وكمل نسخ الباقي منه. وكذا الجزء الثاني والثالث بخط مشرقي جيد على يد محمد بن محمد بن أحمد بن أبي عمر ابن الموحد المراكشي أصلاً الإسكندري مولداً.

وقد نقل ذلك من نسخة كتبت في العشر الأواسط من ربيع الآخر سنة **711** هـ على يد محمد بن محمد بن عتيق بن كريم بن عبدالله بن يحيى الفهري.

وهي نسخة جيدة ومتقنة، خالية من الأخطاء والأغلاط، سالمة من الأسقاط، وقد بقيت ـ ولله الحمد ـ محفوظة من التلف والضياع، ببركة الكلمات الباقيات الصالحات.

وقد ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة في كشف الظنون **218/1** ووهم في تسميته فقال: (الباقيات الصالحات ببروز الأمهات). وذكره الحافظ السيوطي في بغية الوعاة وسماه: (شرح الباقيات الصالحات).

ولم يذكره بروكلمان، وكذلك أغفله أصحاب فهارس الكتب.

وقد كان إخراج هذا الكتاب والعناية به أُمنية غالية في نفسي.

فالحمد لله الذي يسَّر وأعان ومدَّ في العمر إلى هذا الأوان، فله الفضل دائباً، وله الشكر واجباً، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات.

«اللَّهم اجعلنَا مِمَّن ابتَهَجَ جنَانِه بِتَعظِيمِك ولَهَجَ لِسَانُه بِتكبيرِك، وعَلِمَ أَن لَيْس في الوُجُودِ سِوَاكَ كَبير، وأنك المنفَرِدُ بالتَّدبِيرِ والتَّقدِيرِ، وأن الحولَ والقوةَ لكَ وَحْدَك، فإن كُلَّ خَيْرٍ فَإنما يُوجد عِندَك، وأن الأمورَ عن حُكمِكَ صَدَرَت، وبِأمرِكَ تَقَدَّرَت، وَعَلَى وِفْقِ إرادَتِكَ تَقَدَّمَت وتَأَخَّرت...

نَسأَلُك أَن تُمكِّنَنَا فِي مَقَامِ اليَقِينِ أعظَمَ تَمْكِين، وَأَن لاَ تُشْغِل قُلوبَنَا بِمحبَّةِ المالِ والبَنِين، فَإِنَ ذلكَ مِن زِينَةِ الحيَاةِ الدُّنيَا، وأن تُشغِل قُلُوبَنَا مُدَّة المَحْيَا بِاقتِنَاءِ البَاقِيَات الصَّالِحَات، التِي هِي خَيرُ ثَوَاباً وخير أملاً..»[1].

وكتبه: محمد بن عزوز

من مدينة السلا

٢٠ من شهر رمضان المعظم ١٤٢٣هـ

(1) من أدعية ابن الأُقليشي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ترجمة المؤلف

1 ـ اسمه ونسبه وكنيته:

هو أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل التُّجيبي، أبو العباس الأقليشي ـ الداني.

وقال ابن عبدالملك: (الأُقْلِيجي) بضم الهمزة وسكون القاف وكسر اللاّم وياء مد وجيم معقودة، تكتب بالجيم تارةً، وبالشين المعجمة أخرى منسوباً، أهله منها[1].

والأقليشي: نسبة إلى أُقْلِيش، وهي بلدة من أعمال طليطلة بالأندلس[2]، وقيل: إنها مدينة بالأندلس من أعمال (شنت مرية).

2 ـ ولادتـه:

انتقل والده إلى دانية، وهي مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية[3] على ضفة البحر شرقاً. وفي هذه المدينة ولد أبو العباس ابن الأُقْلِيشي سنة 478هـ.

(1) الذيل والتكملة ـ السفر الأول ـ 543.

(2) معجم البلدان (أقليش).

(3) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب.. (معجم البلدان: بلنسية).

لا نعلم شيئاً عن مراحل حياة ابن الأقليشي الأولى، التي لا تخلو أن تكون جارية على ما كان مألوفاً عند أهل الأندلس من تعلم القرآن والخط، ومبادىء العلوم الأساسية.

ويظهر أنه ينتسب إلى أسرة علمية، فقد ذكر ابن عبدالملك أن ابن الأقليشي أخذ العلم عن والده.

3 ـ شيوخ ابن الأُقليشي:

تلقى ابن الأقليشي العلم عن كبار العلماء منهم: حفاظ الحديث، وعلماء التفسير، واللغة، والفقه والأصول في القرن الخامس الهجري الذي كان من أزهى العصورالإسلامية، وإليك تراجم مختصرة لأبرز شيوخه:

1 ـ طاهر بن مُفَوز بن أحمد بن مفوز المعافري (ت 484هـ)[1]:

من أهل شاطبة، يكنى أبا الحسن، ولد سنة **427**هـ.

روى عن أبي عمر بن عبدالبر الحافظ، وأكثر عنه، واختصَّ به، وهو أثبت الناس فيه، وسمع من أبي العباس العُذري، وأبي الوليد الباجي، وأبي شاكر الخطيب، وأبي الفتح السمرقندي، وأبي بكر ابن صاحب الأحباس، وسمع بقرطبة من أبي القاسم حاتم بن محمد، وأبي مروان بن حيان وغيرهما.

وكان من أهل العلم مقدماً في المعرفة والفهم، عُني بالحديث العناية الكاملة، وشهر بحفظه وإتقانه، وكان منسوباً إلى فهمه ومعرفته، وكان حسن الخط، جيد الضبط مع الفضل والصلاح والورع والانقباض والتواضع والزهد، وله شعر حسن منه قوله:

عُدة الدين عندنا كلمات   أربع من كلام خير البريه
اتقِ الشبهات وازهد ودع ما   ليس يعنيك واعملَنَّ بُنَيَّه

توفي رحمه الله يوم الأحد 4 شعبان سنة **484**هـ.

---

(1) الصلة لابن بشكوال **1/235 ـ 236**.

2 ـ أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني، ويعرف أيضاً بالجياني (ت 498هـ)[1]:

محدث الأندلس، ورئيس المحدثين بقرطبة.

أصله من مدينة الزهراء، وقد انتقل أبوه منها إلى قرطبة، واستوطنها وكان أبوه قد نزل جيان، ولم يكن أصلهم منها، لذلك نراه لا يحب أن يدعى الجياني، فقد سُمع يقول: (لا حلل الله من دعاني الجياني).

مولده في المحرم سنة 427هـ.

أخذ عن عمر بن عبدالبر القرطبي، وابن عتاب، والقاضي سراج بن عبدالله، وغيرهم.

كان الغساني من الحفاظ الجهابذة، ومن كبار المسندين، قد عني بالحديث وكتبه وضبطه وروايته، ساعده على ذلك خطه الحسن الجيد، وبصره باللغة والإعراب، ومعرفته بالغريب والشعر والأنساب. وفي ذلك يقول القاضي عياض في كتابه (الإلماع) وهو يتكلم عن التقييد والضبط: (وكان إمام وقتنا في بلادنا في هذا الشأن الحافظ أبو علي الجياني شيخنا رحمه الله، من أتقن الناس بالكتب وأضبطهم لها، وأقومهم لحروفها، وأفرسهم ببيان مشكل أسانيدها ومتونها، وقد أعانه على ذلك ما كان عنده من الأدب وإتقانه ما احتاج إليه من ذلك على شيخه الشيخ أبي مروان بن سراج اللغوي آخر أئمة هذا الشأن، وصحبته للحافظ أبي عمر بن عبدالبر آخر أئمة الأندلس في الحديث، وأخذه منه وتقييده عليه، وكثرة مطالعته، وناهيك من إتقانه كتابه الذي ألفه على مشكل رجال الصحيحين)[2].

وقد ذكره الشيخ أبو الحسن بن مغيث فقال: (وكان أكمل من رأيت علماً بالحديث، ومعرفة بطرقه، وحفظاً لرجاله، عانى كتب اللغة وأكثر من رواية الأشعار، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمع أحد أدركناه، وصحح

---

(1) الغنية: 87، والصلة 141/1.

(2) الإلماع: 292 ـ 293.

من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ، كتبه حجة بالغة، جمع كتاباً في رجال الصحيحين سماه: (تقييد المهمل وتمييز المشكل) وهو كتاب حسن مفيد أخذه الناس عنه)[1].

وكلام القاضي عياض وابن مغيث يدلنا على مكانة الغساني في الحفظ وكثرة الرواية والضبط، الأمر الذي جعله أهلاً لتصحيح المصنفات، فهو قد برع في اللغة وآدابها مع بصره بالحديث.

هذه المؤهلات جعلت أبا علي الغساني صدراً بقرطبة، وقد جلس بمسجدها يدرس العلم فانهال عليه طلابه من كل فج، فكان يحبهم ويقابلهم بالترحاب، وينشد إذا رأى أصحاب الحديث[2]:

أهلاً وسهلاً بالذين أحبهم وأودهم في الله ذي الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوي تقى غرّ الوجوه وزين كل ملاء
يا طالبي علم النبي محمد ما أنتم وسواكم بسواء

توفي ليلة الجمعة 12 شعبان سنة 498هـ.

3 ـ أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفي (ت 514هـ):

من أهل سرقسطة من قرية تعرف: «بمنزلة محمود» بالثغر الأعلى من سرقسطة، ولد سنة 454هـ.

سمع بسرقسطة من أعلامها، مثل سليمان بن خلف الباجي وطبقته وقرأ بها القرآن، ثم رحل وسمع بالمرية ثم ببلنسية من أكابر مشايخ الأندلس في عصره.

ثم رحل إلى المشرق سنة 481هـ، ولقي بمكة أبا بكر الطرطوشي وغيره. ودخل بغداد عام 482هـ، وطاب له بها المقام، ووجد العلم وأهله،

(1) الصلة 142/1.

(2) الغنية: 87 ـ 88.

فمكث بها خمس سنوات كاملة، وسمع بها من خلائق يتعذر حصرهم من أشهرهم المبارك بن عبدالجبار الصيرفي، ومسند بغداد في وقته أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون.

ثم قصد دمشق وسمع بها ثم رحل إلى مصر ولقي بها كبار المشايخ من العلماء والمحدثين وأجازوه، ومنهم مسند مصر في وقته أبو إسحاق الحبال.

ولما عاد من رحلته استوطن المرية، وجعل يسمع الحديث بمسجدها، ورحل الناس من البلدان إليه.

قال ابن عساكر يصف مقامه: (وبعد أن استقرت به النوى، واستمرت إفادته بما قيّد وروى. رفعته ملوك أوانه، وشفعته في مطالب إخوانه فأوسعته رعياً، وحسنت فيه رأياً، ومن أبنائهم من كان يقصده لسماع مسنده)[1].

وقال ابن بشكوال: (كان حافظاً لمصنفات الحديث، قائماً عليها حافظاً لمتونها وأسانيدها ورواتها.. وهو أجل شيوخنا ممن كتب إلينا ولم ألقه)[2].

قال القاضي عياض: (قال أبو علي الصدفي لبعض الفقهاء: خذ الصحيح فاذكرْ أيّ متن أردتَ أذكرْ لك سنده، أو أي سند أردت أذكر لك متنه)[3].

ومكانة الصدفي هي التي دفعت تلميذه القاضي عياض ليفرد لشيوخه معجماً، ودفعت ابن الأبار ليفرد لتلاميذه وأصحابه معجماً فريداً أسماه: (المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي).

توفي ـ رحمه الله ـ عام **514**هـ.

---

(1) أزهار الرياض **153/3**.

(2) الصلة **144/1**.

(3) الديباج المذهب: **105**.

4 ـ أبو عمران موسى بن عبدالرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد الشاطبي (ت 517هـ):

روى عن أبي عمر بن عبدالبر كثيراً، وكان فقيهاً كبيراً مفتياً ببلده، حيث خدم المذهب المالكي، ودعمه بفتاويه ودروسه.

حدث عنه جماعة من أصحاب المذهب المالكي، ورحلوا إليه من كل مكان من المغرب، واستفادوا منه.

قال ابن بشكوال: (وكان فقيهاً مفتياً في بلده، أديباً، شاعراً، ديناً فاضلاً)، وأنشد له قوله[1]:

حَالي مَعَ الدَّهر في تقلُّبِهِ كَطَائرٍ ضَمَّ رِجلَه شَرَكُ
هِمَّتُه في فكاك مهجته يَرومُ تخليصها فتَشتَبِكُ

قال عنه الإمام الذهبي: (الشيخ الصدوق، مكثر عن أبي عمر بن عبدالبر، وسماعُه بخطوط الثقات، أثنى عليه ابنُ الدباغ. وقال: سمع كتاب «الاستذكار» وروى عنه أبو عبدالله بن زرقون، وطائفة)[2].

توفي سنة 517هـ، وكان جده أبو تليد ممن رحل وسمع من النسائي.

5 ـ أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الجذامي (ت 520هـ):

من أهل قرطبة، ولد سنة (433هـ) في بيت علم ودين، وقد كان أبوه الحافظ محمد بن عتاب محط رحال طلاب الفقه والحديث في قرطبة.

نشأ عبدالرحمن في كنف والده، وأخذ عنه أكثر ما عنده، ساعده على ذلك أنه كان الممسك لكتاب أبيه للقارئين عليه فكثر حفظه وروايته، وسمع من أبيه كثيراً، كما أجازه جماعة من مقدمي الشيوخ منهم القاضي أبو عبدالله بن سماح الغافقي، وأبو عمر بن عبدالبر النمري وغيرهم.

---

(1) الصلة 610/2.

(2) سير أعلام النبلاء 516/19.

تبوَّأ ابن عتاب مكان أبيه في قرطبة في الإسناد والفتيا، قال عنه ابن بشكوال: (كان من أهل الفضل والعلم والتواضع، وقد كتب بخطه علماً كثيراً في غير ما نوع من أنواع العلم، وقد جمع كتاباً حفيلاً في الرقائق والزهد سماه: (شفاء الصدور)، وهو كتاب كبير إلى غير ذلك من أوضاعه، وكان صدراً لمن يستفتي لسنه وتقدمه، وهو آخر الشيوخ الجلة الأكابر في علو السند وسعة الرواية)[1].

ويقول الضبي في (بغية الملتمس): (أبو محمد فقيه عارف محدث مكثر رحمه الله، في الرواية).

توفي رحمه الله، يوم السبت **5** جمادى الأولى سنة **520**هـ.

6 ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيّد البطليوسي (ت 521هـ)[2]:

ولد ونشأ بمدينة بطليَوس، فنسب إليها، وصار يعرف بالبطليوسي وأصل أسرته من (شِلْب) بغرب الأندلس من أسرة مشهورة، وكان ذلك سنة (**444**هـ).

لا نعرف الكثير عن مراحل حياة ابن السيّد الأولى، ولكنه ـ كما يظهر من أسماء شيوخه ومن مؤلفاته، وقرائن أخرى ـ بقي في بطليوس إلى أن حصل علومه، وبلغ منزلة مشهورة بين أقرانه، وقد أخذ علومه عن أخيه علي بن محمد، وعن أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، وعن أبي سعيد الورّاق، وأبي علي الغساني وغيرهم.

خدم عند بعض ملوك الطوائف ومدح بعضاً منهم، وأبرز من نعرف له بهم اتصالات: بنو رزين أصحاب السّهلة (شَنْتَمَريّة) الشرق، وبنو ذي النُّون أصحاب طليطلة، وبنو هود، أصحاب سرقسطة، وبنو الأفطس أصحاب بطليوس.

---

(1) رقم: **986**.

(2) الصلة لابن بشكوال **282/1**، قلائد العقيان لابن خاقان: **192**، المطرب لابن دحية: **225**.

سمحت له مراكزه هذه في الرياسة، والوزارة والكتابة أن تكثر صداقاته مع المشهورين من رجال عصره في السياسة، وفي الآداب والعلوم.

وكان لابن السيّد تلامذة تلقوا عنه، ومالوا إلى مناصرته والالتفاف حوله، ونشروا كتبه في حياته وبعد وفاته.

وقد نفض ابن السيّد يده من مشاغل السياسة بعد سقوط دول الطوائف وأقبل بكل جهوده إلى التعليم والتأليف والرواية، وبقي على حاله مشهوراً، مقدّماً إلى وفاته سنة **521**هـ، وكان استقراره في المدة الأخيرة من حياته في مدينة بلنسية، في شرق الأندلس.

7 ـ أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، أبو العباس ابن العريف (ت 536هـ)[1]:

ولد سنة (**481**هـ).

صحب أبا علي بن سكرة الصدفي، وأبا الحسن البرجي، ومحمد بن الحسن اللَّمغاني وأبا الحسن بن شفيع المقرىء، وخلف بن محمد العُريبي، وعبدالقادر بن محمد الصدفي وأبا خالد المعتصم، وأبا بكر بن الفصيح.

واختصَّ بصحبة أبي بكر عبدالباقي بن محمد بن بُريال، ومحمد بن يحيى بن الفراء، وبأبي عمر أحمد بن مروان بن اليُمْنَالش الزاهد.

وقال ابن بشكوال: (كانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات، وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملتها، وقد استجاز مني تأليفي هذا، وكتبه عني، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، ولم ألقه، وكاتبني مرات، وكان متناهياً في الفضل والدين، منقطعاً إلى الخير، وكان العباد والزهاد يقصدونه، ويألفونه، ويحمدون صحبته، وسُعي به إلى السلطان، فأمر بإشخاصه إلى حضرته بمراكش فوصلها وتوفي بها.

وكان الناس قد ازدحموا عليه يسمعون كلامه ومواعظه، فخاف ابن

---

(1) الصلة **81/1**، بغية الملتمس: **166**، معجم ابن الأبار: **15**، نفح الطيب **229/3**.

تاشفين سلطان الوقت من ظهوره، وظن أنه من أنموذج ابن تومرت فيقال: إنه قتله سراً، فسقاه، والله أعلم[1].

وقد قرأ بالروايات على اثنين من بقايا أصحاب أبي عمرو الداني، ولبس الخرقة[2] من أبي بكر عبدالباقي المذكور آخر أصحاب أبي عمر الطلمنكي وفاة.

قال ابن مسدي: (ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد، وشَرِقت به جماعة الحساد، حتى لسعوا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتمال القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه، فغُرب إلى مراكش، فيقال: إنه سُمَّ، وتوفي شهيداً، وكان لما احتمل إلى مراكش استوحش، فغرق في البحر جميع مؤلفاته فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه، روى عنه أبو بكر بن الرزق الحافظ، وأبو محمد بن ذي النون، وأبو العباس الأندرشي)[3]. توفي بمراكش ليلة الجمعة **23** رمضان سنة **536**هـ.

8 ـ أحمد بن محمد بن عمر التميمي ـ يعرف بابن ورد (ت 540هـ):

ترجم له ابن بشكوال فقال: (كان فقيهاً حافظاً، عالماً متفنناً، أخذ العلم عن أبي علي الغساني، وأبي محمد بن العسّال وغيرهما، وناظر عند الفقيهين أبوي الوليد بن رشد وابن العوَّاد وشُهر بالعلم والحفظ والإتقان والتفنن في العلوم.

أخذ الناس عنه، واستقضي بغير موضع من المدن الكبار، وكتب إلينا بمولده مع إجازة ما رواه عن شيوخه بخطه)[4].

---

(1) سير أعلام النبلاء **113/20**.

(2) قال القاشاني في كتابه (اصطلاحات الصوفية): **159**: (خرقة التصوف: هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور، منها التزيي بزي المراد ليتلبس باطنه بصفاته، كما تلبس ظاهره بلباسه. ومنها وصول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة...).

(3) الصلة **81/1**.

(4) الصلة **177/1**.

9 ـ أبو محمد عبدالحق بن أبي بكر غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي (ت 541هـ):

من أهل غرناطة، ولد سنة **481**هـ، ينتمي إلى بيت فضل وعلم[1].

لا نعلم شيئاً عن نشأته العلمية الأولى، التي لا تخلو أن تكون جارية على ما كان مألوفاً من تعلم القرآن والخط وتلقي مبادىء العلوم الإسلامية.

ولما بلغ طور الطلب، أخذ في مجالسة الشيوخ والاتصال بهم وملاقاتهم أينما وجدوا في أعظم مدن الأندلس.

وقد كان أبوه غالب حريصاً على طلب الإجازة له من الكثير من العلماء، فاستجاز له أبا جعفر أحمد بن خلف بن عبدالملك المعروف بابن القليعي فأجازه وأرسل ابن عطية العديد من العلماء لاستجازتهم، فكتب إلى أبي المطرف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي الذي بعث له بالإجازة من مدينة مالقة، وكتب أيضاً إلى أبي علي الحسين بن محمد فيره الصدفي السرقسطي طالباً منه الإجازة فأجازه.

ولي خطة القضاء بمدينة المرية سنة **529**هـ.

وكان عبدالحق بن عطية من المجاهدين: فقد نهض إلى غزوة طلبيرة سنة **503**هـ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين.

قال في حقه صاحب قلائد العقيان[2]: (نبعة من دوح العلاء، ومحرز ملابس الثناء، فذّ الجلالة، وواحد العصر والأصالة، وقار كما رسا الهضب، وأدب كما اطّرد السلسل العذب... آثاره في كل معرفة، عَلَم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار).

وقال ابن بشكوال: (وكان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم).

---

(1) بغية الملتمس: **376**، بغية الوعاة: **295**، الصلة **176/1**.

(2) ص: **239**.

10 ـ أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد ابن العربي المعافري (ت 543هـ)(1):

الإشبيلي موطناً، المالكي مذهباً.

أبوه فقيه من رؤساء إشبيلية، ولد أبو بكر بن العربي سنة **468**هـ ونشأ في بيت أبيه وتأدب وأخذ القرآن والقراءات.

رحل إلى المشرق مع والده سنة **485**هـ، وقدم الشام، وقصد أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده، وقد لقي بالشام كثيراً من العلماء وأهل الحديث.

ورحل إلى بغداد وسمع بها من أبي الحسين المبارك بن عبدالجبار الصيرفي، كما سمع من غيره من الشيوخ، ثم رحل للحج في **489**هـ، ولقي كثيراً من العلماء في موسم الحج، ثم عاد إلى بغداد مواصلاً أخذه من الشيوخ، فأخذ عن الأئمة وعلى رأسهم حجة الإسلام الغزالي، وقيد الحديث واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة العلم في بغداد.

ودخل مصر وأقام بالإسكندرية عند شيخه الطوسي وكتب عنه ورجع إلى الأندلس، وقدم بلده إشبيلية بعلم غزير لم يرجع به أحد غيره ممن كانت لهم الرحلة إلى المشرق.

كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم، مع براعة فائقة في الحديث والفقه، ثاقب الذهن، حاضر البديهة، حريصاً على نشر العلم وأدائه. حكى ابن الزبير في صلته أن القاضي ابن العربي كان في مقامه في إشبيلية ملتزماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أصيب من جراء ذلك بذهاب كتبه وماله، فاحتمل ذلك وأحسن الصبر.

وأخذ العلم عنه الكثير منهم القاضي عياض، وابن الأقليشي وغيرهم من علماء القرن الخامس الهجري.

---

(1) أزهار الرياض 66/3، الصلة 558/2.

توفي ابن العربي في ربيع الأول سنة **543هـ** بالقرب من مدينة فاس، وحمل إليها ودفن بها خارج باب المحروق.

11 ـ يوسف بن عبدالعزيز بن الدباغ (ت 546هـ)[1]:

نزيل مرسية، ولد سنة (**481هـ**).

أكثر عن أبي علي الصدفي ولازمه، وسمع الموطأ من أحمد بن محمد الخولاني وأخذ أيضاً عن أبي محمد بن عتاب، وطائفة.

وجمع وصنف، روى عنه ابن بشكوال، وأبو عبدالملك مروان بن عبدالعزيز الوزير، وأحمد بن أبي المطرف البلنسي، وأحمد بن سلمة اللورقي، ومحمد بن علي بن هذيل، وآخرون.

يقول الذهبي: (رأيت برنامجه، وقد سمع كتباً كباراً، وله تأليف صغير في تسمية الحفاظ)[2].

قال ابن بشكوال: (كان من أنبل أصحابنا، وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم وأعمارهم وآثارهم، ومن أهل العناية الكاملة بتقييد العلم، وشوور في الأحكام ببلده، ثم خطب به وقتاً)[3].

قال ابن الزبير: (هو أحد الأئمة المهرة المتقنين، ومن جهابذة النقاد، اعتمده الناس فيما قيده، وكان سمحاً مؤثراً على قلة ذات يده، نزِه النفس، ولي خطابة مرسية، ثم قضاء دانية)[4].

قال الحافظ الذهبي: (الإمام الحافظ المتقن الأوحد)[5].

---

(1) الصلة **286/2**، بغية الملتمس: **491**، تذكرة الحفاظ **1310/4**.
(2) سير أعلام النبلاء **220/20**.
(3) الصلة **286/2**.
(4) تذكرة الحفاظ **1310/4**.
(5) سير أعلام النبلاء **220/20**.

12 ـ أبو الفتح عبدالملك بن أبي القاسم عبدالله بن أبي سهل بن القاسم بن أبي منصور بن رماح الكَرُوخي الهروي (ت 548هـ):

ولد بهراة في ربيع الأول سنة **462**هـ.

وكَرُوخ: على يوم من هراة.

حدّث بجامع الإمام الترمذي، وأحمد بن عبدالصمد الغورجي، وعبدالعزيز بن محمد أبي نصر الترياقي سوى الجزء الآخر فليس عند الترياقي، فسمعه من أبي المظفر عبيدالله بن علي الدهان بسماعهم من الجراحي.

وسمع من أبي إسماعيل الأنصاري، ومحمد بن علي العُميري وحكيم بن أحمد الإسفراييني وعدة.

حدث عنه خلق كثير منهم: السمعاني وابن عساكر، وابن الأقليشي، وابن الجوزي، وخطيب دمشق عبدالملك بن ياسين الدولعي، وأبو أحمد بن سكينة، وأبو اليمن الكندي وغيرهم(1).

قال السمعاني: (هو شيخ صالح ديّن خيِّر، حسن السيرة، صدوق ثقة، قرأت عليه جامع الترمذي، وقرىء عليه عدة نُوب ببغداد، وكتب به نسخة بخطه، ووقفها. ووجدوا سماعه في أصول المؤتمن الساجي، وأبي محمد بن السمرقندي، وكنت أقرأ عليه، فمرض، فنفذ له بعض السامعين شيئاً من الذهب، فما قبله، وقال: بعد السبعين واقتراب الأجل آخذ على حديث رسول الله ﷺ شيئاً؟ ورده مع الاحتياج إليه، ثم جاور بمكة حتى توفي، وكان ينسخ كتاب أبي عيسى بالأجرة ويتقوت)(2).

توفي بمكة في **25** من ذي الحجة عام (**548**هـ).

---

(1) الأنساب **409/10**، المنتظم **154/10**، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار **81/1**، تذكرة الحفاظ **1313/4**.

(2) الأنساب للسمعاني **409/10**، وانظر أيضاً فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم عُبيد بن محمد الإسْعِردي، ص: **49 ـ 50**.

13 ـ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي (ت 576هـ):

يُعرف بسِلَفَة، ثم كتب بعد أن سكن الإسكندرية: السِّلَفِي. وينسب أيضاً إلى أصبهان فيقال في نسبته الأصبهاني.

ولد سنة **475هـ**، في بيت علم. فقد كان أبوه من أهل العلم عدّه ابن كثير في أعيان زمانه فقال: وكان شيخاً عفيفاً ثقة(1).

سمع كثيراً من مسند أصبهان الرئيس أبي عبدالله القاسم بن الفضل الثقفي، وخلق كثير عمل لهم (معجم أصبهان).

وقد تصدر للإقراء وهو في السنة السابعة عشر من عمره **(492هـ)** ولكن حب العلم وكعادة المحدثين في الارتحال طلباً للحديث وغيره من العلوم دفعه إلى الرحلة وله أقل من عشرين سنة، فدخل بغداد وقرأ على عدد كبير من شيوخها وعمل لهم معجماً سماه: (السفينة البغدادية) في جزءين كبيرين.

وحج مع والده في سنة **497هـ**، والتقى هناك بأبي بكر محمد بن أبي المظفر السمعاني (ت **510هـ**) ولم يتهيأ لهما السماع على أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي (**497هـ**).

ثم توجه إلى أماكن كثيرة. قال الإمام الذهبي: (وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر)(2).

وخرج الأربعين البلدانية التي لم يسبق إلى تخريجها، وقَلّ أن يتهيأ ذلك إلا لحافظ عرف باتساع الرحلة.

وفي عام **509هـ**، دخل دمشق وقطنها سنتين يكتب العلم مقيماً بالخانقاه.

---

(1) البداية والنهاية **165/12**.

(2) السير **16/21**.

وفي سنة **511**هـ ركب البحر من صور إلى الإسكندرية. قال الذهبي: (ولما دخل الإسكندرية، رآه كبراؤها وفضلاؤها، فاستحسنوا علمه وأخلاقه وآدابه، فأكرموه وخدموه، حتى لَزِموه عندهم بالإحسان)[1].

وذكر ابن عساكر في ترجمته له: أنه تزوج بها امرأة ذات يسار وحصلت له ثروة بعد فقر وتصوف وصارت له بالإسكندرية وجاهة، وبنى له أبو منصور علي بن إسحاق بن السلار الملقب بالعادل أمير مصر (**546**هـ) مدرسة ووقف عليها)[2].

وعندما قدم ابن الأقليشي الإسكندرية أخذ العلم عن الحافظ السلفي.

جاء في (معجم السفر) عند [ترجمة ابن الأقليشي]: [... قدم علينا الإسكندرية سنة **546**هـ وقرأ علي كثيراً وكتب عني فوائد وتوجه إلى الحجاز][3].

4 ـ رحلة ابن الأقليشي إلى المشرق:

رحل إلى المشرق سنة **542**هـ، وأدى الفريضة، وجاور بمكة سنين، وسمع بها من أبي الفتح الكروخي (جامع الترمذي) برباط أم الخليفة العباسي سنة سبع وأربعين.

وقد جاء في ترجمته عند تقي الدين الفاسي في كتابه (العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) أنه سمع من الكروخي سنة **577**هـ، وهذا لا يتفق مع ما ذكره أصحاب التراجم، لأن ابن الأقليشي مات سنة **551**هـ.

والصواب أنه سمع منه سنة **547**هـ، كما قال ابن عبدالملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة[4]، والمقري في نفح الطيب[5].

(1) المصدر السابق **24/21**.
(2) تاريخ دمشق لابن عساكر **179/7** ـ **182**.
(3) معجم السفر: **38**.
(4) السفر الأول: **544**.
(5) ج **599/2**.

5 ـ تلامذته:

حدّث ابن الأقليشي بالأندلس والمشرق، فكثرت تلاميذه والآخذون عنه.

أ ـ من روى عنه بالأندلس:

ـ آباء بكر: أحمد بن جزي وبيبش، وعتيق بن علي اللاردي، وأبو عبدالله بن أحمد بن الصيقل، وأبو عمر يوسف بن عبدالله بن عياد.

ب ـ من روى عنه من أهل الأندلس بالمشرق:

أخذ عنه جماعة من أهل الأندلس الذين قدموا المشرق، منهم: أبو بكر أحمد بن محمد بن سفيان، وابناه جعفر وعبدالله، وآباء الحسن: ابن عبدالله بن فزارة وابن عتيق بن مؤمن وابن كوثر.

ج ـ من روى عنه من المشارقة:

روى عنه من أهل المشرق: حاتم بن سنان بن بشر الحبلي، وأبو حفص الميانشي، وأبو الفضل أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي الإسكندري وابن كاسيبويه[1].

6 ـ ثناء العلماء عليه:

أثنى على ابن الأقليشي كبار العلماء الحفاظ منهم:

ـ تلميذه أبو بكر أحمد بن محمد بن سفيان، فقال: (كنا ندخل عليه فنجده جالساً والكتب قد أحاطت به يميناً وشمالاً، وكنا نحضر عنده للسماع عليه فكان القارىء يقرأ ويضع أبو العباس يده على وجهه ويبكي حتى يعجب الناس من بكائه)[2].

وقال الحافظ السلفي: (وكان من أهل المعرفة باللغات والأنحاء

---

(1) الذيل والتكملة ـ السفر الأول: 544.

(2) الذيل والتكملة ـ السفر الأول: 545.

والعلوم الشرعية محمود الطريقة فصيحاً ومن أهل الأدب والورع والمعرفة بعلوم شتى)[1].

وقال ابن عبدالملك المراكشي: (وكان مفسراً للقرآن العظيم، عالماً، عاملاً محدثاً، راوية عدلاً، بليغاً، فصيحاً، شاعراً محموداً، أديباً متصوفاً، صالحاً، فاضلاً، ورعاً، غزير الدمعة، بادي الخشية والخشوع، كثير اللزوم لمطالعة كتب العلم، عاكفاً على التقييد. صنف في علوم القرآن والحديث. وله إنشاءات في سبل الخير والرقائق نظماً ونثراً يلوح فيها برهان صدقه)[2].

ويقول المقري: (وكان عالماً عاملاً، متصوفاً، شاعراً مجوداً، مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها، والإقبال على العلم والعبادة)[3].

وأثنى عليه الحافظ الذهبي فقال: (العلامة أبو العباس أحمد بن مَعَد... له تصانيف مُمتعة، وشعر وفضائل، ويد في اللغة)[4].

وقال الحافظ السيوطي: (وكان عالماً بالحديث واللغة والعربية، عاقلاً، متضلعاً من الأدب والورع والمعرفة بعلوم شتى، والزهد والإقبال على العبادة، والعروض عن الدنيا وأهلها)[5].

7 ـ كراماتـه:

قال ابن عبدالملك المراكشي: حدثني الشيخ أبو محمد حسن بن أبي الحسن بن القطان قال: أخبرني أبو عبدالله بن عبدالرحمن التجيبي قال: حدثني ابن كاسيبويه قال: (خرجت مع أبي العباس الأقليجي قاصداً النزهة في المنار وهو على بعد من البلد، وأخرجت معي طعاماً، وأُنسيت إخراج

(1) معجم السفر: 37.
(2) الذيل والتكملة ـ السفر الأول: 545.
(3) نفح الطيب 599/2.
(4) سير أعلام النبلاء 358/20.
(5) بغية الوعاة 392/1.

الماء، فلما صعدنا المنار ونزلنا للأكل تذكرت الماء ولا ماء في ذلك المكان فذكرت ذلك للأقليجي فقال لي: سر إلى تلك الزاوية وخذ الإناء الذي فيها، فقصدت إلى الموضع الذي أشار إليه فوجدت فيه قلة ماء)[1].

8 ـ تصانيفه:

من تصانيفه:

ـ (النجم من كلام سيد العرب والعجم) طبع بالقاهرة سنة **1302**هـ.

ـ (أنوار الآثار)، أربعون حديثاً في فضائل الصلاة على النبي ﷺ، وقد اعتنى به حسين محمد علي شكري ـ وطبع بدار المدينة المنورة، ط. الأولى **1417**هـ. (ذكره العلاّمة محمد عوامة، ضمن مراجع تحقيقه لكتاب «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي) ولم أقف عليه.

ـ (الكوكب الدري) ضاهى بها (الشهاب) لأبي عبدالله القضاعي.

ـ (الغرر من كلام سيد البشر).

ـ ضياء الأولياء، وهو في أسفار عدة.

ـ معشرات زهدية وفصول زهدية على حروف المعجم نظماً ونثراً على طريقة (ملقى السبيل) للمعري. وقد سمى منها في إجازته للقاضي أبي بكربيش نحو خمسة عشر تأليفاً.

ـ الدُّر المنظوم فيما يُزيل الهموم والغموم. (تحقيق أبي حذيفة إبراهيم بن محمد ـ طُبع بدار الصحابة ـ **1410**هـ وهو عبارة عن وصايا وآداب وحكم ووعظ وإرشاد. انظر: دكانة الكتب). ص**102** للدكتور محمد خير رمضان يوسف ـ ط دار ابن حزم.

ـ شرح الباقيات الصالحات، المسمى بـ (إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبارات في شرح الكلمات الباقيات الصالحات).

وهو موضوع عنايتنا ـ بعون الله تعالى وتوفيقه ـ.

---

(1) الذيل والتكملة ـ السفر الأول، 545.

9 ـ شعـره:

يقول الحافظ السلفي: (وله شعر جيد)[1].

وقال: ومن شعره: أنشدني أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي، وكتب لي بخطه:

كـان حـقِّـي ألا أذكـرَ غـيـري وأنـا مـا كُـفـيـتُ شـرِّي وضَـيْـري
غـيـر أنـي بـرحـمـة الله ربـي أَرتَـجـي أن يُـفـيـدَنـي كُـلَّ خـيـر

وأنشدني لنفسه:

تَـتَـحـدَّرُ الـعَـبَـراتُ مـن أحـداقِـه فـتـرى لـهـا فـي خـدِّه آثـارا
ولـربـمـا امـتـزَجَـت دمـاً مـن قـلـبِـه حتـى كـأَنَ الـدَّمْـعَ يـطـلـبُ ثـارا[2]

يقول ابن عبدالملك المراكشي: (ومن نظمه وافتتحه بصدر أول بيت من قطعة للحافظ أبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن الفرضي رحمه الله وهي هذه:

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجَل مما به أنت عارفُ
يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يُرجى سواك ويُتقى وما لك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصد ذَوُو وُدِّي ويجفو الموالف
لئن ضاق عنِّي عفوك الواسع الذي أرجّي لإسرافي فإني لتالف

وحدثني الحافظ الراوية أبو علي الحسن بن أبي الحسن الماقري رحمه الله قراءة مني عليه برباط أسفي حماه الله. قال: حدثني الفقيه أبو الحسن بن أحمد بن أبي قوة عن أبيه أنه سمع رجلاً ينشد هذه الأبيات

---

(1) معجم السفر: 38.

(2) المصدر نفسه: 38.

فأخبر بها أبا العباس الأقليشي الفاضل، وكان صاحبه فقارنه بقوله:

أسير الخطايا عند بابك واقف ... له عن طريق الحق قلب مخالف
قديماً عصى عمداً وجهلاً وغرة ... ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة ... فها هو في ليل الضلالة عاكف
ثلاثون عاماً قد تولت كأنها ... حلوم تقضت أو بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه ... إذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا ... وناداك من سِنِي الكهولة هاتف
تنقلت من أرض لأرض تعللاً ... وحالك فيما قد تقدم واقف
وهل ينفع الترحال بالجسم عارياً ... إذا لم يكن قلب لذاك موالف
أقمنا زماناً في بلنسية عسى ... تلاطف نفسي من إلٰهي لطائف
وصاحبني في الله أكرمُ صاحب ... حمول الأعباء المودة عارف
سميي صفيي نور عيني وخاطري ... أخ تالد لي في الإخاء وطارف
وها نحن إن شاء الإله بحكمة ... نعود من الأوطان والدمع ذارف
مخافة إن كنا عصينا إلٰهنا ... وقيل لنا ما قد فعلناه زائف
وإني لأرجو من إلٰهي وفضله ... رجاء فتى شابته منه معارف(1)

10 ـ وفاته:

جاور أبو العباس الأقليشي بمكة كرمها الله طويلاً ثم قفل إلى بلاد المغرب، فتوفي بقوص من صعيد مصر ودفن بها سنة (551هـ) عند الجميزة التي تلي سوق العرب هنالك. وقبره ثَمَّ مشهور يزار ويتبرك به قاله أبو الحسن بن عتيق بن مؤمن.

وقال أبو عمر أحمد بن هارون ابن عات: حدثت أنه توفي بمكة فقال عند موته في ذلك الموضع الشريف: هذا مرادي ومراد مرادي أن أموت في حرمه الأمين فأصبح بين العرش والكرسي. لبيك اللّهم لبيك.

---

(1) الذيل والتكملة ـ السفر الأول ـ 546 ـ 547.

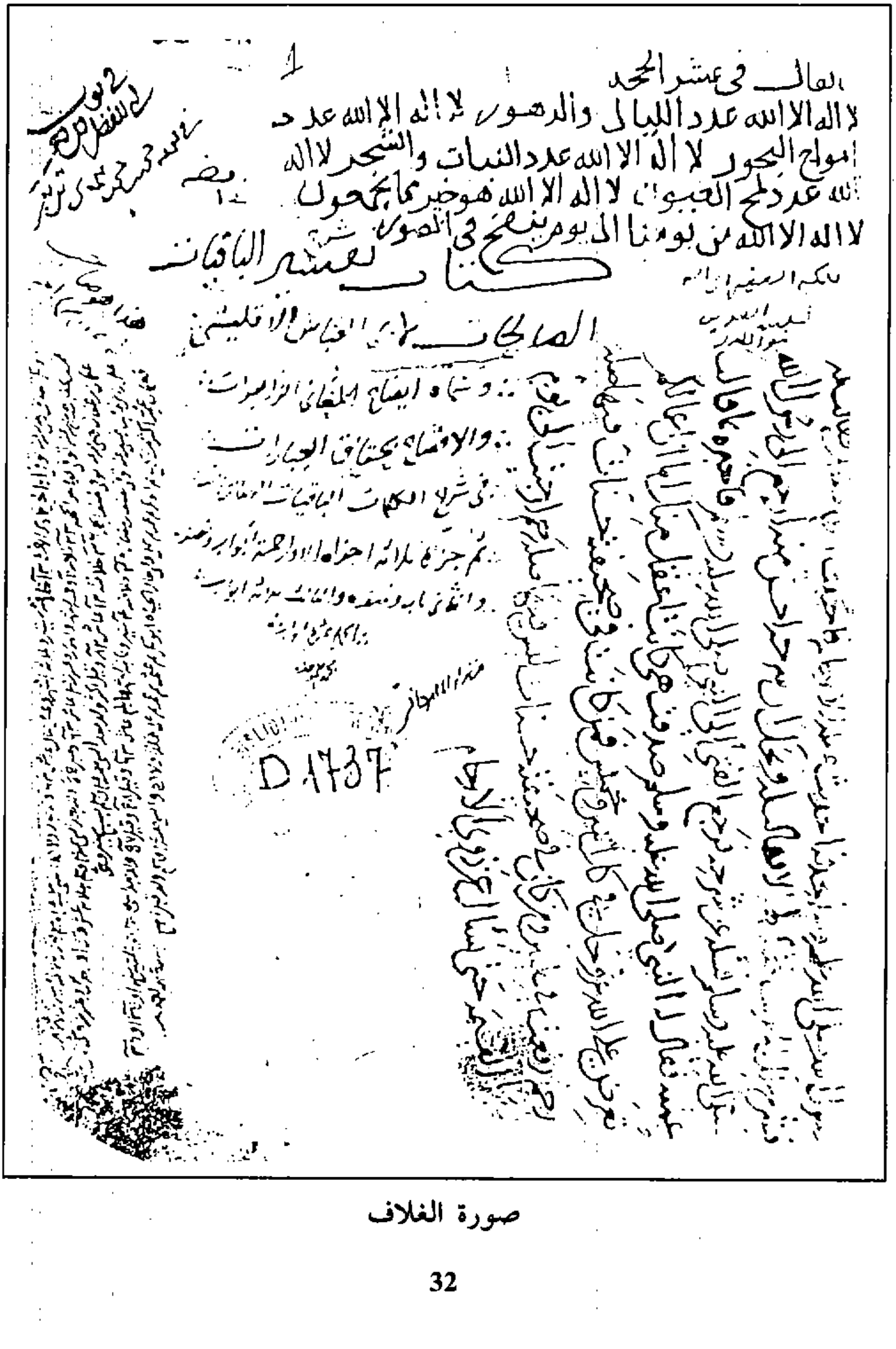
يقول ابن عبدالملك: (وأبو عمر بن عات ثقة ضابط شديد العناية بهذا الشأن غير أنه لم يذكر لنا من حدثه بذلك)[1].

ويقول التقي الفاسي: وما ذكره ابن الأبار من وفاته بقوص مخالف لما ذكره السلفي في معجم السفر فإنه قال: (توجه إلى الحجاز وبلغنا أنه توفي بمكة، وقد جزم بوفاته بمكة الحافظ منصور بن سليم الإسكندري ـ والله أعلم ـ)[2].

(1) المصدر نفسه: 550.

(2) العقد الثمين 117/3.

صورة النسخة المعتمدة في التحقيق

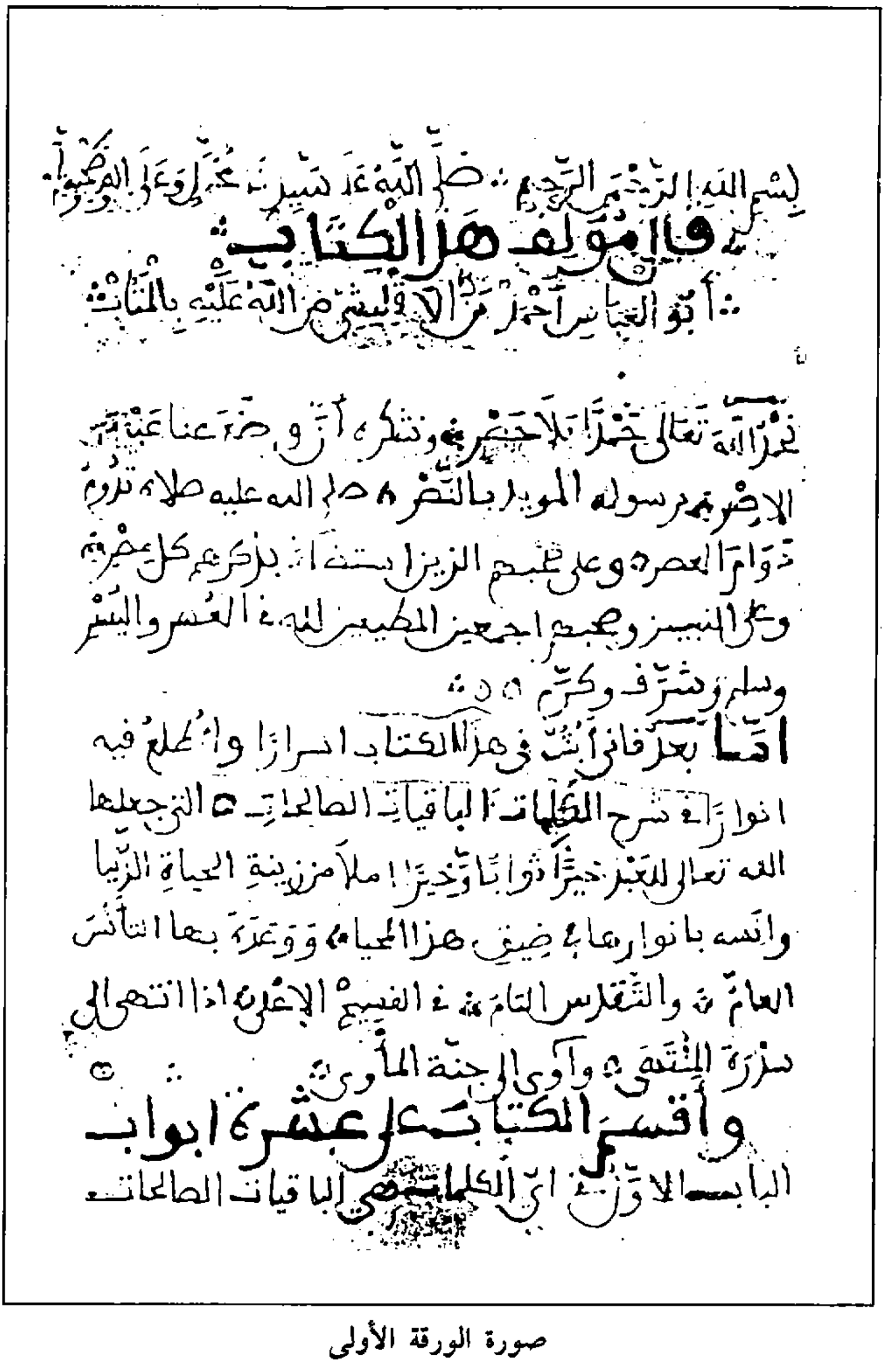


لا اله الا الله عدد الليالي والدهور لا اله الا الله عدد
امواج البحور لا اله الا الله عدد النبات والشجر لا اله الا
الله عدد لمح العيون لا اله الا الله هو خير مما يجمعون
لا اله الا الله من يومنا الى يوم ينفخ في الصور

كتاب تفسير الباقيات
الصالحات لابي العباس الاقليشي
وسماه ايضاح المغاني الزاهرات
والامتاع بحقائق العبارات
في شرح الكلمات الباقيات الصالحات

D 1737

صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال مؤلف هذا الكتاب

أبو العباس أحمد بن الاقليشي رحمة الله عليه [illegible]

نحمد الله تعالى حمدا بلا حد ونشكره أن وضع عنا عنت أهل
الأرض برسوله المؤيد بالنصر صلى الله عليه صلاة تدوم
دوام العصر وعلى صحبه الذين استضاءوا بذكرهم كل مصر
وعلى التابعين وصحبهم أجمعين الطيبين لهم في العسر واليسر
وسلم وشرف وكرم

أما بعد فإني أثبت في هذا الكتاب أسرارا وأطلع فيه
أنوارا في شرح الكلمات الباقيات الصالحات التي جعلها
الله تعالى للعبد خيرا ثوابا وخيرا أملا من زينة الحياة الدنيا
وآنسه بأنوارها في ضيق هذه الحياة ووعده بها التأنس
العام والتقدس التام في الفسيح الأعلى إذا انتهى إلى
سدرة المنتهى وأوى إلى جنة المأوى

وأقسم الكتاب على عشرة أبواب

الباب الأول في أن الكلمات هي الباقيات الصالحات

صورة الورقة الأولى

وما معنى هذه التسمية ولما اختص بها بعض الكلمات دون
بعض. الباب الثاني في جمل من الآثار الواردة في فضائلها
على الجملة. الباب الثالث في الفوائد الجسيمة التي انطوت
عليها هذه الكلمات وما تفيد من الاسرار الدينية اذا اجتمعت
الباب الرابع في الآثار الواردة بفضل ثواب البعض منها
على البعض وسبب اختلاف العلماء في ذلك.
الباب الخامس في تحقيق الكلام على اي هذه الاذكار
أعظم ثوابا أثرا ونظرا. وأما الابواب الخمسة
الباقية فإني وزعتها على شرح الكلمات فأفردت لكل
كلمة بابا. وباستيفاء العشرة أبواب يتم مقصود
الكتاب ويصل منه الى الغرض المطلوب أولوا الالباب
فإن فيه الفوائد الرائقة والمقاصد السامية والحقائق
العلية والرقائق السنية ما يشفي العليل ويبلغ الذهن
الكليل وعلى الله اعتمد فيما اقصد فهو حسبي ونعم الوكيل

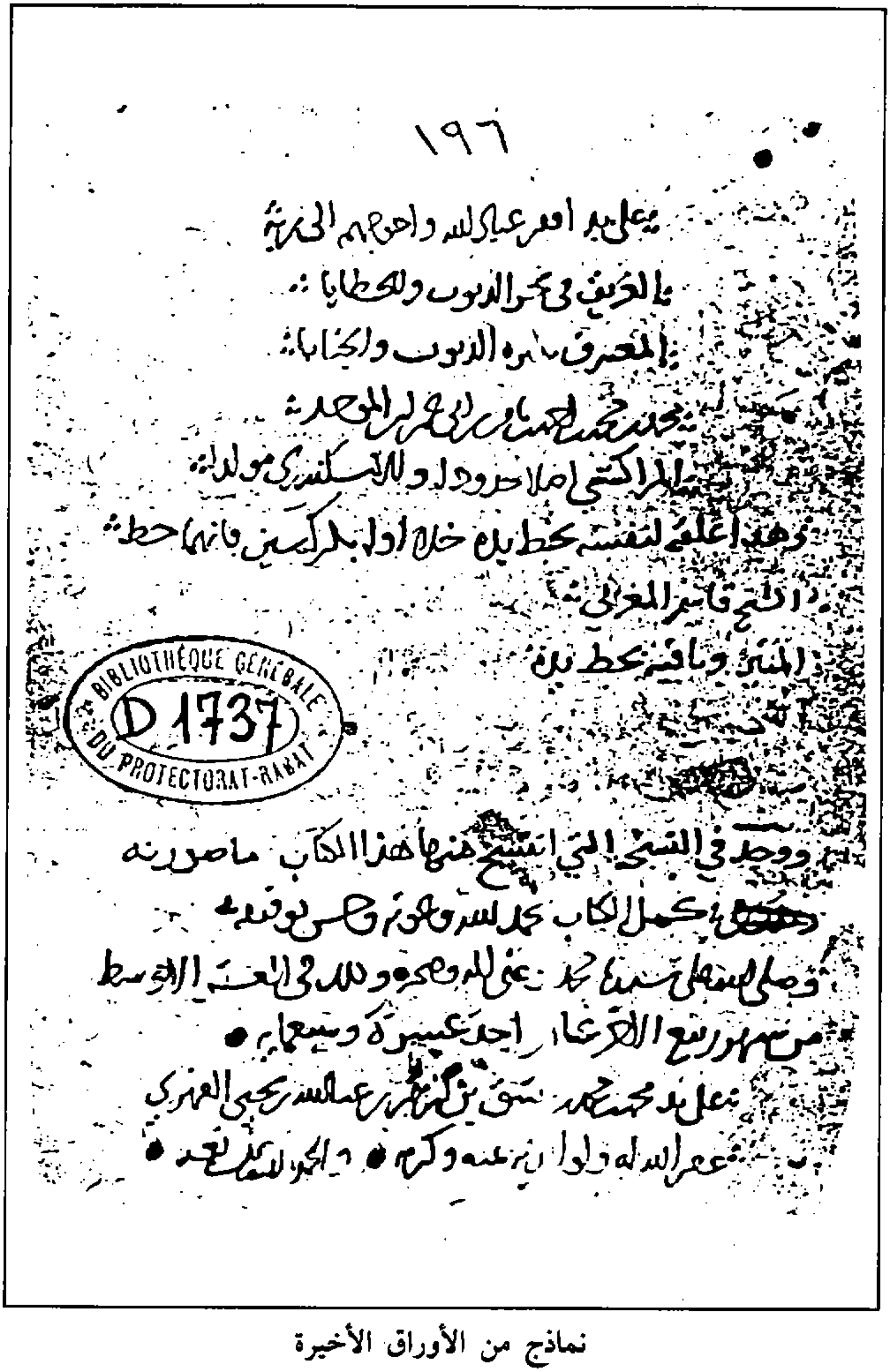
الباب الأول

في اي الكلمات هي الباقيات الصالحات وما معنى هذه
التسمية ولم اختص بها بعض الكلمات دون بعض

صورة الورقة الثانية

ولا تمنعنا عطائك في ذلك • وامنن علينا من الخير الطيب
الذي عندك • واجعلنا من الشاكرين لك على كل نعمة اسديت
ومن الحامدين على ما اظهرت من عوارفك الجزيله وابديت •
وتمم علينا نعمك السابغه كما بدأت • فانت الذي استفتحت
الاشياء وانشات • فلك الحمد ولا محمود الا انت • ولك
الشكر على ما اعطيت ومننت • اللهم اجعلنا من المسبحين
لك والمقدسين • والمتلذذين بذكرك والمتانسين • ولا
تكسنا الاغيار في اياتك • ولا تخل قلوبنا عن تنزيه ذاتك
وصفاتك حتى نهيم بالتقديس لك والتسبيح • ونغدو
فيه ذوي روح • فانك انت الله القدوس المسبوح • رب الملائكة
والروح • الذي سبحه كل سماء وكل ذي روح • اللهم
اجعلنا ممن ابتهج جنانه بتعظيمك • ولهج لسانه بتدبيرك •
وعلم ان ليس في الوجود سواك كبير • وانك المنفرد بالتدبير
والتقدير • وان الحول والقوة لك وحدك • وان كل خير
فانما يوجد عندك • وان الامور عن حكمك تدبر وبامرك
تقدرت • وعلى وفق ارادتك تقدمت وتاخرت • اللهم
يا واحد يا احد • يا من هو الاله الذي يعبد • يا حميد يا مجيد •

نماذج من الأوراق الأخيرة



١٩٦

يعلم به افقر عباد الله واحوجهم الى رحمته

الراغب في محو الذنوب والخطايا

المعترف [illegible] الذنوب والجنايات

محمد بن محمد [illegible] الموحد

المراكشي اصلا ومحتدا والاسكندري مولدا

وهذا أعلاه لنفسه بخط يده خلا أول كراسين فانهما بخط

الشيخ قاسم المغربي

المتن وباقيه بخط يده

BIBLIOTHÈQUE GÉNÉRALE
D 1737
DU PROTECTORAT-RABAT

ووجد في النسخ التي انتسخ منها هذا الكتاب ما صورته

[illegible] كمل الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

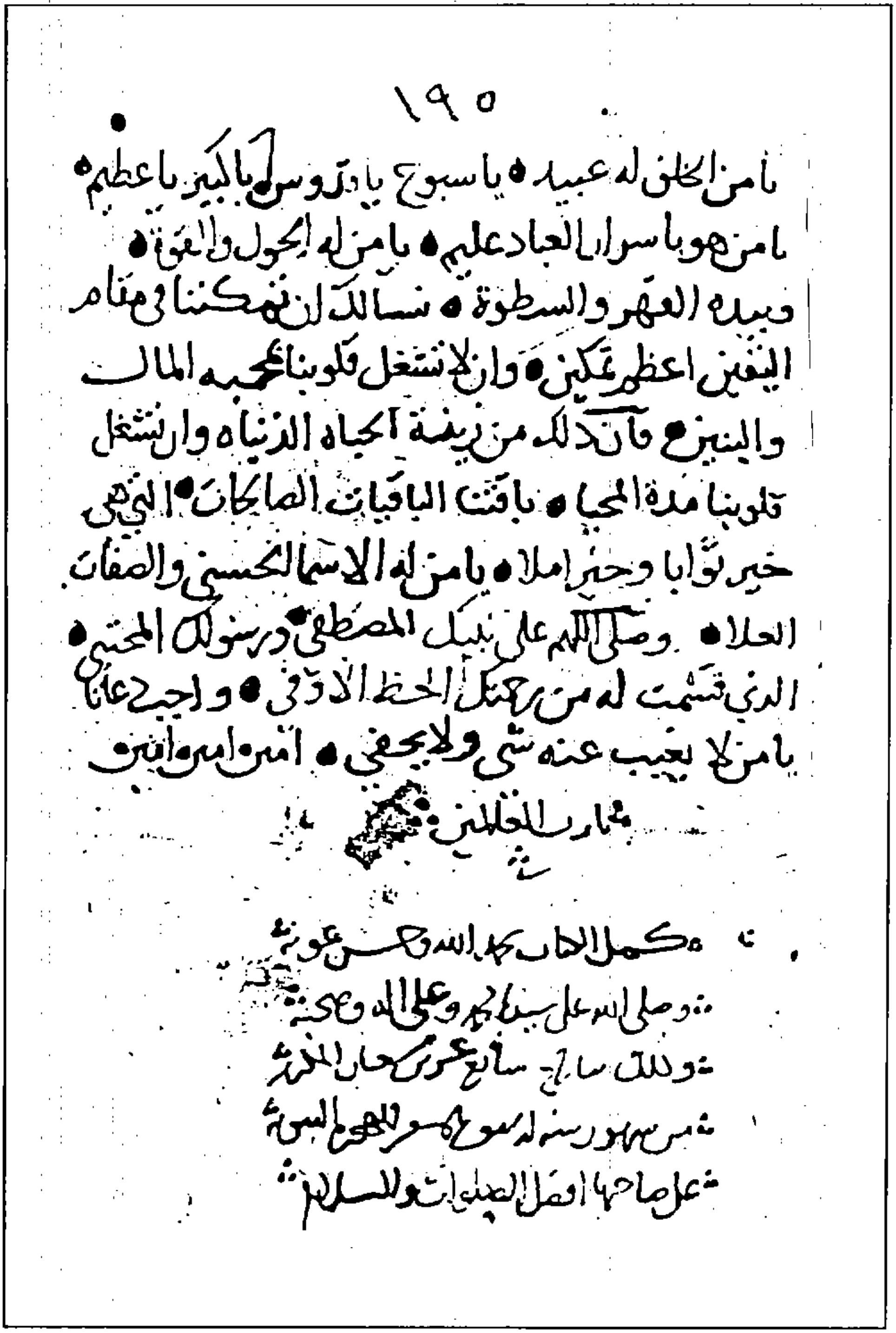
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في العشر الاوسط

من شهر ربيع الآخر عام احد عشر وسبعمائة

على يد محمد [illegible] بن عبد الله بن يحيى [illegible]

غفر الله له ولوالديه بمنه وكرمه والحمد لله [illegible]

نماذج من الأوراق الأخيرة


١٩٥

يا من الخلق له عبيد • يا سبوح يا قدوس يا كبير يا عظيم •
يا من هو بأسرار العباد عليم • يا من له الحول والقوة •
وبيده القهر والسطوة • نسأل الله أن تمكننا في مقام
اليقين أعظم تمكين • وأن لا تشغل قلوبنا بمحبة المال
والبنين • فإن ذلك من زينة الحياة الدنيا • وأن تشغل
قلوبنا مدة المحيا • بالباقيات الصالحات • التي هي
خير ثوابا وخير املا • يا من له الاسما الحسنى والصفات
العلا • وصلى اللهم على نبيك المصطفى • ورسولك المجتبى •
الذي قسمت له من رحمتك الحظ الاوفى • واجب دعانا
يا من لا يغيب عنه شي ولا يخفى • امين امين امين
يا رب العالمين

كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وذلك ساعة سابع عشر شعبان المكرم
من شهور سنة [illegible] للهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلوات والسلام

نماذج من الأوراق الأخيرة

شرح الباقيات الصالحات

المسمّى

إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبارات

في شرح

الكلمات الباقيات الصالحات

ويليه

أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبيّ المختار صلّى الله عليه وسلّم

تأليف

الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن معدّ بن عيسى التجيبي
- ابن الأُقليشي الأندلسي - المتوفى سنة (٥٥١هـ)

تحقيق

الدكتور محمد بن عزوز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

قال مؤلف هذا الكتاب **أبو العباس أحمد ابن الأقليشي رضي الله عنه بالمتاب**:

الحمد لله تعالى حمداً بلا حصر، ونشكره أن وضع عنا عبء الإصر برسوله المؤيد بالنصر، صلى الله عليه صلاة تدوم دوام العصر، وعلى جميع الذين استضاء بذكرهم كل مصر، وعلى النبيئين وصحبهم أجمعين المطيعين لله في العُسر واليُسر، وسلَّمَ وشرَّف وكرَّم.

أما بعد: فإني أبث في هذا الكتاب أسراراً، وأطلع فيه أنواراً في شرح الكلمات الباقيات الصالحات التي جعلها الله للعبد خيراً ثواباً وخيراً أملاً[1] من زينة الحياة الدنيا، وأنسه بأنوارها في ضيق هذه الحياة، ووعده بها التأنس العام، والتقدس التّام، في الفسيح الأعلى إذا انتهى إلى سدرة المنتهى، وآواه إلى جنة المأوى.

وأقسم الكتاب على عشرة أبواب:

الباب الأول: في أي الكلمات هي الباقيات الصالحات، وما معنى هذه

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: 46]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: 76].

التسمية ولم اختص بها بعض الكلمات دون بعض.

الباب الثاني: في جُمل من الآثار الواردة بفضائلها على الجملة.

الباب الثالث: في الفوائد العظيمة التي انطوت عليها هذه الكلمات وما تفيد من الأسرار الشريفة إذا اجتمعت.

الباب الرابع: في الآثار الواردة بفضل ثواب البعض منها على البعض وسبب اختلاف العلماء في ذلك.

الباب الخامس: في تحقيق الكلام على أن هذه الأذكار أعظم ثواباً أثراً ونظراً.

وأما الأبواب الخمسة الباقية فإني وزعتها على شرح الكلمات، فأفردت لكل كلمة باباً، وباستيفاء العشرة أبواب يتم مقصود الكتاب. ويصل منه إلى الغرض المطلوب أولوا الألباب فإن فيه الفوائد الراقية والمقاصد السامقة والحقائق العليّة، والدقائق السنيّة، ما يشفي الغليل، ويلقح الذهن الكليل. وعلى الله أعتمد فيما أقصد فهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب الأول

في أي الكلمات هي الباقيات الصالحات، وما معنى هذه التسمية ولم اختص بها بعض الكلمات دون بعض

اعلم أن الله تعالى ذكر في كتابه الكريم الباقيات الصالحات ولم يُعيِّن ما هي؟ فلو وكلنا إلى النظر لأطلقنا الباقيات الصالحات على الأعمال الصالحة والعلوم الصادقة التي تبقى للعبد زاداً لآخرته، ويصلح بها لجوار ربه. ولكن الرسول ﷺ قصرها على خمس كلمات وهي: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

وأكثر ما وردت الآثار بالكلمات الأربع دون كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن وردت أيضاً أحاديث بإضافة (لا حول ولا قوة إلا بالله) لها، وإدخالها معها في التسمية، فصحَّ وثبت أن هذه الخمس كلمات هي الباقيات الصالحات.

فإذا سُئِلنا وقيل لنا: ما أراد الله سبحانه وتعالى بالباقيات الصالحات؟ قلنا: هذه الخمس كلمات، لأن الأسامي إذا وردت في الشرع مخصصة واحتملت في لسان العرب العموم خصصناها، اتباعاً لأمر الشارع ولم يتعدها، اللَّهم إلا على طريق التشبيه والتركيب، كما أنا نقول: الصلاة والصيام والزكاة وسائر القربات من الباقيات الصالحات، تركيباً وتشبيهاً بهذه

المسمَّيات في الشرع فإذا لم يرد التخصيص في الشرع حملناه على العموم حتى يقوم دليل بحمله على الخصوص، ألا ترى أنه قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: أن الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر. وعنه في رواية أخرى أنه قال: الباقيات الصالحات: الصوم والحج والغزو والتهليل والتسبيح. فالرواية الأولى حملها على نفس الحديث الوارد عن النبي ﷺ، وحمل كلامه في الرواية الثانية على التشبيه والتمثيل كما أعلمتك.

وروي عن سعيد بن المسيب: أن الباقيات الصالحات قول العبد: سبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا إلٰه إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله على ما ورد في الحديث[1].

وقال الحسن: الباقيات الصالحات هي الفرائض على التشبيه.

وقال قتادة: كل ما كان لله طاعة فهو من الباقيات الصالحات.

فأما تسميتها باقيات: فلأن كل ما في الدنيا يفنى بفناء العبد وإنما يبقى ما كان للآخرة، وعليه قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[2]، فأنبأ الله تعالى أن العمل الصالح هو الذي يبقى وأن متاع الدنيا يتلاشى ويفنى تزهيداً لنا في الدنيا وترغيباً في الآخرة؛ لأن مراده تعالى هو الآخرة ألا تسمع قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[3].

ولذلك عطف بهذه الكلمات الباقيات الصالحات التي هي من قسم الآخرة على ما هو من قسم الدنيا إضراباً عن الأول وإثباتاً للثاني فقال الله

---

(1) رواه مالك في الموطأ، عن عُمارة بن صيَّاد عن سعيد بن المسيب، أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: «الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» حديث رقم (563)، رواه عن مالك أيضاً أبو مصعب الزهري (523)، وسويد بن سعيد (170).

(2) سورة النحل، الآية: 96.

(3) سورة الأنفال، الآية: 67.

تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1].

ومعنى الصالحات: الصالحة التي يصلح بها العبد لجوار ربه، فهي كلمات صالحات في أنفسها، صالحة لمن استصحبها وتزوَّد بها، فهي للعبد خير ثواباً.

وثواب هذه الكلمات هو الخير المطلق الذي لا يشوبه شر، وأما متاع الدنيا فليس له ثواب خير، وهي خير أملاً، أي الأمل بها هو الأمل الذي يجلب الخير، والأمل بها الثواب الحسن، أمل حقيقة لكن أمله الدنيا فإنه أمل شر.

وخير مَرَداً، أي مرجعاً، لأن بها يرجع العبد إلى ربه فيلقى الخير، وأما إن رجع إليه بمتاع الدنيا وعرضها فمرد بيس المرد، والكل مرده إلى الله وليس من لقائه بُدّ.

فلما كانت هذه الكلمات في هذا الحدِّ من الجلالة وكانت تفيد العبد في الدنيا أنوار الهداية وفي الآخرة غاية السعادة، اختصها رسول الله ﷺ بأنها الباقيات الصالحات تنبيهاً على عِظم قدرها وشرف خطرها ومكنون سرِّها.

استخراج لُباب من هذا الباب
مُحرك لقلوب أولي الألباب

لما فرغ سمع رسول الله ﷺ ووتد في قلبه قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[2]، أعرض عن جميع عرض الدنيا ولم يصرف همته إلى لذة المحيا، ولم يتأنس بالبنين تأنس الشغل بربه ولا سرت محبة المال في قلبه، لا جرم قال في

(1) سورة الكهف، الآية: 46.

(2) سورة الكهف، الآية: 46.

فاطمة البتول أحب بنيه إليه: «**لو وجب عليها الحد لقطعت يدها**»[1].

وقال في كراهيته للمال: «**إن ربي عرض عليّ أن يجعل لي جبال تهامة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً**»[2].

وغمض بصره الظاهر عنها لما سمعه يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[3]، أي الرزق الذي هو ثواب الباقيات الصالحات وغيرها من سائر القربات.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (3475)، وفي كتاب الحدود، باب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع (6787)، وأخرجه مسلم في كتاب الحدود رقم (1688).

(2) أخرجه الترمذي في باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه (2347) من حديث أبي أمامة، وأيضاً أخرجه صاحب المشكاة (5190)، وقال عنه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (3704): ضعيف جداً.

(3) سورة طه، الآية: 131.

ولا يفهم من هذه النصوص التي ساقها ابن الأقليشي تحريم زينة الحياة الدنيا وطيباتها.

وقد صدق الحافظ الذهبي عندما قال: (الطريقة المثلى هي المحمدية وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [طه: 51]. وقد قال النبي ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، فليس يشرع لنا الرهبانية ولا التمزق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يُسر وحنفية سمحة. فليأكل المسلم من الطَّيِّب إذا أمكنه كما قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: 7] وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا ﷺ وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار واقتصر على الدقة والكِسرة صفت حواسه ولطفت ولازمته خطرات النفس وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج وولج الشيطان في باطنه وخرج فيعتقد أنه قد وصل وخوطب وارتقى فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء ويتذكر ذنوبهم وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه بل وليس ذلك من شريعتنا في شيء، =

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**»(1)، أي العيش الحقيقي الذي لا تشوبه شائبة ولا تنوبه نائبة، فلما غمّض ﷺ عينيه الظاهر والباطن عن ظاهر الدنيا وباطنها أفاده الله تعالى ثواباً على ذلك ما هو أعلى وأسنى، فقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾(2)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾(3)، عوضاً مما منعناك من الدنيا.

ووراء هذا من الثواب ما لا يحصى ولا يُدرى ولا يصل إليه بشر غيره في الأخرى، فمن اقتدى بأدبه واهتدى بسببه جُمع في الآخرة به.

= بل السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد والتواضع للمسلمين وصلة الرحم والسماحة وكثرة البِشر والإنفاق مع الخصاصة وقول الحق المر برفق وتؤدة والأمر بالعرف والأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين والرباط بالثغر وجهاد العدو وحج البيت وتناول الطيبات في الأحايين وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء وصفات المحمديين أماتنا الله على محبتهم. (سير أعلام النبلاء 12/89 ـ 90).

(1) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه: (2961)، (3796)، (6413)، (3797)، (4098)، (6414).

(2) سورة الفرقان، الآية: 10.

(3) سورة الكوثر، الآية: 1.

الباب الثاني

في جُمل من الآثار الواردة
بفضائل هذه الكلمات على الجملة

○ (*) 1 ـ قال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الأَرضِ رَجُلٌ يَقولُ لاَ إِلٰهَ إلاَّ الله واللَّهُ أَكْبَرُ وسُبْحَانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ إلاَّ غُفِرَت ذُنُوبُه وَلَوْ كَانَت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[1].

○ 2 ـ وقال ﷺ: «لأَن أَقُولَ سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلٰهَ إلاَّ الله واللَّهُ أكبرُ، أَحبُّ إلـيَّ مما طَلَعَتْ عليه الشَّمسُ»[2].

○ 3 ـ وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الكَلامِ: سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ

(*) ترقيم الأحاديث من صنع المحقق.

(1) رواه أحمد في (المسند) 158/2، 210، 211، وأخرجه الترمذي (3460) وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (124) (822)، والحاكم في المستدرك 503/1، وأورده الذهبي في تلخيصه. وقال: رواه شعبة عن أبي بلج فأوقفه، وحاتم ثقة. وأخرجه البيهقي في الدعوات (121)، والبغوي (1281)، وصحيح الترمذي للألباني (2753).

(2) رواه مسلم في صحيحه (2695)، والترمذي (3597)، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة (835)، وابن حبان (834)، والبغوي (1277)، وصحيح الترمذي للألباني (2844).

اللَّهُ وَاللَّهُ أكبَرُ»[1].

○ 4 ـ وقال ﷺ: «إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الكَلاَمِ: سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولاَ إِلَهَ إلاَّ الله والله أكبر»[2].

○ 5 ـ وقال ﷺ: «الذِي تَذْكُرونَ مِن جَلاَلَ الله وتَسبيحِه وتَهْلِيلِه وَتَحمِيدِه وَتَكبِيرِه يعاطفن[3] حَول العَرش لَه دَوِيٌ كَدَوِيِّ النَّحلِ يُذَكِّرْنَ[4] بِصَاحِبِهن. أوَلا يحب أحدكم ألاَّ يزال له عِندَ الرحمنِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟»[5].

---

(1) أُبهم في هذا الحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ، فجاء في سنده (عند رجل من أصحاب النبي ﷺ)، رواه أحمد في المسند (36/4)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد **88/10**: رجاله رجال الصحيح. وورواه المنذري في الترغيب والترهيب (**2292**)، وقال: رواته محتج بهم في الصحيح. وورد من طريق آخر صرح به باسم الصحابي: وهو سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله عز وجل أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر بأيهن بدأت»**، وهو عند مسلم (**2137**)، وأبي داود (**4958**)، والنسائي (**845**)، وابن ماجه (**2811**).

(2) أورد المصنف هذا الحديث مختصراً، وهو من رواية أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما وتتمته: (... فمن قال: سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحُطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قِبَلِ نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحُطت عنه ثلاثون سيئة).

رواه النسائي (**840**) (**841**) في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك **512/1** وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن الإمام في (سِلاَح المؤمن في الذكر والدعاء: **76**).

(3) هكذا وردت هذه اللفظة في الأصل، وفي باقي الروايات التي وقفت عليها: (ينعطفن) ومعناها كما جاء في (غريب الحديث والأثر) لابن الأثير **257/3**، مادة (عطف) العطاف والمعطف: الرداء. وقد تعطف به واعتطف، وتعطفه واعتطفه، وسمي عطافاً لوقوعه على عِطْفَي الرجل، وهما ناحيتا عنقه، ومنه حديث الاستسقاء: (حول رداءه وجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر) إنما أضاف العطاف إلى الرداء لأنه أراد أحد شِقَّي العطاف، فالهاء ضمير الرداء، ويجوز أن يكون للرجل، ويريد بالعطاف جانب ردائه الأيمن، ومنه حديث ابن عمر: (وخرج متلفعاً بعطاف)، ومعنى: (ينعطفن) أي: يملن.

(4) في باقي الروايات: (تُذكر بصاحبها).

(5) الحديث من رواية النعمان بن بشير رضي الله عنهما، رواه ابن ماجه (**3809**) وقال=

○ 6 ـ وقال ﷺ: «أَمَا يَستَطِيعُ أَحَدُكُم أَن يَعْمَلَ كُلَّ يَوم مِثْلَ أُحُدٍ؟»، قَالُوا: وَمن يَسْتَطِيعُه؟. قَالَ: «كُلُّكُمْ يَسْتَطِيعُهُ». قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيم أَعْظَمُ مِن أُحُدٍ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، والحمدُ للَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ»[1].

○ 7 ـ وقال ﷺ: «أَربعٌ أَفْضَلُ الكَلام لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلا إِله إلاَّ الله والله أكبر»[2].

○ 8 ـ وقال ﷺ: «الحمدُ للَّهِ تَمْلأُ المِيزَانَ وسُبْحَانَ اللَّهِ واللَّهُ أَكْبَرُ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ»[3].

○ 9 ـ وقال ﷺ: «بَخ بَخ لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي المِيزَانِ: لاَ إِلٰه إلاَّ الله وسُبْحَانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَاللَّهُ أكبر والوَلَدُ الصَّالِحُ يَموتُ لِلمرءِ المسلِمِ فَيَحْتَسِبُه»[4].

= البوصيري في (الزوائد): إسناده صحيح، رجاله ثقات. رواه الحاكم في المستدرك 500/1 وصححه، وموسى بن سالم قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث. ورجح الذهبي في ميزان الاعتدال 205/4 أنه ثقة، وهو حديث حسن بشواهده.

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 90/10: رواه الطبراني والبزار، ورجالهما رجال الصحيح وذكره الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب 2318) من طريق عِمران بن حصين وقال: رواه ابن أبي الدنيا، والنسائي والطبراني والبزار كلهم عن الحسن عن عمران ولم يسمع منه، وقيل: سمع، ورجالهم رجال الصحيح إلا شيخ النسائي عمرو بن منصور وهو ثقة.

(2) صحيح مسلم (2137)، سنن أبي داود (4958)، سنن النسائي (845)، سنن ابن ماجه (2811).

(3) هو جزء من حديث أبي مالك الأشعري وتمامه: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم (223)، والترمذي (3512)، والنسائي (5/5 ـ 6)، وابن ماجه (270).

(4) رواه النسائي في (عمل اليوم والليلة) 167، والحاكم في المستدرك 511/1، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (2328)، والطبراني في الكبير 348/22.

○ 10 ـ وقال ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وثَلاثِينَ وَحَمِدَ ثَلاثاً وثَلاثِينَ، وكَبَّرَ ثَلاثاً وثَلاثينَ وَخَتَمَ المِئَةَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرتْ ذُنُوبُهُ ولَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[1].

○ 11 ـ وقال ﷺ ذَاتَ يَومٍ لأصحابِهِ: «خُذُوا جُنَّتَكُم»، قالُوا: يَا رسول الله أمِن عدوٍّ حَضرَ؟ فقالَ: «خُذُو جُنَّتَكُم مِنَ النَّارِ وقُولُوا: سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلا إِلهَ إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ فَإِنَّ هُنَّ مُقدِّمَات وهُنَّ مُنجِيات وهُنَّ المعَقِّبَات وهُنَّ البَاقِيَاتُ وَهُنَّ الصَّالِحَات»[2].

○ 12 ـ وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أُعلِّمُكَ كَلماتٍ إِذَا قُلتَهن غُفِرَ لَكَ عَلَى أنَّه مَغفُورٌ لَك، لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ العَلِيُّ

---

(1) رواه البخاري 213/1، و 89/8، ومسلم (595)، وأبو داود (1504)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (143)، وفي السنن الكبرى (997)، وأحمد في المسند 238/2، والدارمي (1360)، ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على أبي هريرة (562) 288/1، وقال ابن عبدالبر: (هكذا هذا الحديث موقوف في الموطأ على أبي هريرة، ومثله لا يدرك بالرأي، وهو مرفوع صحيح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة من حديث أبي هريرة، ومن حديث علي بن أبي طالب ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ومن حديث كعب بن عجرة وغيرهم بمعان متقاربة) (التمهيد 160/24).

(2) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (848)، والحاكم في المستدرك 541/1، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (606)، والطبراني في الصغير 145/1، والهيثمي في مجمع الزوائد 89/10، وقال رواه الطبراني في الأوسط والصغير، ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال، وهو ثقة. ورواه المنذري في الترغيب (2310)، وقال: (جنتكم) أي ما يستركم ويقيكم، و (مجنبات) أي مقدمات أمامكم ـ وفي رواية الحاكم: (منجيات) وكذا رواه الطبراني في الأوسط وزاد: (ولا حول ولا قوة إلا بالله) ورواه في الصغير من حديث أبي هريرة فجمع بين اللفظين، فقال: (ومنجيات ومجنبات) وإسناده جيد قوي، (ومعقبات) بكسر القاف المشددة، أي: تعقبكم وتأتي من ورائكم.

العَظِيمُ، لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ العَظِيمِ وَالحَمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِين»[1].

○ **13** ـ وعن أبي الدرداء قال: أَبْصَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُحَرِّكُ شَفَتَيَّ فَقَالَ: «**يَا أَبَا الدرداءِ! مَا تَقُول؟**» قُلتُ: أَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: «**أَلا أُعَلِّمُكَ شَيْئاً هُوَ أَفْضَلُ مِن ذِكْرِ اللَّيلِ مَع النَّهارِ والنَّهارِ مع الليلِ؟**»، فَقُلتُ: بَلَى، قَالَ: قُل: «**سُبحانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَق، وَسُبحانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ وسُبحان الله عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ، وَسُبحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيءٍ، وسُبحانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُه، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُه، والحمدُ للَّهِ عَدَدَ مَا خَلَق والحمدُ للَّهِ مِلْءَ مَا خَلَق، وَالحمدُ للَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيءٍ، والحمدُ للَّهِ عَدَدَ ما أحصى كِتَابُه، وَالحمدُ للَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتابُه**»[2].

○ **14** ـ وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يَا رسولَ اللَّهِ عَلِّمنِي شَيْئاً أَقُولُه، قَالَ: «**قُلْ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالحمدُ للَّهِ كَثِيراً، سُبحَانَ اللَّهِ ربِّ العَالَمِين، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**

---

(1) رواه الترمذي (3504).
ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (630)، والحاكم في المستدرك 508/1، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (865)، وهو عند أحمد في المسند 94/1، والطبراني في الصغير (763).

(2) وقفت على هذا الحديث من رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (166)، والحاكم في المستدرك 513/1، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (2331)، ورواه أحمد في المسند 249/5.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد 93/10: رواه الطبراني من طريقين وإسناد أحدهما حسن ولفظه قال: (أفلا أخبرك بشيء إذا قلته، ثم دأبت الليل والنهار لم تبلغه؟ قلت: بلى. قال: تقول: الحمد لله عدد ما أحصى كتابُه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد لله عدد ما أحصى خلقُه، والحمد لله مِلْءَ ما في خلقه، والحمد لله مِلءَ ما في سمواته وأرضه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله على كل شيء، وتُسبح مثل ذلك وتُكبر مثل ذلك).

العَزِيزِ الحَكِيم». قَالَ الأعرابي: هَذَا لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي وَارحمنِي وَارزُقْنِي وَاهْدِنِي**»[1].

○ **15** ـ وفي حديث طلحة رضي الله عنه: أن ثَلاثَةَ رَهْطٍ من عُذْرة جَاؤوا إلى النبي ﷺ فَأَسْلَمُوا، فَخَرَجَ أَحَدُهم إلى الجِهَادِ فَاستُشْهِدَ وَخَرَجَ الثَّانِي بَعْدَهُ فَاستُشْهِدَ، وَبَقِي الثَّالِثُ حَتَّى مَاتَ عَلى فِرَاشِهِ. قَالَ طَلحة: فَرأيتُ فِي النَّوْم كَأَنِّي أُدخِلْتُ الجنَّةَ فَرأيتُهُم أَعْرِفُهُم بِأَسْمَائِهِم وَسِيمَاهُم قَالَ: فَإِذَا الذِي مَاتَ عَلَى الفِرَاشِ دَخَلَ أَوَّلَهم وَإِذَا الثَّانِي مِنَ المُسْتَشْهِدِينَ عَلَى أَثَرِه، وَإِذَا أَولهم آخِرُهم. قَالَ: فَدَخَلَنِي مِن ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَذكرتُ ذَلِكَ لَهُ فقال رسول الله ﷺ: «**لَيس أحدٌ أَفضلُ عِندَ اللَّهِ مِن مُؤمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الإِسْلامِ لِتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحِه وتَحْمِيدِه وَتَهْلِيله**»[2].

○ **16** ـ ومن حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تَعالى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الأَرضِ ويَلتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قوماً يَذكُرونَ اللَّهَ تَعَالى تَنَادَوْا: هَلُمَّ إِلى حَاجَتِكُم فَيحفُّونَ بِهِم بِأَجنحَتِهِم إِلى سَمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فيسأَلُهُم رَبُّهُم وَهُو أَعْلَمُ بهم: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يَذْكُرونَكَ ويَحمَدُونَك وَيُسَبِّحُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ فَيَقُول اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ، كَانُوا أَشدَّ عِبَادَةً وأَشَدَّ تَحمِيداً وَأَكثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً، قَالَ: فَمَا يَسْأَلُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ الله تَبَارَكَ وتَعَالى: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيقولُونَ: لاَ واللَّهِ مَا رَأَوْها، قال: فيقولُ تبارك وتعالى: كيف لوْ رَأَوْها؟ فيقولون: لَوْ أَنَّهُم رأوهَا كَانُوا أَشَدَّ حِرصاً وأَشدَّ لَهَا طَلَباً وَأَعظَمَ فِيهَا رَغبةً.**

---

(1) رواه مسلم (**2696**) وفيه تتمة: ولم يذكر ابن أبي شيبة في حديثه قول موسى. وانظر المصنَّف لابن أبي شيبة **266/10 ـ 267**.

(2) رواه أحمد في مسنده **163/1**، وإسناده صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة (**233**)، وانظر: تحفة الأشراف **149/4**، وجامع المسانيد والسنن **229/6** و **505**.

قالَ: فَيَقُولُ تَبَارك وتعالى: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ فيقولون: مَنَ النارِ، فيقولُ تبارك وتعالى: وهل رأَوْها؟ قال: يقولون: لاَ واللَّهِ ما رأَوْها، قالَ: فَيقُولُ عزَّ وجلَّ: كَيفَ لَوْ رَأَوهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنهَا فِرَاراً وَأَشَدَّ مِنهَا هرباً وَأَشَدَّ لَهَا مَخافَةً. قالَ: فَيقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالى: أُشهِدُكم أنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قالَ: فَيقولُ مَلَكٌ مِن الملائِكَةِ: إنَّ فِيهِم فُلاناً لَيسَ مِنْهُمْ إنَّمَا جَاءَ لحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الجُلَسَاءُ لا يَشقَى جَلِيسُهُمْ»(1).

○ **17** ـ وعن عبدالله بن مسعود قال: إذَا قَال العَبْدُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحمدُ للَّهِ وَلا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ والله أكبرُ تَلَقَّاهُنَّ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ، فصَعِدَ بِهِنَّ إلى السماءِ فَلا يَمُرُّ عَلَى مَلإٍ مِن المَلائِكَةِ إلاَّ استَغْفَرُوا لِصَاحِبِها حَتى يُحَيَّا بِهَا وَجْهُ الرحمنِ تَباركَ وتَعَالَى(2).

○ **18** ـ وعن عبدالله بن مسعود أنه قال: مَن اشتَدَّ عَليهِ اللَّيلُ أَن يُكَابِدَهُ وجَبُنَ عَنِ العَدُوِّ أَنْ يُحَاصِرَهُ، وَضَنَّ بِالمالِ أَن يُنفِقَهُ فَلْيُكْثِر قَوْلَ: سُبحَانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلا إلٰه إلاَّ الله واللَّهُ أَكبَرُ(3).

---

(1) البخاري (**6408**)، ومسلم (**2689**)، والترمذي (**3595**).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك **425/2**، بلفظ آخر: عن عبدالله بن مسعود قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله، أن العبد إذا قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك وضَمَّهُنَّ تحت جناحه، وصعد بهن، لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحيَّا بهن وجه الرحمن، ثم تلا عبدالله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: **10**] وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(3) ورد هذا الأثر مرفوعاً من طريقين:

1 ـ عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «**من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله**»، رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (**508**).

2 ـ عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (**من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه أو جبن عن العدو أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد **94/10** رواه الطبراني وفيه سليمان بن أحمد الواسطي، وثقه عبدان، وضعفه الجمهور.

○ **19** ـ وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيتُ إبراهِيمَ لَيلةَ أُسْرِيَ بِي، فَقالَ: يَا مُحمد! أَقرِىءْ أُمَّتكَ مِنِّي السَّلاَمَ وأَخْبِرهُم أن الجنةَ طيبةُ التُّربَةِ عذبةُ الماءِ وأنها قيعَانٌ وأن غراسَها سُبحانَ الله والحمدُ لله ولاَ إلٰه إلا اللَّهُ والله أكبَرُ**»[1].

○ **20** ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا مَرَرتُم بِريَاضِ الجنَّةِ، فارتَعوا مِنهُ**»، قُلْتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ! وَمَا رِيَاض الجنَّةِ؟ قَال: «**المَسَاجِدُ**»، قُلْتُ: ومَا الرَّتْعُ يَا رسول الله؟ قال: «**سُبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، وَلا إلٰهَ إلاَّ اللَّهُ، واللَّهُ أكبَرُ**»[2].

○ **21** ـ وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**خِلَّتَانِ لاَ يُحْصِيهما**[3] **رَجُلٌ مُسلم إلاَّ دخَلَ الجنَّةَ، ألاَ وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَن يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّح الله في دُبُر كُلِّ صَلاةٍ عَشراً ويَحمده عشراً ويُكَبِّرهُ عشراً**». قَالَ: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يَعقِدُهَا بِيَدِه، قال: «**فَتِلك خَمسُون وَمِئَة بِاللِّسَانِ وَأَلفٌ وخَمس مِئَةٍ في المِيزَانِ، وَإذا أخذت مضجعك تُسبِّحه وتَحمدُه وتُكَبِّره مِئَة فَتِلك مِئَةٌ باللِّسَانِ وأَلفٌ فِي المِيزَانِ فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مئة سَيِّئَة؟**»، قَالُوا: وكيف لاَ نُحصِيها؟ قال: «**يَأتِي أَحَدَكم الشَّيطانُ وهو في صَلاتِهِ فَيَقُول: اذكُرْ كَذَا، اذكر كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِل**[4]**، فَلَعَلَّه لاَ يفعل، ويَأتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِه فَلا يَزَالُ يُنَوِّمُه حَتَّى يَنام**»[5].

---

(1) الترمذي (**3438**)، وابن حبان (**2338**)، وأحمد في المسند **418/5**، وحسنه المنذري في الترغيب **445/2**.

(2) رواه الترمذي (**3509**)، وقال: حديث حسن غريب.

(3) في رواية الترمذي: خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة.

(4) في رواية الترمذي أيضاً: (حتى ينفتل).

(5) أخرجه عبدالرزاق (**3190**)، والحميدي (**583**)، وابن أبي شيبة **233/10**، وأحمد **160/2** و **204**، وعبد بن حميد (**356**)، والبخاري في الأدب المفرد (**1216**)، وأبو داود (**1502**) و (**5065**)، والترمذي (**3410**)، وابن ماجه (**926**)، والنسائي **74/3** و **79**، وابن حبان (**2012**) و (**2018**)، والطبراني في الكبير (**4898**)، والحاكم في المستدرك **253/1**، وصحيح الترمذي للألباني (**2714**).

○ 22 ـ وعن أنس أن رسول الله ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الوَرَقِ فَضَرَبَها بِعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الوَرَقُ فَقَالَ: **«إنَّ الحمدَ لِلَّهِ وَسُبحَانَ اللَّهِ وَلا إِلٰه إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِن ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِه الشَّجَرَةِ»**(1).

○ 23 ـ ودخل رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه على امرأةٍ وبَينَ يَدَيْهَا نَوىً ـ أَو قَالَ حَصًى ـ تُسَبِّحُ بِه، فقال ﷺ: **«أَلاَ أُخبِرُكِ بِمَا هُو أيسرُ عليكِ مِن هَذا أو هو أفضلُ؟ سُبحانَ اللَّهِ عَدَدَ ما خَلَقَ في السماءِ، وسبحانَ اللَّهِ عددَ ما خلق في الأرضِ، وسُبحانَ اللَّهِ عَدَدَ ما بين ذلك وسُبحانَ اللَّهِ عَدَدَ ما هو خالقٌ واللَّهُ أكبرُ مثلَ ذلكَ والحمدُ للهِ مثلَ ذلكَ ولا حولَ ولا قوّةَ إلاَّ باللَّهِ مِثْلَ ذلكَ»**(2).

○ 24 ـ وقال ﷺ: **«مَنْ تَعَارَّ من اللَّيلِ فقال: لا إِلٰهَ إلاَّ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ وسُبْحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ وَلا إِلٰهَ إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ ثُم قَالَ: رَبِّ اغفِرْ لِي»**، أَوْ قَالَ: **«ثُمَّ دَعَا استُجِيبَ لَهُ، فَإنْ عَزَمَ فَتَوضأَ ثُم صَلَّى قُبِلَت صَلاتُه»**(3).

○ 25 ـ وقالت عائشة رضي الله عنها كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقول: **«اللَّهم عَافِنِي في جَسَدِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي وَاجعلْهُ الوَارِثَ مِنّي لاَ إِلَهَ إلاَّ الله**

---

(1) أخرجه أحمد في المسند 152/3، والترمذي (3553)، وأبو نعيم في الحلية 55/5، والمنذري في الترغيب والترهيب (2315) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(2) أبو داود (1500)، والترمذي (3563)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (325)، والحاكم في المستدرك 547/1 ـ 548، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث يرويه سعد بن أبي وقاص.

(3) أخرجه أحمد في المسند 313/5، والدارمي (2690)، والبخاري 68/2، وأبو داود (5060)، والترمذي (3414)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (861)، وابن السني (749)، وابن حبان (2596)، وأبو نعيم في الحلية 159/5، والبيهقي 5/3، والبغوي (953)، وصحيح الترمذي للألباني (2716) من حديث عبادة بن الصامت.

الحلِيمُ الكَرِيمُ، سُبحانَ ربِّ العَرشِ العَظِيمُ، الحمدُ للَّهِ ربِّ العَالَمِين»[1].

○ **26** ـ وقالت بعض صواحب رسول الله ﷺ: قَالَ لَها رَسُولُ الله ﷺ: **«عَليكُنَّ بِالتَّسبيحِ والتَّهْلِيلِ والتَّقدِيسِ واعقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولاَتٌ مُستنطَقَاتٌ وَلاَ تَغْفَلْنَ فَتُنَسَّيْنَ الرحمَةَ»**[2].

---

(1) أبو داود (**5090**)، والنسائي (**22**) و (**572**)، وأحمد في المسند **42/5**.

(2) من حديث يُسَيرة، رواه أبو داود (**1501**)، والترمذي (**3486**)، والحاكم في المستدرك **547/1**، وصححه ووافقه الذهبي.

خاتمة هذا الباب
بمقاصد بارعة وفوائد نافعة

إذا استقرأت من هذه الآثار، ما تفيد هذه الكلمات من الأنوار، فلا يكن حظك منها السمع دون العمل، فتكون أسيراً في قبضة الكسل، فما نطق بها ﷺ وبيَّن عظيم ثوابها إلا لترتدي بجلبابها، فأحضر قلبك لوعي معانيها وأجرِها على لسانك آناء الليل والنهار، ومهما غفلت عنها وقتاً مَّا فلا تغفلن عنها عقب الصلوات الخمس، فإن رسول الله ﷺ نَدَبَ إلى ترداد اللسان بهذه الكلمات عقب الصلوات وجعلها مكفرة للسيئات، فإن شئت سبحت في دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمدت ثلاثاً وثلاثين وكبرت ثلاثاً وثلاثين، وختمت المئة بلا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وإن شئت سبحت عشراً وحمدت عشراً وكبرت عشراً، فقد وردت بكلتا الصفتين آثار على ما تقدم في صدر الباب.

وكلما زدت خيراً ضوعف ثوابك وكثرت حسناتك، ولا يضرك الجمع بين الكلمات ولا أن تفردها ولا عليك بأية بدأت. واعقد بأصابعك فإنها تسأل وتُستنطق فتظهر أنوار حركاتها في الآخرة أو ظلماتها، كان رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيده[1]، وكذلك إذا أخذت مضجعك للنوم فلا

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، عن عبدالله بن عمرو قال: رأيت النبي ﷺ (يعقد التسبيح بيده). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث الأعمش، عن عطاء بن السائب. وروى شعبة والثوري هذا الحديث عن عطاء بن السائب بطوله (470/5).

تغفل عن هذه الكلمات في ذلك الوقت لتسري على نفسك أنوارها فتنام في بركاتها ويسري روحك في روحها. قال رسول الله ﷺ: «**من أوى إلى فراشه طاهراً فذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**»(1).

ألا ترى أن فاطمة رضي الله عنها لما شكت إلى رسول الله ﷺ أَلَمَ الرحى وسألته خادماً من السبي، جاءها رسول الله ﷺ وقد أخذت مضجعها مع علي رضي الله عنهما قال علي: فذهبنا لنقوم فقال: «**مكانكما**»، فجاء حتى جلس بيني وبين فاطمة حتى وجدت برد قدميه، فقال: «**ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ تسبحانه ثلاثاً وثلاثين وتحمدانه ثلاثاً وثلاثين وتكبرانه أربعاً وثلاثين**». قال علي رضي الله عنه: فما تركتها من ليلته، قيل له: ولا ليلة صفين، فقال: ولا ليلة صفين(2).

فانظر علياً رضي الله عنه كيف جعلها من آكدِّ أفعاله ولم يتركها مع شدة أشغاله.

وكذلك إن أصابتك ضراء وفاقة فاجعل هذه الكلمات عِوضاً مما فاتك من نعيم الدنيا تَنَل ثوابها مضاعفاً غداً ومهما عجزت عن العَدُوِّ لِتُقَاتِله وَأعوَزَكَ المالَ لِتُنفِقَه أو قصرت عن الليل لتكابده فثواب هذه الكلمات يَسُدُّ مَسَدَّ ما فات من تلك الخيرات.

ألا ترى أن فقراء المهاجرين لما جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يعلمونه بفضل الأغنياء عليهم بأموالهم، وقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فعلمهم رسول الله ﷺ هذه الكلمات وأعلمهم أنها تسد مَسدَّ

---

(1) رواه الترمذي (**3526**)، وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه الطبراني في الكبير (**7568**)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (**713**)، وابن عدي في الكامل **640/2**، وضعيف الترمذي للألباني (**707**).

(2) رواه البخاري (**6318**)، ومسلم (**2727**)، وأبو داود (**2988**) و (**2989**)، والترمذي (**3405**).

الصدقات، وأن بها يلحقون من فاتهم في علو الدرجات[1].

وكذلك أَلزِمَنَّ نفسَك صلاة التسبيح ولا تغفلنَّ عنها ولو مرة في عمرك. فإنك تفوز بالمتجر الربيح، فإنها صلاة ندب رسول الله ﷺ إليها، ووعد الثواب الجزيل عليها لما انطوت على هذه الكلمات الرفيعة والأذكار الشريفة. فقال ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه: «**يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟ ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سرّه وعلانيته، عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة، فإياك ونسيان هذه الصلاة فقد وعدت عليها [بعدتهم][2] الصلات وتكفير ما تقدم وتأخر من السيئات**»[3].

---

(1) رواه مسلم (1006)، وابن ماجه (927).

(2) لم تتضح لي قراءتها.

(3) اختلف حفاظ الحديث في ـ صلاة التسبيح ـ فمنهم من صححه أو حسنه. وعليها جمهور المحدثين، ومنهم من ضعفه لعدم وقوفه على طرقه الثابتة ومنهم من جعله موضوعاً، وهو قول مردود باتفاق المحدثين.
وكان الحافظ ابن حجر في أول أمره يضعف هذا الحديث، كما صرح بذلك في التلخيص (7/2)، فقال: (والحق أن طرقه كلها ضعيفة، وإن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن إلا أنه شاذ، لشدة الفردية فيه، وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر)، ثم إنه لما وقف بعد ذلك على متابعات وشواهد للحديث رجع عن تضعيفه، وصححه كما صرح في أواخر كتابه (مجالس أمالي الأذكار في صلاة=

وكذلك لا تخل نفسك في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب، وهي ليلة المعراج عن هذه الصلاة التي أصف لك، فإنها صلاة كان الفضلاء من أرباب القلوب يلتزمونها لعظيم شأنها، وما ورد من الحض عليها وهي أن تصلي في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة تتشهد في كل ركعتين وتسلم وتقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر مئة مرة، وتستغفر الله مئة مرة، وتصلي على النبي ﷺ مئة مرة، وتدعو لنفسك بما شئت من أمر الدنيا والآخرة وتصبح صائماً، فإن الله يستجيب لك كل دعاء تدعو به إلا أن تدعو في معصية.

وورد في الخبر أن للعامل في هذه الليلة حسنات مئة سنة[1]. وقد نبهتك عليها لما انطوت على هذه الكلمات الرفيعة.

= التسبيح) ص 83، فقال: (ذكر زكريا الساجي وهو من طبقة الترمذي، اختلاف الفقهاء في صلاة التسبيح فقال: لا أعرف للشافعي ولا لمالك ولا للأوزاعي ولا لأهل الرأي فيها قولاً. وقال أحمد وإسحاق: إن فعل فحسن. ونقل صاحب الفروع أن أحمد سئل عن صلاة التسبيح فنفض يده وقال: لم يصح فيهما شيء، ولم ير استحبابها، فإن فعلها إنسان فلا بأس، لأن الفضائل لا يشترط فيها الصحة... وقد أفرط بعض المتأخرين من أتباع أحمد كابن الجوزي فذكر حديثها في الموضوعات، وتقدم الرد عليه، وكابن تيمية فجزم بأن حديثها ليس بصحيح بل باطل. قاله ابن عبدالهادي، ونقل عنه صاحب الفروع أن خبرها كذب، ونص أحمد وأصحابه على كراهتها...

قلت: بل أثبتها أئمة الطريقين من الشافعية كما تقدم التنبيه عليه... وأما الحنفية فلم أر عنهم شيئاً إلا ما نقله السروجي عن مختصر البحر في مذهبهم أنها مستحبة وثوابها عظيم.

وقال الزبيدي في شرح الإحياء 481/3: (وقد نص على استحبابها غير واحد من أصحابنا، آخرهم صاحب البحر والبرهان الحلبي، وذكرها فخر الإسلام البزدوي في شرح الجامع الصغير لمحمد بن الحسن).

(1) الحديث الوارد في صلاة ليلة السابع والعشرين من رجب موضوع. يقول ابن القيم في كتابه: (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) ص96: (كل حديث في ذكر صوم رجب، وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى). وقال بوضعه أيضاً علي القاري (ت 1014هـ) في كتابه (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) ص 259 وقد استوفى الحافظ ابن حجر في جزئه: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» بيان الأحاديث الموضوعة في رجب صوماً وصلاةً وفضائل وصدقات وأعمالاً، أفضلَ استيفاء. فَعُدْ إليه، وهو مطبوع بمطبعة المعاهد بالقاهرة سنة 1351هـ في 35 صفحة.

وهذه جُمل من فضائل الآثار في فضل هذه الكلمات على الجملة، وسترى أيضاً فضائلها منفردة في أول كل باب منها إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث

في الفوائد العظيمة التي انطوت عليها هذه الكلمات وما تفيد من الأسرار الشريفة والأنوار اللطيفة إذا اجتمعت

اعلم أن كل كلمة منفردة من هذه الكلمات الشريفة تدل على معان عظيمة ينطوي تحتها من السِّر المخزون والعلم المكنون ما لا يعلمه إلا الله تعالى لأنها من كلام الله تعالى وأوصافه. ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾[1].

فإذا اجتمعت هذه الكلمات أفادت العبد من الأنوار ملء الأرضين والسماوات بل عَلَت على ذروة العرش وخرقت الحجب حتى تصل إلى الله

(1) سورة الكهف، الآية: 104 .وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (المنار المنيف) ص37: (إن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: 27].

ومعنى هذا: أنه لو فرض البحر مداداً، وبعده سبعة أبحر تمده كُلُّها مداداً، وجميع أشجار الأرض أقلاماً. وهو ما قام منها على ساق من النبات والأشجار المثمرة وغير المثمرة، وتستمد بذلك المداد، لفنيت البحار والأقلام، وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد.

تعالى فتقابل وجهه الكريم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1].

ولا كلم أطيب من هذه الكلمات، ولا عمل أصلح من إقبال العبد عليها، وتعمل جنانه ولسانه بها، لأن معنى **لا إله إلا الله نَفْيُ** كل معبود من دون الله وطرح كل إله ما دون الله وإثبات الوحدانية لله، فنفت الألوهية أولاً عن كل موجود، ثم أثبتتها لواحد في الوجود وهو الله تعالى وجاءت بكلمة - لا - التي هي للنفي والتبرئة وهي نهاية الاستغراق في النفي وما أوجبت بعدها فهو نهاية الإثبات في الإيجاب لأنك إذا قلت: لا رجل في الدار إلا واحد كان أوجب وأثبت من قولك: في الدار رجل واحد.

ومعنى **سبحان الله** تبرئة لله وتنزيهاً مما يضاف إليه مما لا يليق به وهو منصوب على المصدر ولم ينطق له بصدر، فإذا صرف الفعل قيل: سبحت الله تسبيحاً، أي نزهت ذاته عن مشابهة الذوات ونزهت أسماءه وصفاته عن مشابهة سائر الأسماء والصفات، ونزهت أفعاله عن مضاهاة أفعال المخلوقين في المباشرة والاستعانة بالأدوات فتنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومعنى **الله أكبر**: أي الله الكبير المطلق لا على طريق الإضافة لأنه لا إضافة بينه وبين مخلوق، بل هو الأكبر الذي لا كبير في الوجود سواه وما كان في الوجود من كبير كالعرش والكرسي فهو بإضافته إلى ما في الوجود من صغير، وكذلك بالعكس. وليس في الوجود ما يضاف إليه فيقال فيه صغير بالإضافة إلى الله تعالى لأنه ليس بين الخالق والمخلوق إضافة.

ومعنى **الحمد لله**: الثناء والمدح له خالصاً لاستحقاقه ذلك في ذاته وصفاته وأفعاله والشكر له صرفاً، لأنه أهل الشكر على ما أسدى من النعم وأبدى من الكرم وأفاض من العوارف ووهب من اللطائف ابتداءً منه من غير استحقاق منا لذلك، ولا لوجوب لنا عليه إذ يجل الخالق أن يجب لمخلوق عليه شيء.

---

(1) سورة فاطر، الآية: 10.

ومعنى **لا حول ولا قوة إلا بالله**: أي ليس للعبد حولٌ بذاته ولا قوة، لا يقدر على الخير إلا بعون ربه، ولا يحول عن معصيته إلا بعصمته فلا حول له ولا قوة، وإنما الحول والقوة بيد الله الذي يحيل ولا يحول ويقوي من شاء بقوته، ولا يستفيد هو قوة من غيره إذ هو القائم بذاته الغني عن من سواه، وكل مخلوق فمضطر إليه، ففي قولك: لا إلٰه إلا الله تبرؤ من اعتقاد الدهرية الذين ينكرون صانع العالم، وتبرؤ من المانية الذين يجعلون العالم بين إلٰهين: نور وظلمة، وتبرؤ من النصارى الذين يقولون ثالث ثلاثة. وبالجملة فبقولك: لا إلٰه إلا الله، تنخرط في سلك التوحيد وترتبط إلى الحق العدل وتنسلخ عن لباس التعطيل والكفر والشرك وتتوجه إلى الواحد الحق مالك الملك.

وفي قولك: سبحان الله، تتبرأ عما نسب إلى الله تعالى من الصاحبة والولد والشريك والظهير وتتبرأ من اعتقاد من يجعل وجود العالم لازماً ضرورياً بغير إرادة واختيار، وتتبرأ من كل من يُشبِّه بين الله تعالى وبين الخلق في الأسماء والصفات أو الأفعال. وعلى الحقيقة بقولك: سبحان الله تنزه الله في ذاته وصفاته وأفعاله عن مشابهة غيره في نقص أو كمال بل هو المتعالي عن مشابهة المخلوقين في كمالهم كما هو المنزه عن مشابهتهم في نقصهم، ولله المثل الأعلى.

وفي قولك: الله أكبر، تتبرأ من اعتقاد من يرى العالم بلا نهاية من الطرفين وأنه لا يزال ولم يزل، وأن الكبير إنما يطلق على غير المتناهي وأن في العالم أشياء لا نهاية لها، فإذا قلت: الله أكبر، جعلته تعالى هو الكبير وحده الذي لا افتتاح لوجوده أولاً ولا نهاية لبقائه سرمداً، وأن كل موجود فمتناه، وأن ما خلق للبقاء فهو مخلوق بعد عدم كالجنة وما أشبهها، وأن كل مركب في الدنيا فإنه ينحل ويستحيل إذ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

---

(1) سورة الرحمٰن، الآيتان: 26 ـ 27.

وفي قولك: الحمد لله، تتبرأ ممن يرى أن ورود النعم ووجود العالم كان بالأواسط وأنه لولا حركة الأفلاك والطبائع والكواكب ما قام الحرث والنسل ولا وجد في العالم خير. فيضيفون الأفعال إليها وينسون الفاعل حقيقة، فأنت إذا قلت: الحمد لله أوجَبْتَ له الأفعال كلها، ونسيت الأواسط ولم تثبتها.

وفي قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، تتبرأ من مذهب القدرية والمعتزلة الذين يعتقدون أن للإنسان حولاً وقوة بذاته وإرادة يقدر بها على فعل الخير واجتناب الشر تخالف إرادة ربه سبحانه وتعالى. فإذا قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، انسلخت عن حولك وقوتك وإرادتك واختيارك وتبرأت عن شبههم ورفضت معتقدهم ومعتقد مشبهيهم.

فانظر هذه النكت النفيسة والأعلاق العزيزة التي أفدتك في هذا الباب، وإنما أقبستك يسيراً من كثير لأن هذا بحر لا يُدرك له ساحل، وغور لا يصل إليه واصل، فركب على هذا الأسلوب ما يضاهيه فيه تصل إلى الغرض المطلوب وإن لم تقف على تناهيه فلا نهاية لهذه الكلمات كما لا نهاية للأسماء والصفات وعين الذات، وسترى من الكلام ما هو أوفى وأشفى في كل باب على حدته إن شاء الله تعالى.

* * *

تتمة الباب بتنبيه نافع وشفاء ناجع

إذا فهمت عظيم فوائد هذه الكلمات وما احتوت عليه من الأنوار الطالعات، فاعلم أن استقرار هذه المعاني الشريفة والأسرار اللطيفة إنما هو في القلب النقي عن دنس الشهوات المكب على الفكر في ملكوت الأرض والسماوات، فمثل هذا القلب يتنسم من أنوار هذه الكلمات بأشرق نسمات، ويعبر اللسان عن حالة مستقرة في الجنان، فينطق بنور ويعود إلى القلب من نطقه نور فيكون نوراً على نور ويهد الله لنوره من يشاء.

وثواب هذا ليس له حد ولا انتهاء، فاللسان إذا لم يعبِّر عما استقر في القلب كانت حركته قليلة الجدوى، وكان القلب بالشهوات شديد الجوى لا يتبرد بماء الذكر ولا يروى، فما يستقر في قلبك من أنوار ذكرك هو الذي يبقى معك في قبرك إذا أبطل لسانك وبقي روحك وبه يتسع عليك ضريحك، فروح الروح في القبر إنما هو بما ارتسم فيه من نور الذكر، وهو سبب سراح النفس في رياض حظيرة القدس، وبها تنال غاية اللذاذة والأنس، فلا يكن لسانك بالكلمة جارياً، وقلبك عن معناها خالياً، فالمراد إنما هو المعنى وذكر القلب هو المقصد الأسنى، وجارحة اللسان تخدم القلب وتنطق بما فيه وتعبر عن جميع معانيه، ولذلك يتفاضل الذاكرون في الثواب تفاضلاً غير محصور، لأن ثواب الذاكر على قدر معرفته بالمذكور، فلا حد لما يفاض على الذاكر العارف من النور.

الباب الرابع

في الآثار الواردة
بفضل ثواب بعض هذه الكلمات على بعض
وسبب اختلاف العلماء في ذلك

قد بثت لك في الباب الثاني جملاً من الآثار الواردة بفضل هذه الكلمات على الجملة دون أن أورد أثراً في تفضيل ثواب البعض منها على البعض، وأذكر تعلق المتعلقين بالترجيح ثم آتي في الباب الذي بعد هذا بالنظر الصحيح الذي ينبغي أن يعتمد عليه ويلجأ إليه.

فمما ورد في فضل لا إلٰه إلا الله على الخصوص، قوله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إلٰه إلا الله**»[1].

وقوله ﷺ: «**أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله**»[2].

فقال من تعلق بهذا: لا إلٰه إلا الله أفضل الأذكار، لأن لفظة افعل، إنما هي للمفاضلة بين الأشياء المشتبهة، وقد قال ﷺ - أفضل - فدل على أنها أفضل من غيرها. وقال أيضاً في الحديث الثاني تصريح بفضل ثواب لا

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في الدعاء **215/1**.

(2) رواه ابن ماجه (**3800**)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (**831**)، وابن حبان في صحيحه (**843**)، والحاكم **498/1**، وصححه ووافقه الذهبي، وهو من حديث جابر رضي الله عنه.

إلٰه إلا الله على الحمد لله، لأن الذكر أفضل من الدعاء لقوله ﷺ: «**فضل الذكر على الدعاء كفضلي على أمتي**»[1].

ولا حجة للمتعلق بهذين الحديثين. أما قوله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إلٰه إلا الله**» فيتأول على وجوه:

أحدها: أن يريد ﷺ بقول لا إلٰه إلا الله القول العقدي الذي هو شرط الإيمان وسبب لوجوده الذي لا تغني عنه كلمة أخرى ولا تسد مسده، وهذا لا تقع المفاضلة فيه بينه وبين سائر الأذكار لأنه من لم ينعقد إيمانه بهذه الكلمة، فلا ينفعه ذكر، وإنما المراد بترجيح ثواب البعض منها على البعض إذا كانت أذكاراً ينطق بها لطلب الثواب المركب على عقد الإيمان، فإذا احتمل الحديث هذا التأويل فلا حجة فيه ويتشعب هذا الوجه من التأويل إلى ثلاثة شعب:

أحدها: أن يكون المعنى: أفضل قولي وقول النبيئين من قبلي هذه الكلمة أي هي المبتدأة بالفضل وغيرها تابع لها.

والثانية: أن يكون أفضل قولي للناس في دعائهم إلى الله تعالى لأنه ﷺ أول ما بعث كان يقول: «**يا أيها الناس قولوا: لا إلٰه إلا الله تفلحوا**».

والثالثة: أن يكون أفضل صيغة وضعت لإثبات التوحيد لا إلٰه إلا الله، إذ له صيغ كثيرة كقولك ـ الله واحد، وإنما الله إلٰه واحد إلى غير ذلك.

ووجه ثان من التأويل: أن تكون هذه الكلمة بمعنى الذكر لا بمعنى القول العقدي، ولكنه ﷺ ذكرها مفردة، فنبّه على عظيم فضلها وجزيل ثوابها حيث لم يقرن معها غيرها فيحتاج إلى تفصيل وهذا كما يقول القائل في مجلس: زيد أفضل الناس، ثم يقول في مجلس آخر: عمر أفضل الناس، ولا يتناقض الكلام لذكرهما على الانفراد، فإذا جمعهما في الذكر احتاج إلى تبيين الفضيلة بينهما، وعلى هذا أخرجت الأحاديث في فضل

---

(1) لم أقف عليه.

بعض الأنبياء على بعض وفضل الصحابة حتى قال ﷺ في أبي بكر: «**هو أحب الناس إليّ**»، وقال في أسامة: «**إنه من أحب الناس إليّ**»، إلى غير ذلك مما ورد في الآثار حتى أوجب ذلك اختلاف العلماء، وإنما كان هذا لأن لكل مذكور من هذه الأشياء منزلة وفضيلة إذا ذكرت مفردة نبه على فضلها واختصت بالتعظيم فإذا ذكرت مع غيرها قيّدت وخصصت وبيّنت حتى يرتفع اللبس.

ألا ترى كيف أثنى رسول الله ﷺ على أصحابه على العموم وخصَّهم أيضاً على الانفراد، ثم لما احتاج إلى تبيين الأفضل نبَّه عليه وأشار إليه، فقال ﷺ: «**لا تَبْقَيَنَّ خوخةٌ في المسجد إلا سُدَّتْ إلا خوخة أبي بكر**»(1)، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فلكل كلام بساط وبحسب ذلك تجده مختلفاً في الظاهر، إذا لم تعلم بساطه فإذا علمت السبب الذي خرج عليه الكلام اتفقت معانيه، وهذا معنى لطيف جداً. وقد ورد في الشرع كثيراً فتأمله، فيه تتلفَّق لك الاختلافات الظواهر.

ووجه ثالث من التأويل: أو يكون المعنى من أفضل ما قلته، أي من الأشياء المقولة الفاضلة لا إله إلا الله، فلا تقتضي بهذا التأويل فضيلة على غيرها كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أول ما خلق الله العقلُ**»(2). وفي حديث

---

(1) رواه البخاري **73/5**، ومسلم **108/7**، والنسائي في فضائل الصحابة **2**، وابن حبان **(6861)**، والبغوي **(3821)**، وصحيح الترمذي للألباني **(2893)**، وهو جزء من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إن عبداً خَيَّرَه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**». فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله بآباءنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ من أمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة، إلا خوخة أبي بكر**».

معنى الخوخة: الباب الصغير داخل الباب الكبير.

(2) يقول ابن قيِّم الجَوزيَّة في (المنار المنيف) **66**: (أحاديث العقل كلها كذب).

آخر: «**أول ما خلق الله القلمُ**». وفي حديث ثالث: «**أول ما خلق الله الروح**» فيكون المعنى: من أول ما خلق الله، أي من أول المخلوقات ويكون خلقه دفعة واحدة لا على الترتيب في الوجود، وإن احتمل أن يكون لها رتبة في الفضل بعضها على بعض، وهذا سرٌ شريف ومعنى لطيف، فتأمّله.

ووجه رابع من التأويل: أن يكون اختصاص لا إلٰه إلا الله بالفضيلة على غيرها في أول الإسلام لتتدرب الألسنة بذلك، إذ كانوا لم يتعودوها فأراد ﷺ أن تشيع على ألسنتهم وتكون هجيراهم، ولذلك قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من حلف باللاّت والعزى، فليقل لا إلٰه إلا الله**»[1]، جعلها كفارة لمحو ظلمة الكفر، وجلاء لدهمة الرسم المعتاد في النطق والاعتقاد، فإذا احتمل الحديث هذه التأويلات فلا حجة لفضل ثواب هذه الكلمة على سائر الكلمات.

وأما الحديث الثاني: «**أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله**»[2] فيضاهي هذا الحديث في التأويل، إذ يحتمل أن يكون المعنى أفضل الذكر العقدي، أي أفضل الذكر المنبىء عن الاعتقاد، إذ الإيمان عقد بالقلب ونطق باللسان. وأما فضيلة ثواب لا إلٰه إلا الله على الحمد، إذا كانت لا إلٰه إلا الله ذكراً وكانت الحمد لله دعاء، فصحيح لا اعتراض فيه، ولكن بقي أن يقال الحمد لله هل تكون ذكراً أم لا؟ وهذا سأوضحه في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومما ورد في فضل سبحان الله، قوله ﷺ: «**أحب الكلام إليَّ سبحان الله وبحمده**»[3]، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أفضل الكلام ما اصطفاه الله لملائكته وعباده سبحان الله وبحمده**»[4]. فقال من تعلق بهذا:

---

(1) أخرجه عبدالرزاق (15931)، وأحمد 309/2، والبخاري 176/6 و 33/8 و 165، ومسلم 81/5، والترمذي (1545)، وأبو داود (3247)، وابن ماجه (2096)، وابن حبان (5705)، والطبراني في الأوسط (9153)، والبيهقي 148/2، والبغوي (3433)، وصحيح الجامع الصغير (6216).

(2) سبق تخريجه.

(3) صحيح مسلم (2731)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (424 و 825)، والترمذي (3593)، وقال: حديث حسن صحيح.

(4) صحيح مسلم (2731).

سبحان الله أفضل الأذكار ثواباً، وهذا قول ضعيف، ولا نورد عليه تأويلاً في الرد بل من نفس الحديث نرد عليه ومن أحاديث أخر، لأن الحديث لم ينطلق على التسبيح مفرداً، إنما ذكر عليه السَّلام تسبيحاً ثم عطف بتحميد فبجموعي الكلمتين وقع الثواب العظيم. ألا ترى أن في حديث آخر: **«التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه»** فضاعف ثواب التحميد على التسبيح.

فإن قلت: فلعله ساوى في هذا الحديث بين التسبيح والتحميد إذ قال: **«التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه»**، فيكون القائل إذا قال سبحان الله كان ثواب هذه الكلمة نصف الميزان، فإذا قال الحمد لله كان ثوابها النصف الثاني، فامتلأ الميزان بالكلمتين معاً. فاعلم أن في الحديث الصحيح ما يبين أن التحميد على انفراده يملأ الميزان. قال ﷺ: **«الوضوء شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»**[1]، وهذا حديث صحيح، فلا حجة إذاً للمتعلق بتفضيل ثواب سبحان الله على سائر الأذكار.

ومما ورد في فضل ثواب الحمد لله قوله ﷺ: **«من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال لا إلٰه إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة»**[2]. فالمتعلق بتفضيل ثواب التهليل على التسبيح، وثواب التحميد على التهليل بهذا الحديث لا حجة له في ذلك قاطعة لأنه يحتمل أن يقال له: خرج الحديث على الاجتماع، أي بمجموع هذه الكلمات تكون له ثلاثون حسنة، لا أنه يعطى بالتسبيح عشراً، وبالتهليل عشراً، وبالتحميد ثلاثين، بل يعطى عشراً عشراً لكل كلمة، وهذا محتمل فبقي طلب حديث لا يحتمل التأويل ليرتفع الإشكال وينحسم الخلاف. وهذا ستراه في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) مجمع الزوائد (87/10)، رواه أحمد والبزار.

خاتمة الباب بمعان حسان، واضحة البيان

اعلم أن من الناس من فضَّل ثواب بعض هذه الكلمات على بعض كما تقدم.

ومنهم من قال: **لا تفضيل بينهما، إذ كل كلمة منها صفة لله تعالى** ولا تدخل الفضيلة في صفات الله تعالى، وهذا لا شك فيه. وليس المراد بالتفضيل نفس الصفات، إنما المراد بذلك الثواب الحاصل للذاكر على ذكره، والله يضاعف الثواب لمن شاء. ألا ترى أن القرآن كلام الله تعالى وهو صفة ذاته، وقد قال ﷺ: «**أعظم آية في كتاب الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾**»[1]، وقال: «**هي سيدة آي القرآن**»[2]، وقال: «**﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن**»[3] إلى غير ذلك مما قد أوردناه في كتاب (أنوار الأذكار)[4]. وإنما المراد بذلك كله تفضيل ثواب الذاكر، لا تفضيل الصفات بعضها على بعض.

ومنهم من قال: **لا يفضل بين كلمة وكلمة كما لا يفضل بين الماء والخبز**، لأن كل كلمة لا تتنزل منزلة صاحبتها كما لا يتنزل الماء للجائع

---

(1) رواه مسلم (810)، وأبو داود (1460)، وأحمد 142/5.

(2) ضعيف، رواه الترمذي (2878)، والحاكم 159/2 ولمتنه شواهد يتقوى بها.

(3) رواه الترمذي (2899)، وابن ماجه (3787)، صحيح الترمذي للألباني (2322).

(4) لم يصل إلينا هذا الكتاب.

منزلة الخبز، ولا الخبز للعاطش منزلة الماء، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، وهذا يحتاج إلى نظر إذ الجائع محتاج إلى الخبز مستغن عن الماء، والعاطش محتاج إلى الماء مستغن عن الخبز، ولا يستغني أحد من عباد الله تعالى عن كلمة من هذه الكلمات بوجه من الوجوه، ولا في حال من الأحوال، وإن لم يُفرض عليه ذكرها بلسانه دائماً فإنه فرض عليه اعتقادها بقلبه وأنها صفات ربه لا ينفك هذا الاعتقاد عن قلبه. فالإنسان في الحاجة إلى هذه الكلمات كجائع عاطش مثلاً في حالة واحدة لا يتم شفاء نفسه إلا بالجمع بين الماء والخبز. نعم قد تطرأ على الإنسان أحوال تكون بعض هذه الكلمات أوفق لحاله من بعض كما إذا جرى ذكر معبود دون الله تعالى قال: (لا إلٰه إلا الله) كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من حلف باللاَّت والعزى فليقل: لا إلٰه إلا الله**»[1].

وكما أنه إذا اطلع على مخلوق عظيم كالبحر وما أشبهه أو طلوع الشمس والقمر فيقول: (الله أكبر)، وكما أنه إذا رأى صنعاً عجيباً أو حدثت آية في السماء أو في الأرض من كسوف أو رعد أو برق أو زلزلة قال: (سبحان الله)، وكما أنه إذا وردت عليه بشرى أو قابلته نعمة قال: (الحمد لله)، وكما أنه إذا رأى قوياً تسلَّط على ضعيف قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

ألا ترى أن الشرع قد خصص لكل كلمة منها مقاماً في الصلاة فجعل التكبير في الافتتاح وفي كل رفع وخفض، والتحميد في القراءة، والتسبيح في الركوع والسجود، والتهليل في التشهد.

وكذلك كان من الصحابة رضي الله عنهم من هجيراه بعض هذه الكلمات أكثر من بعض، فكان أكثر ما يجري على لسان الصديق رضي الله عنه التهليل، وكان أكثر ما يجري على لسان الفاروق رضي الله عنه التكبير، وكان أكثر ما يجري على لسان عثمان رضي الله عنه التسبيح، وكان أكثر ما

---

(1) سبق تخريجه.

يجري على لسان علي رضي الله عنه التحميد. فأي كلمة رأيت قلبك بها آنَسَ ونفسك بها أنور، فثابر عليها حتى إذا بلغت من الذكر لحدّ مًا ورأيت نفسك قد باشرها فتور فانتقل إلى كلمة أخرى كمن ينتقل من رياض إلى رياض أو من مطعوم شهي لآخر مثله. ولتكن عنايتكِ أولاً بالتفقه في معانيها ثم بإجراء ذكرها على قلبك بفكر صادق، ثم تكون حركة اللسان عن نور مستقر في الجنان، فتكون قد جمعت بين العلم والعمل الباطن والظاهر فتلقى الله تعالى بقلب طاهر.

الباب الخامس

في تحقيق الكلام على أي هذه الكلمات أعظم ثواباً بالدليل الأثري، والتأويل النظري

اعلم أن ربط هذا الباب إنما هو بالأثر، وبعد تصحيح الأثر يحسن النظر ويصح القياس ويوثق به إذا قام عليه دليل شرعي، وبه يفحم الخصم ويسكت المجادل وينقطع المناظر. فنقول: كلمة لا إله إلا الله إذا كانت بمعنى الذكر المركب على عقد الإيمان هي التي يقع التفضيل بين ثوابها وثواب غيرها، إذ من لا إيمان له لا عمل له. وقد وردت أحاديث محتملة ووقع الاختلاف في تأويلها وتعلق كل فريق بدليل، ولكن إن ورد حديث لا يحتمل التأويل لجيء إليه واعتمد عليه. وها أنا أورد عليك حديثاً خرجته الأئمة مصرحاً بفضل ثواب الحمد لله على سائر الأذكار يرفع التأويل ويشفِ الغليل والأوار.

خرج النسائي والبزار والبغوي رحمهم الله تعالى من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة أو حطَّ عنه عشرون سيئة، وإذا قال والله أكبر فمثل ذلك، وإذا قال لا إله إلا الله فمثل ذلك، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة أو حط عنه ثلاثون سيئة**».

فهذا الحديث الذي خرَّجه الأئمة كاشف للغطاء، مُسقط للاختلاف والآراء، نقلته من كتاب البغوي[1] وفيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: التسوية بين التهليل والتسبيح والتكبير في الثواب.

الفائدة الثانية: تفضيل الحمد لله على سائر الأذكار.

الفائدة الثالثة: أن الحمد لله إنما يعظم ثوابها على غيرها، إذا كانت بمعنى الذكر لقوله عليه السَّلام: «**فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه**» أي يحمد الله على طريق المدح والثناء لا لِمِنَّةٍ طرأت عليه ولا لنعمة سيقت إليه فيكون حمده من قسم الذكر لا من قسم الشكر.

فإذاً الحمد لله على قسمان:

1 ـ قسم تكون فيه بمعنى الذكر كالتسبيح والتكبير.

2 ـ وقسم تكون فيه بمعنى الشكر على النعمة والدعاء لطلب الزيادة. قال ﷺ: «**ما يضاعف شيء من الأذكار ما يضاعف الحمد لله**» فجعلها ها هنا ذكراً. وقال ﷺ: «**أفضل الدعاء الحمد لله**» فجعلها ها هنا دعاءً فلها قسمان ضرورة كما قسمناها، فإذا دخلت في قسم الذكر كان ثوابها أعظم من ثواب سائر الأذكار، وإذا دخلت في باب الدعاء كان ثوابها أعظم من ثواب سائر الأدعية. ولكن لا يكون ثوابها إذا كانت بمعنى الدعاء كثواب سائر الأذكار لأن باب الذكر أعظم من باب الدعاء لقوله ﷺ: «**فضل الذكر على الدعاء كفضلي على أمتي**»، وقوله ﷺ: «**يقول الله تعالى: إذا شغل**

---

(1) هو أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت **516هـ**) قال عنه الذهبي (المفسر، صاحب التصانيف)، لقب البغوي بـ (محيي السنة) لجهوده في الحديث الشريف وله فيه أربعة كتب:
- (شرح السنة)، وعليه اعتمد ابن الأقليشي.
- (مصابيح السنة).
- (الجمع بين الصحيحين).
- (أربعون حديثاً).

عبدي ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1].

فبيّن عليه السَّلام أن ثواب الذاكر أعظم من ثواب الداعي فألمح هذا الباب بنظر صادق، تقف منه على غاية الحقائق، والله هو الذي يلهم القلوب إلى الدقائق.

وقد خرَّج البزار والبغوي وأحمد رحمهم الله حديثاً طويلاً أن حبشياً سأل رسول الله ﷺ عن أشياء وفي آخره أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أخا الحبشة من قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة»**[2].

وهذا أيضاً مُقوٍّ للحديث الأول في تفضيل ثواب الحمد لله.

---

(1) حديث قدسي. وقد ورد عند الإمام الترمذي بصيغة: (قال رسول الله ﷺ: «**يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**» جامع الترمذي في أبواب فضائل القرآن **45/5**، حديث **(2926)**، وأخرجه أيضاً الدارمي **(3359)**، وابن نصر في قيام الليل **71/1**، والبيهقي في الأسماء والصفات **372/1**، وضعيف الترمذي للألباني **(562)**، وسلسلة الأحاديث الضعيفة له **(1335)**.

(2) سبق تخريجه.

خاتمة الباب

بدليل واضح، وتأويل لائح

قال ﷺ: «**التكبير يملأ ما بين السماء والأرض**» أي نور ثوابه يملأ فضاء العالم الذي بين السماء والأرض. وقال ﷺ: «**لا إلٰه إلا الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض**» أي ثواب كل واحدة منهما، فساوى بينهما في الفضيلة. وقال ﷺ: «**التسبيح يملأ ما بين السماء والأرض**» فساوى بينه وبين التهليل والتكبير في الثواب. وقال ﷺ: «**التسبيح نصف الميزان**». وقال ﷺ: «**الحمد لله تملأ الميزان**» فضاعف ثواب التحميد على التسبيح، والتسبيح مساوٍ للتهليل والتكبير، فصار ثواب الحمد لله بهذا التأويل مضاعفاً على التسبيح والتكبير والتهليل. فتلفقت هذه الأحاديث مع الأحاديث المتقدمة في تفضيل ثواب الحمد لله، فقام الدليل وصح التأويل في فضل ثواب الحمد لله، ثم إذا تأملت قوله ﷺ في أن ثواب التهليل والتكبير والتسبيح يملأ ما بين السماء والأرض وأن ثواب الحمد لله يملأ الميزان علمت أن ما يملأ الميزان الذي هو من عالم الآخرة أعظم مما يملأ الفضاء الذي بين السماء والأرض الذي هو من عالم الدنيا، فما الدنيا في الآخرة إلا كنقطة في البحر، وأعمال الخلق أجمعين منذ خلق الله تعالى الدنيا إلى يوم يفنيها تجتمع في الميزان يوم القيامة، فناهيك بهذا عظيماً، ثم إذا تأملت من طريق النظر رأيت أن قولك لا إلٰه إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر تنطوي تحت كلمة الحمد لله، إذا كانت بمعنى المدح والثناء، إذ معنى لا إلٰه إلا الله نفي كل معبود سوى الله، ومعنى سبحان الله تنزيهه سبحانه عما لا يليق به، ومعنى الله أكبر وصفه بالكبرياء التي انفرد بها،

ومعنى الحمد لله استحقاقه لنعوت الجلال كلها وتفرده بأوصاف الكمال كلها في ذاته وصفاته وأفعاله فهي أعمها كلها.

سؤال: فإن قلت: قد أوردت حديثاً أن من قال سبحان الله فله عشر حسنات، وأوردت حديثاً ثانياً أن من قال سبحان الله فله عشرون حسنة، فكيف الجمع بينهما؟.

فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الأشخاص في اليقين والإخلاص، فيُسبح الله شخص ويعطى عشر حسنات، ويسبحه آخر ويعطى عشرين حسنة، ويختلف الأوقات على شخص واحد فيثاب في وقت على ذكره أكثر مما يثاب في وقت آخر على مقدار صفاء قلبه وشغل سره بربه ويعطى العاملون أعداداً متساوية من الحسنات ويزدادون في عظم ذواتها فتملأ حسنة هذا ما بين السماء والأرض، وتملأ حسنة هذا الأرضين والسماوات السبع، وتعلو حسنة هذا إلى العرش، والله يختص بفضل ثوابه من شاء، ألا تسمعه تعالى يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾(1)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾(2)، ومضاعفة الله تعالى وزيادته غير محدودة ولا محصورة وقلوب أوليائه سحائب ممطورة، فلا حدَّ لما يفيض عليهم من أنواره، ولا تعلم نفس ما يخصهم به من الكرامة إذا وصلوا إلى جواره تعالى. فعلى مقدار تعلق القلوب بالله وقطعها لكل علاقة سواه يتضاعف لها ثواب الله. ولذلك تجد الأحاديث في هذا الباب تختلف في مضاعفة الثواب فإن ركبت هذا الأسلوب وصلت إلى الغرض المطلوب، والله تعالى الموفق للصواب.

وقد فرغنا الكلام على الخمسة أبواب التي هي كالتوطئة للكتاب، وها نحن نشرح كل كلمة من الكلمات الخمس في باب منفرد ونقصد في ذلك أحسن مقصد ونبدأ بالكلام على التهليل، إذ التوحيد أصل الأصول، وحسبنا الله فيما نقول وهو نعم الوكيل.

---

(1) سورة الحديد، الآية: 11.

(2) سورة الشورى، الآية: 23.

الباب السادس

في التهليل وفضله وما وعد الله من الثواب الجزيل لأهله، ويشتمل على أنوار وحقائق وأسرار ودقائق لمناهج أثرية ومعارج نظرية:

قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾(1)، فبدأ أولاً بنفسه سبحانه، لأن شهادته من نفسه لنفسه بألوهيته التي لم تزل حين كان وحده ولم يكن في الأزل معه غيره ثم خلق الملائكة في حضرة القدس وجعلها مشاهدة لأمره وأطلعها على ما شاء من أمره واضطرها إلى الشهادة بوحدانيته حيث لم ترَ معه غيره فآمنوا إيمان يقين ومشاهدة فعطف بهم على نفسه في الشهادة بتوحيد، إذ هم أول مخلوق للعبادة، ثم خلق آدم ومسح ظهره وأخرج منه ذريته أمثال الذر وأسمعهم كلامه القديم الذي لم يزل به متكلماً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾(2)، فلما أشهدهم على أنفسهم شهدوا له بالوحدانية سبحانه وتعالى فقالوا: بلى. ثم أخرجهم إلى الوجود في هذه الدار وأظهر لهم الآيات ونصب لهم الدلائل والعلامات على أنه إله الأرض والسموات، ثم ذكرهم بالكتب والرسل لئلا ينسوا ذلك العهد القديم الذي أخذه عليهم فمنهم من تذكر فلم ينس وآمن إيمان استدلال ونظر واعتبار وتدبر وهم الذين عطف الله تعالى بهم على ملائكته فقال: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 18.

(2) سورة الأعراف، الآية: 172.

وأعظمهم مرتبة الرسل والأنبياء الذين أرسل الله الملك إليهم وأفاض نور الوحي عليهم، ثم الأولياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ثم العوام أتباع الأنبياء الموحدون بالتقليد وهم داخلون في زمرة أهل التوحيد لأنهم لما ذُكروا بخالقهم تذكروا ولم يعرجوا عن طريق الحق ولا نفروا فهم إذا امتثلوا ما أمرهم به نبيهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم من المتبوئين في روضات الجنات ومن لم يلحق هؤلاء المقلدين بالمؤمنين فما درج على الحق المبين. إذ الإيمان في أصل اللغة هو التصديق، وهم قد صدقوا نبيهم فيما جاءهم به من التوحيد، فإن قيل لا يكون الإنسان موحداً حتى يستدل على صانعه بآثار صنعته ويعلم الدليل على أن هذه الصنعة لها صانع وأن الصانع واحد، إذ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾(1).

فنقول: وهؤلاء لما صدقوا نبيهم في أن لهم إلٰهاً واحداً علموا أن كل ما في الوجود فمن صنعته وأنه لا شريك له. نعم، من الناس من هو أبداً شديد البحث والتفكر في قلبه والاعتبار في آيات الله خالقه، فكلما زاد اعتباره زادت عظمته في قلبه، فهذا نور أيضاً أقوى وإيماناً، وهذا من العلماء وهم مُتفاوتون في هذه الرتبة قادرون على دفع شبه المجادل وقمع المعاند، وأما أهل التوحيد من العوام، فالتوحيد ثابت في قلوبهم وهم مشتغلون بأمورهم فلو أراد مشكك أن يشكك أحداً منهم في إيمانه لم يقدر عليه ولا التفت هذا المقلد إليه، إذ التوحيد في قلبه ثابت بتصديقه لنبيه وبما ألقى الله في قلبه من نور يقينه ولكنه مقصر عن مرتبة العالم. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾(2).

تنبيه: اعلم أن الإيمان العقدي الذي ضده الكفر لا يزيد ولا ينقص لأنه عقد في القلب ثابت بالعلم، بأن الله تعالى واحد، لأنه ارتباط القلب وانعقاده على علم مَّا، ولو نقص لاختل العقد وعلى هذا قال المتكلمون: يتماثل إيمان جميع الموحدين من الملائكة والنبيئين وسائر المؤمنين.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(2) سورة المجادلة، الآية: 11.

وإنما الإيمان الذي يزيد وينقص هو اليقين وهو الذي لا نهاية له[1] وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[5]، وقال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[6]، أي ليزداد يقيناً.

وقال ابن مسعود: اليقين هو الإيمان كله. وقال ﷺ: «**من أجل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطي من ذلك شيئاً لم يُبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار**»[7]. وزيادة هذا الجزء من الإيمان إنما هو بالطاعة، ونقصانه إنما هو بالمعصية، فمن كان مؤمناً مسلماً محسناً فقد ارتدى بأصفى رداء، وشرب من اليقين أوفى شرب.

فالإيمان هو عقد القلب والتصديق لكل ما جاء به الشرع من الغيب كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

---

(1) للعز بن عبدالسلام كلام نفيس في هذا المعنى يقول في رسالته (معنى الإيمان والإسلام) ص **20** ـ من تحقيق الأستاذ إياد خالد الطباع ـ ط. دار الفكر بدمشق ـ [الفائدة الثانية: في زيادة الإيمان ونقصانه: إن حُمل على التصديق بالقلب، فإن اتحد متعلقه كالتصديق بوجود الصانع أو بوحدانيته، فلا زيادة ولا نقصان، وإن تعدد التعلق، جاءت الزيادة والنقصان بحسب زيادة المتعلق به ونقصانه، وعلى ذلك يُحمل قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لأن الإيمان المزيد عليه كان متعلقاً بما سبق نزوله، فلما نزلت آيات أخر، فآمنوا بها ازدادوا بذلك إيماناً إلى إيمانهم السابق، نظراً إلى تعدد المتعلق به، وكذلك قوله: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فإنه طلب الزيادة باعتبار معلوم غير المعلوم الحاصل...). وللعز بن عبدالسلام جواب حول زيادة الإيمان ونقصانه في (فتاويه) ص**72** المسألة: **45** فانظره هناك.

(2) سورة التوبة، الآية: **124**.

(3) سورة محمد، الآية: **17**.

(4) سورة المدثر، الآية: **31**.

(5) سورة المائدة، الآية: **3**.

(6) سورة البقرة، الآية: **260**.

(7) أخرجه أحمد في (المسند) **7/1**، مع اختلاف في اللفظ. وأورده الطحاوي في مشكل الآثار **189/1**.

والإسلام هو أعمال الجوارح وامتثال الأوامر واجتناب النواهي كإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج وغير ذلك من القربات المفروضات مع سلامة المسلمين من يدك ولسانك، وأن تود لهم ما تود لنفسك، وقد يُعبَّر عن الإسلام بالإيمان، وعن الإيمان بالإسلام في هذا الفن، ويوضع أحدهما موضع الآخر وإن كان أصل الإيمان في اللغة هو التصديق. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[1]، أي بمصدق.

والإحسان هو مراقبة القلب لله تعالى في كل حركة وسكون، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

وفي جزء الإيمان اليقيني يتفاوت الخلق تفاوتاً غير محصور.

أما الملائكة فمن كان أقرب من الله تعالى وأعلى مرتبة في حضرة الربوبية كان يقينه أعظم وهيبته لله تعالى أكثر وحبه له أتم وخوفه منه أشد. قال رسول الله ﷺ: «**رأيت جبريل ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى كالحلس الملقى فعرفت فضل خشيته على خشيتي. فقال لي: فكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن العرش لعلى كاهله وإنه ليتضاءل أحياناً حتى يرجع مثل الوضيع لعظمة الله تعالى**»، ولذلك تتفاضل الرسل في اليقين.

قال ﷺ: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[2]، وقال ﷺ: «**إن عيسى مشى على الماء ولو ازداد يقيناً لمشى على الهوى**»[3]، ولذلك يتفاضل الأولياء. قال ﷺ: «**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء**

---

(1) سورة يوسف، الآية: **17**.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**» **96/1** حديث (**20**)، وهو حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين ص**36**، وهو من رواية إبراهيم بن الأشعث، ضعفه علماء الحديث. قال أبو حاتم الرازي: كنا نظن به الخير، فقد جاء بمثل هذا الحديث. وذكر حديثاً ساقطاً، (ميزان الاعتدال **20/1 ـ 21**).

وقر في صدره»[1]، وقال ﷺ: **«لو كان نبي بعدي لكان أبا بكر»**[2]، وقال في عمر رضي الله عنه: **«لو رآه الشيطان سالك فجّاً لسلك فجّاً غير فجّه»**[3]، وقال: **«لو كان نبي بعدي لكان عمر»**[4]، وقال في جملة أصحابه رضي الله عنهم على العموم ثم خصص منهم أربعة: **«إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيئين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة»**[5]، يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. فخصَّ أصحابه بالفضيلة على جميع العالمين ثم استثنى النبيئين والمرسلين، إذ خصوصية الوحي ليست لغير الرسل والأنبياء، ولذلك يتفاضل العلماء في اليقين، فمن كان أطلب بعلمه وجه ربه وأصون له عن ابتغاء عوض به من الدنيا كان يقينه أقوى[6].

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في (النوادر) من قول بكر بن عبدالله المزني **261**، باب: **220**، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء **24/1**: **لم أجده مرفوعاً**.

(2) هذا الحديث قيل في عمر بن الخطاب كما سيأتي.

(3) مجمع الزوائد **70/9**، باب: خوف الشيطان من عمر رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ.

(4) أخرجه أحمد في المسند **154/4**، والترمذي **(3686)**، والحاكم **58/3**)، وصحيح الترمذي للألباني **(2909)**، والسلسلة الصحيحة له **(327)**، وأخرجه الطبراني في الكبير **857/17**.

(5) لم أقف عليه.

(6) لقد كان السلف الصالح يطلبون العلم لله، وللعمل به وللقربة بكثرة الصلاة على نبيه ﷺ ولنفع الناس، أما اليوم فقد أصبح طلب العلم للمكاثرة أو المفاخرة أو ليتناول الوظائف، أو ليثنى عليه وعلى معرفته.
وما أصدق الحافظ الذهبي عندما علق على كلام الإمام هشام الدَّسْتُوائي حيث قال: (والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل).
قلت ـ الذهبي ـ: والله ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنُبلوا وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق. كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله النية بعد. وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضاً حسن ثم نشروه بنية صالحة. =

قال ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء»**[1]، وقال ﷺ: **«العلماء خلفاء الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم»**، فطلب العالم بعلمه وجه ربه يدل على شدة يقينه، وطلبه به عوضاً من الدنيا يدل على قلة يقينه، والثناء في الشرع على العالم الموقن كثير، وكذلك ذم الشرع للعالم الفاجر عظيم[2].

= وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نووا. قال عليه السلام: **«من غزا ينوي عِقالاً فله ما نوى»**. وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتباً لهم، فما هؤلاء بعلماء!.

وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضُهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدُر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رَعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتباً مثمنة يخزُنها وينظر فيها يوماً ما، فيصحف ما يورده ولا يقرره، فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: (ما أنا عالم ولا رأيت عالماً)، انظر: سير أعلام النبلاء (152/7 ـ 153).

(1) رواه أبو داود (3641) و (3642)، والترمذي (2682)، وابن ماجه (223)، وابن حبان (88)، والبيهقي في الآداب (1045) و (1046)، وفي الأربعين الصغرى (3)، وفي شعب الإيمان (1696) و (1697)، وابن عبدالبر في (جامع بيان العلم 37/1)، والطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في مسند الشاميين (123)، والبغوي (129)، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي).

(2) للتوسع في هذا الموضوع انظر كتاب (ذم من لا يعمل بعلمه) للحافظ ابن عساكر (ت 571هـ) وهو عبارة عن المجلس الرابع عشر من الأمالي. تناول فيه أحاديث وآثاراً وأشعاراً في ذم الذين يتعلمون العلم ثم لا يعملون بعلمهم، وفي ذم علماء السوء.

ومما جاء فيه أبيات لمحمد بن أبي علي الأصبهاني: =

قال ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي**»[1]، وهذا في العالم الموقن، وقال ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[2].

ولا تظن أن العلم بكثرة الرواية، وطول الدراسة، وتشقيق الكلام، وإفحام الخصم في المناظرة، إنما العلم ما أثمر اليقين والخشية وبعث على الحياء من الله والرهبة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

= اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل — لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته — والمتقون لهم في علمهم شغل
وحجة الله يا ذا العلم بالغة — لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به — لا يلهينك عنه اللهو والجدل
وعلم الناس واقصد نفعهم أبداً — إياك إياك أن يعتادك الملل
وعظ أخاك برفق عند زلته — فالرفق يعطف من يعتاده الزلل
وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم — فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا
فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر — واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا
فكل شاة برجليها معلقة — عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

(ذم من لا يعمل بعلمه ص 85 ـ 59).

(1) حديث موضوع. انظر: (ضعيف الجامع الصغير **578**).

(2) أورده الشوكاني في (الفوائد المجموعة) (**906**)، وقال: رواه الطبراني والبيهقي. قال في المختصر: ضعيف. وللحديث شاهد أخرجه الدارمي (**82/1**)، وابن المبارك في الزهد (**40**)، وأبو نعيم في الحلية **233/1**، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم **196/1** عن أبي الدرداء: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه).

(3) سورة فاطر، الآية: **28**.

وقد أجاد الحافظ ابن رجب الحنبلي في تفسير هذه الآية، وله فيها كتاب لطيف بيّن فيه كيف أن العلم يوجب الخشية.

يقول رحمه الله تعالى: (ومما يُبين أن العلم يوجب الخشية وإن فُقِد لا يستلزم الخشية وجوه.

أحدها: أن العلم بالله تعالى وما له من الأسماء والصفات كالكبرياء والعظمة والجبروت، والعزة وغير ذلك يوجب خشيته وعدم ذلك يستلزم فقد هذه الخشية.

الوجه الثاني: أن العلم بتفاصيل أمر الله ونهيه والتصديق الجازم بذلك ومما يترتب عليه من الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، مع تيقن مراقبة الله واطلاعه ومشاهدته، =

وقال ﷺ: **«العلم علمان: علم باللسان فذلك حجة الله تعالى على آدم، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع»**[1]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذف في القلب». ولذلك تتفاوت العوام المقلدون في اليقين بمقدار التزامهم للطاعات وتركهم للمعاصي، إذ اليقين نور يقذفه الله في قلب من يختصه برحمته يمنع ذلك النور عن المنكر

= ومقته لعاصيه وحضور الكرام الكاتبين، كل هذا يوجب الخشية، وفعل المأمور وترك المحظور، إنما يمنع الخشية. ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور، والغفلة من أضداد العلم، والغفلة والشهوة أصل الشر.

الوجه الثالث: أن تصور حقيقة المخوف يوجب الهرب منه، وتصور حقيقة المحبوب توجب طلبه فإذا لم يهرب من هذا، ولم يطلب هذا دل على أن تصوره لذلك ليس تاماً.

الوجه الرابع: أن كثيراً من الذنوب قد يكون سبب وقوعه جهل فاعله بحقيقة قبحه وبغض الله له وتفاصيل الوعيد عليه، وإن كان عالماً بأصل تحريمه وقبحه لكنه يكون جاهلاً بما ورد فيه من التغليظ والتشديد ونهاية القبح فجهله بذلك هو الذي جرأه عليه وأوقعه فيه ولو كان عالماً بحقيقة قبحه لأوجب ذلك العلم تركه خشية من عقابه.

الوجه الخامس: أن كل من علم علماً تاماً جازماً بأن فعل شيء يضره ضرراً راجحاً لم يفعله فإن هذا خاصة العاقل فإن نفسه تنصرف عما يعلم رجحان ضرره بالطبع، فإن الله جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها فلا يفعل ما يجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً ولا نفع ذلك إلا مع ضعيف العقل، فإن السقوط من موضع عال أو في نهر مغرق والمرور تحت حائط يخشى سقوطه ودخول نار متأججة ورمي المال في البحر ونحو ذلك لا يفعله من هو تام العقل لعلمه بأن هذا ضرر ولا منفعة فيه، وإنما يفعله من لم يعلم ضرره كالصبي والمجنون والساهي والغافل. وأما العاقل فلا يقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر إلا لظنه أن منفعته راجحة إما بأن يجزم بأن ضرره مرجوح أو يظن أن خيره راجح كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار الخطرة للربح فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما فعل ذلك. وإنما أقدم عليه لترجيح السلامة عنده والربح وإن كان قد يكون مخطئاً في هذا الظن. ومثل هذا كثير فالفاعل للذنب لو جزم بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله لكنه يزين له ما فيه من اللذة التي يظن أنها مصلحة ولا يجزم بوقوع عقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو بعفو الله ونحو ذلك، وهذا كله من اتباع الظن وما تهوى الأنفس ولو كان له علم كامل لعرف به رجحان ضرر السيئة فأوجب له ذلك الخشية المانعة له من مواقعتها. (وانظر بقية هذه الوجوه في كتابه الذي فسر فيه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (ص 60 ـ 72).

(1) مشكاة المصابيح (270) عن جابر، وضعيف الجامع الصغير (3878)، وحكم الألباني بوضعه. وأيضاً: (سلسلة الأحاديث الضعيفة 3945).

والفحشاء ويبعث على التزام طاعة الله تعالى. فكلما التزم طاعة الله تعالى واجتنب عصيانه زاد هذا النور في القلب وقوي واتسع وانشرح. قال ﷺ: **«إن الإيمان يبدأ في القلب لُمظة بيضاء فكلما ازداد العبد من الأعمال الصالحة زادت تلك اللمظة فإذا غلبت على القلب فذلك الذي لا تضره فتنة»**[1]، وهذه اللمظة التي تبدأ في القلب هو الإيمان العقدي والزيادة التي تزيد بالعمل الصالح[2] هو نور اليقين.

واعلم أن الإيمان العقدي الذي لا يزيد ولا ينقص يعبر عنه باليقين كما يعبر اليقين الذي يزيد وينقص بالإيمان. قال ﷺ: **«الإيمان ستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[3]، فسمى الإيمان العقدي والعمل الصالح الذي يثمر اليقين إيماناً، وقال ﷺ: **«الحياء من الإيمان»**[4].

---

(1) اللُّمظة، بالضم: بمثل النكتة من البياض، ومنه فرس ألمَظ: إذا كان بجحفلته بياض يسير. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير **271/4**).

(2) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى: (القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب»**. وقال أبو هريرة: (القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبي هريرة تقريب. وقول النبي ﷺ أحسن بياناً، فإن الملك وإن كان صالحاً فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط كما قال النبي ﷺ: **«إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد»**.
فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر... (مجموع فتاوى ابن تيمية **187/7**).

(3) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان **71/1** حديث **(9)**، ورواه مسلم **(35)**، وأبو داود **(4076)**، والترمذي **(2614)**، والنسائي **110/8**، وابن ماجه **(57)**.

(4) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان **101/1** حديث **(24)**، ومسلم **(36)**، وأبو داود **(4795)**، والترمذي **(2615)**، والنسائي **121/8**، وابن ماجه **(58)**.

بسط حقيقة:

اعلم أن كل من قال لا إله إلا الله بلسانه مع قلبه وآمن بما جاء به الرسول ﷺ فنسميه مسلماً ومؤمناً وموقناً، وإن كان تاركاً لأعمال الطاعات مع الاعتراف بوجوبها مفارقاً لكبائر المعاصي مع الاعتراف بتحريمها.

أما تسميته مسلماً، فلأنه استسلم لربه في اعترافه له بالألوهية والإقرار له بالعبودية.

وأما تسميته مؤمناً، فلأنه صدق بأن الله واحد أحد. ولذلك أيقن بوحدانية الله تعالى فهو مسلم مؤمن موقن، وهذا كله هو عقد القلب لكنه يقال فيه إنه ضعيف الإسلام والإيمان، أي لم يثمر له هذا العقد المراقبة والخشية وسائر الصفات الشريفة وهو في خطر المشيئة، إما أن يقطع الله به عند الخاتمة عن كلمة التوحيد فيكون من الكفار المخلدين في النار، وإما أن يميته على الإسلام ويدخله النار بعصيانه ثم يخرجه منها متى شاء برحمته، وإما أن يغفر له فلا يعاقبه بالنار بفضله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[1].

وها أنا أورد آثاراً ملخصاً تعضد جناح هذا القول، وبالله القوة والحول:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك منها إلى قلب موقن إلا غفر له**»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: من لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة**»[3]، وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: «**عرض**

---

(1) سورة النساء، الآية: 48.

(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله 1248/2، حديث (3796) قال عنه الألباني: حديث حسن، (صحيح الجامع الصغير 5793).

(3) طرف من حديث قدسي رواه أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك. يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثُمَّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة**». أخرجه الترمذي (3540)، وانظر الأحاديث الصحيحة للألباني، حديث 39/1 حديث 727.

لي جبريل عليه السلام في جانب الحرة فقال لي: بشِّر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. فقلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر»(1)، وقال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ يوماً: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾»، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وإن رَغِمَ أنفُ أبي الدرداء**»، وقال ﷺ: «**لتدخلن الجنة كلكم إلا من تأبى وتمرد عن الله تعالى تمرد البعير عن أهله، فقيل: يا رسول الله من الذي يتأبّى؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله**»(2)، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم؟ فيخرج بطاقة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: عبدي، أحضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ قال: فإنك لا تظلم، قال: فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء**»(3). ولقي أبو بكر الصديق طلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما فقال له:

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (**153**) **94/1**، بلفظ: (أتاني جبريل عليه السلام، فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق.

(2) أخرجه الحاكم في (المستدرك). وانظر: صحيح الجامع الصغير (**5065**)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (**2044**).

(3) يُعرف هذا الحديث: بحديث البطاقة. رواه أحمد **313/2**، والترمذي **24/5**، وابن ماجه **1374/2**، وابن حبان **265**، والبغوي في شرح السنة **33/15**، والحاكم في المستدرك **6/1**.
وإسناده صحيح. صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي.. وصححه السيوطي في تدريب الراوي، والألباني في السلسلة الصحيحة **212/1**.
وأفرد هذا الحديث بجزء الحافظ حمزة الكناني (ت **357**هـ) سماه جزء البطاقة، وهو مطبوع.

ما لي أراك أصبحت راجياً؟ قال: كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ إنها موجبة فلم أسأله عنها، فقال أبو بكر: أنا أعلم ما هي: لا إله إلا الله.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة والأدلة واضحة منيرة تدل كل ذلك على أن المؤمن العاصي لا يخرجه عصيانه عن الإيمان ولا يخلد بالمعصية في النار. وها أنا أسند أيضاً هذا بالآثار:

قال رسول الله ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير**»[1]، وقال ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: أخرجوا من النار من ذكرني يوماً وخافني في مقام**»[2]، وقال ﷺ: «**إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قال: فما أغنى إسلامكم إذ أنتم معنا في النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله تعالى ما قالوا، فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون، فلما رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾[3]»، وقال ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً، رجل يخرج منها زحفاً فيقول: يا رب، قد أخذ الناس المنازل**»، قال: «**فيقال له: انطلق فادخل الجنة**»، قال: «**فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول: يا رب، قد أخذ الناس المنازل**»، قال: «**فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم،**

---

(1) أخرجه أبو داود الطيالسي (**1966**)، وابن أبي شيبة **31/11**، وأحمد **116/3**، **173**، وعبد بن حميد (**1173**) و(**1187**)، والبخاري **17/1**، و**11/6**، و **21**، و**144/8**، و**149/9**، ومسلم **123/1**، و**125**، والترمذي (**2593**)، وابن ماجه (**4312**)، وابن أبي عاصم في الزهد (**849**)، وأبو عوانة **184/1**، وأبو يعلى (**2889**) و(**2927**) و(**2977**) و(**2993**)، وابن حبان (**7484**)، والبيهقي في الأسماء والصفات **313/1**، والبغوي (**3458**).

(2) أخرجه أحمد في الزهد (**2164**)، والترمذي (**2594**)، والحاكم **70/1**.

(3) سورة الحجر، الآية: **2**.

فيقال له: تمنَّ»، قال: «**فيتمنى، فيقال له: فإن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟**». قال عبدالله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذُه[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على باب من أبواب الجنة**» قال: «**ويرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما يَنْبُت الغُثاء في حُمالةِ السَّيل ثم يدخلون الجنة**»[2].

وقال ﷺ: «**ليخرجنَّ قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون جَهنَّميِّين**»[3]، ومن أنكر أحاديث الشفاعة فقد شذَّ عن الجماعة ومن شذّ شذّ في النار.

وقال ﷺ: «**إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمصدقين المتقين بل للمخلطين المتلوثين**»[4].

فإن قلت: قد نجد آياً في القرآن وأحاديث في كلام الرسول ﷺ تعارض ما أوردت، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[5]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[6]، ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة 119/13، وأحمد 378/1، 460، وهناد في الزهد (207)، والبخاري 146/8 و180/9، ومسلم 118/1 و119، والترمذي (2595)، وابن ماجه (3439)، وابن خزيمة (159)، وأبو يعلى (5139)، وأبو عوانة 165/1، وابن حبان (7427)، (7431)، (7475)، والطبراني في الكبير (10339)، وابن منده (842)، والبيهقي في البعث والنشور (95)، (103).

(2) أخرجه أحمد 391/3، والترمذي (2597)، والبغوي (4359)، حديث صحيح.

(3) أخرجه أحمد 434/4، والبخاري 145/8، وأبو داود (4740)، والترمذي (2600)، وابن ماجه (4315).

(4) صحيح الجامع الصغير (2157).

(5) سورة النساء، الآية: 93.

(6) الفرقان: 68.

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[1]، ثم استثنى الله تعالى التائب فقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾.

فيدل هذا على أنه من لم يتب فهذا الوعيد عليه نافذ.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾[2].

وأما الآثار: فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[3]، ولكن التوبة معروضة. وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لأبويه ولا من في قلبه مثقال خردلة من كبر**»[4]، وقال ﷺ: «**من علامة المنافق إذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[5].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان فوق رأسه كالظلة، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان**»[6].

وفي حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله**

---

(1) سورة الفرقان، الآية: **69**.

(2) سورة النمل، الآية: **90**.

(3) أخرجه أحمد **376/2** و**479**، والبخاري **204/8**، ومسلم **55/1**، وأبو داود **(4689)**، والترمذي **(2625)**، والنسائي **64/8**، والطبراني في الأوسط **(2543)**، وأبو نعيم في الحلية **257/8**، و**248/9**.

(4) أخرجه ابن ماجه **(3376)**، وصححه الألباني في الجامع الصغير **(7673)**، ورواه أيضاً الطبراني برواية ضعيفة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد **74/5** .رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلا أن عتاب بن بشير لم أعرف له من مجاهد سماعاً.

(5) في رواية: (آية المنافق ثلاث...) الحديث، أخرجه البخاري **(23)**، ومسلم **(59)**، وزاد مسلم: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم). وأخرجه الترمذي **(2631)**، وأبو عوانة **21/1**.

(6) أخرجه أحمد **276/2**، والبخاري **204/8**، ومسلم **55/1**، والترمذي **(2625)**، وأبو داود **(4689)**، والنسائي **64/8**.

إلا الله مخلصاً دخل الجنة»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**وإخلاصها أن تَحجُزَه عن ما حرم الله تعالى عليه**»[1].

وغير ذلك من الآيات والآثار، كلها تدل على نفي الإيمان مع العصيان.

فالجواب عن ذلك: أن هذا كله صحيح له معان حسان إذا أنت وقفت عليها تلفقت لك الأحاديث واجتمعت لك الآيات مع الآثار وزال اللبس وعلمت أن الله تعالى: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[3]، فرُوي عن ابن جريج وغيره: أنها نزلت في رجل بعينه من الأنصار قُتل له ولي فقبِل الدية ثم وثب فقتل القاتل بعد أخذه الدية وارتد، ويجوز أيضاً أن يكون المعنى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلاً لقتله فيكون لما أحلَّ ما حرم الله كافراً، والكافر بإجماع مخلد في النار. وروى ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في الآية: «**هذا جزاؤه إن جازاه**». وكذا روي عن ابن عباس وإبراهيم التيمي وغيرهما.

وقال الطبري[4]: جزاؤه جهنم حقاً ولكن الله يغفر ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها، إما أن يعفو فلا يدخلهم، وإما أن يدخلهم ثم يخرجهم بفضل رحمته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[5].

قال مالك رحمه الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، إنه ما دون الشرك.

---

(1) ضعيف. قال الهيثمي في مجمع الزوائد **18/1**، رواه الطبراني في الأوسط الكبير، وفي إسناده: محمد بن عبدالرحمن بن غزوان، وضّاع.

(2) سورة النساء، الآية: **48**.

(3) سورة النساء/93.

(4) جامع البيان **215/5**.

(5) سورة الزمر، الآية: **53**.

روي عن عمر رضي الله عنه: أنه لما نزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: والشرك يا رسول الله، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾... الآية.

وقال ابن عمر: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ لا نشك في قاتل المؤمن، وآكل مال اليتيم، وشهادة الزور، وقاطع الرحم - يعني لا نشك بالشهادة بالنار، حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

فهذه كلها معانٍ جليّة في معنى هذه الآية، وأن القاتل على عِظَم جرمه في مشيئة ربه إن شاء عذبه بمعصيته مدة مًا ثم أخرجه من النار بفضل رحمته، وإن شاء عفا عنه دون العذاب.

وكل ما ورد من الآثار في القاتل وأنه مستوجب العقاب فعلى هذا الأسلوب يتركب.

فأما الآية التي في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية[1]، فقال الضحاك: لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون: قد زعم أنه لا توبة لنا. فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾، أي: تاب من الشرك ودخل في الإسلام، وكان هذا بمكة. وقال الحسن: خاف قوم أن يؤاخذوا بما عملوا في الجاهلية فأتوا رسول الله ﷺ وذكروا الفواحش، وقالوا: قد قتلنا وفعلنا فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأثبت لهم الغفران مع التوبة، وفي ضمن الآية ومن فعل هذه الكبائر من المسلمين إذا كان لا يدعو مع الله إلهاً آخر ومات عليها دون توبة فهو في مشيئة الله بين العفو والحبس في النار مُدة مًا ثم يقع العفو.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾[2]، فلم

(1) سورة الفرقان، الآية: 68.

(2) سورة النمل، الآية: 90.

يختلف المفسرون أن هذه في الكفار. قال الحسن ومجاهد وقيس بن سعد: من جاء بالحسنة بلا إلٰه إلا الله، ومن جاء بالسيئة بالشرك، ولو كانت السيئة ها هنا المعصية لكان المعنى استحقاقهم إلا أن أعفو ويكون المعنى، فكبت وجوههم في النار زجراً على عصيانهم ثم تتداركهم الرحمة بعد ذلك. والآيات في القرآن من هذا النوع كثيرة، فاجعل أَمَلَك أن الله تعالى ينجز وعده للطائعين وأنه في إيعاده للعاصين بالخيار إن شاء عفا دون انتصاف وإن شاء عاقب مُدة مًّا ثم وقع العفو، إذ التوحيد حصن حصين، وركن متين.

قال النبي ﷺ: «**لو وضعت لا إلٰه إلا الله في كفة ووضعت السمٰوات والأَرضين وما بينهن وما فيهن في كفة لرجحت بهنَّ**»(1).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**من وعده الله تعالى على عمله ثواباً فهو ينجزه له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو فيه بالخيار**».

ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال في الزنى والسرقة: «**من أصاب من ذلك شيئاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة ذنبه، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه يوم القيامة وإن شاء غفر له**».

ومن أنكر هذا فقد أنكر صفة الرحمة، ومن قال بإنفاذ الوعيد فقد خرق إجماع الأمة، ومن خرق الإجماع فهو من أهل الأهواء والابتداع.

تمَّ الجزء الأول من كتاب إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبارات في شرح الكلمات الباقيات الصالحات.

والحمد لله ملك الأرض والسماوات، وصلّى الله على محمد أفضل الصلوات وعلى صحبه الفضائل الباهرات وسلَّم وشرف وكرم.

يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

---

(1) تقدم تخريجه.

الجـزء الثانـي

وأما قوله عليه السَّلام: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الحديث، فمعناه: وهو كامل الإيمان، كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**»[1]، أي: لا صلاة كاملة الفضل، وإلا فهو مصلٍّ بإجماع. كما أن الموحد إذا زنى فهو مؤمن غير أن إيمانه اليقيني نقص فوقع في المعصية. وأما العقد فهو في قلبه وهو موحد لربه، ألا تراه يعتقد أن الزنى محرم عليه؟ وهل حرمه عليه إلا معبوده؟ وإلا فالتحريم والتحليل إنما هو من صفة من له الحكم في عباده والأمر فيهم بما يشاء، وعلى هذا يتوجه معنى قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان على رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان**»[2]، أي: الإيمان اليقيني لا يثبت مع العصيان، ولكنه يدور حول الإيمان العقدي فمهما كان هذا المُعتقِد للتوحيد كثير الطاعة، قليل المعصية، حَل الإيمان اليقيني مع الإيمان العقدي، فكان نور على نور، ومهما قارف كبائر المعاصي فرَّ عنه ذلك الوقت اليقين حتى يرجع. وروي عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال في معناه: خرج من الإيمان إلى الإسلام فعبّر عن اليقين بالإيمان، وعبّر بالإسلام عن الإيمان العقدي، على ما أعلمتك أن

---

(1) سنن الدارقطني 111/3 و174، وتمام الحديث: (عن جابر بن عبدالله قال: فَقَد النبي ﷺ قوماً في صلاة فقال: «**ما خالفكم عن الصلاة؟**»، فقالوا: الماء كان بيننا، فقال: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**».

(2) سبق تخريجه.

هذه الألفاظ قد يوضع بعضها موضع البعض، وأما قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاق لوالديه، ولا متكبر**»[1]، إلى سائر ما ورد في الحديث من هذا القبيل فيتوجه على تأويلين:

أحدهما: أنه لا يستحق دخول الجنة من قارف هذه الكبائر إلا بعد العقاب إلا أن يقع العفو.

والثاني: ليست هذه الصفات من شمائل المؤمن المستوجب للجنة لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يكون المؤمن كذاباً**»[2]، أي: ليس الكذب من شعار المؤمن، إنما هو من شعار أهل النفاق. فمن حدَّث فكذب، أو وعد فأخلف، أو اؤتمن فخان، أو عاهد فغدر، أو خاصم ففجر، فقد تردى شعار أهل النفاق وإن كان موحد العقد. والنفاق قسمان:

ـ **قسم في العقد**: وهو يوجب الخلود في النار، لأن معنى النفاق إظهار الإيمان مع اعتقاد الكفر باطناً وإخفائه فكان إظهاره تلبيساً وخداعاً، فلذلك كان المنافقون أشر من الكفار، وكانوا في الدرك الأسفل من النار.

ـ **والقسم الثاني**: الأخلاق التي تنبعث من سوء النفس وضعف اليقين كالكذب على قصد وخلف الوعد وما يضاهي ذلك.

فمن تردَّى بهذه الخلال الذميمة من الموحدين فهو متسم بسمة المنافقين لا أنه منافق بعقده.

واعلم أنه إنما يكون مَذمُوماً وممقوتاً من تردَّى بهذه الخلال، إذا كان قصده إذا وعد أن يخلف، وإذا حدث أن يكذب، وإذا اؤتمن أن يخون. وأما إن وعد ونيته أن يفي بالوعد ثم عرض له عارض منعه فهو معذور،

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه المؤلف بالمعنى، ولفظ الحديث: عن صفوان بن سُلَيم قال: قيل: يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «**لا**». رواه مالك في الموطأ مرسلاً **990/2**، وقال أبو عمر: لا أحفظه مسنداً من وجه ثابت.

وكذلك إذا حدث وهو صادق في حديثه ثم كان الأمر على خلاف ذلك، وكذلك إذا اؤتمن ونيته أداء الأمانة ثم أصابتها آفة ولم تحدث من نفسه خيانة فهو معذور؛ لأن العوارض تعرض والحوادث تحدث. والدليل على هذا الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ من خلال المنافق: «**إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1]، فنقل ذلك على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لم وضعتموه على غير ما وضعته، المنافق الذي إذا حدث وهو يحدث نفسه أنه يكذب، وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف، وإذا اؤتمن وهو يحدث نفسه أن يخون**» فكشف عليه السَّلام بهذا التفسير الغطاء وأنال به الشفا.

وأما قوله عليه السَّلام: «**من قال لا إلٰه إلا الله مخلصاً دخل الجنة**»، ثم قال عليه السَّلام: «**وإخلاصها أن تحجزه عما حرم الله تعالى عليه**»[2]. فإن يحيى بن معين قال: (ليست هذه الزيادة عند الجماعة، وهي زيادة نكرة، وإنما انفرد بهذا اللفظ أبو داود الداراني وهو ضعيف، ولو صحت الزيادة لكان المعنى: وتمام إخلاصها اليقيني أن تحجزه عما حرم الله تعالى عليه، لأن اليقين يضاد المعصية، أو يكون المعنى من قال: لا إلٰه إلا الله مخلصاً ولم يقترف معصية دخل الجنة دون أن تمسه النار، أو يجب عليه الوعيد. فافهم هذا وركّب عليه ما يضاهيه تصل إلى نص وجلية الأمر.

فإن قلت: فإذا تلفقت الآيات مع الأحاديث بهذا النظر، واتفق التأويل

---

(1) رواه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه: 1 ـ في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق 121/1. 2 ـ كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد 355/5. 3 ـ كتاب الوصايا، باب قول الله عز وجل: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ (459/5). 4 ـ كتاب الأدب: باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ (622/10، 623). ورواه مسلم (59)، وزاد: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم).

(2) حديث ضعيف. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 18/1، رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو وضاع. له عن ثقات الناس بواطيل. (ميزان الاعتدال 236/6).

مع إجماع أهل السنة، فما تقول في الرحمة والغضب. أليست الرحمة صفة لله تعالى. وكذلك الغضب، فكيف يكون الوعد الصادر عن صفة الرحمة ينجز والوعيد الصادر عن صفة الغضب قد ينجز ولا ينجز، وصفات الله لا يقع فيها اختلاف.

فالجواب: أن رحمة الله تعالى هي إرادته للخير وغضبه هو إرادته للشر، والخير مقضي بإرادته والشر كذلك، فالخير والشر بيديه ومن عنده وكلٌّ بقضاء وقدر، وقد أراد الخير في الأزل لمن أراده وكذلك الشر ونحن وإن علمنا عقلاً أن لله تعالى إرادة وأنها تجري بالخير والشر فلسنا نعلم من أراد به الخير ممن أراد به الشر فاضطرنا إلى مُعلم يعلمنا بذلك وقد أنبأنا الله في كتابه وأخبرنا رسوله الصادق في حديثه أن من كان موحداً لله تعالى ومؤمناً بجميع ما جاء به رسل الله ملتزماً لأوامر ربه مجتنباً لنواهيه ومات على ذلك فهو ممن أراد به الخير وهو من أهل الجنة قطعاً بوعد الله السابق وفضله عليه باستحقاقه واستيجابه ذلك على ربه، إذ لا يجب للعباد على المعبود شيء، وكذلك أعلمنا أنه من لم يُوحد الله تعالى ومات على الكفر فهو مخلد في النار قطعاً باق فيها كما يبقى أهل الجنة في الجنة إلى غير أمد، وأعلمنا أيضاً أن من صح توحيده بربه وإيمانه بما جاء به نبيه واقترف كبائر من المعاصي التي نهي عنها ومات مصرّاً عليها فهو في مشيئة الله تعالى إما أن يعذبه ثم يعفو عنه، وإما أن يعفو عنه برحمته دون عذاب، ولا يقال إن هذا خلف فإن الإرادة هكذا اقتضت فجرت الرحمة والغضب على مقتضى الإرادة ورحمته سبقت غضبه، ونور رحمته يطفي غضبه إذ يعف عن من يشاء، ولم يزل مريداً أن يرحم الطائعين وينزلهم في عليين، ولم يزل مريداً أن يعذب الكافرين ويبوئهم في سجين، ولم يزل مريداً أن يعذب بالنار من شاء من العاصين الموحدين مُدة مَّا من السنين ثم يتلاقاهم برحمته السابقة فيدخلهم النعيم، ولم يزل مريداً أن يرحم من شاء من العاصين ويعفو عنهم دون أن يعاقبهم أو يطالبهم بل يضع كنفه على من شاء من الخاطئين ويقول: أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فإنه المفضل المجمل الذي يعطف على من شاء برحمته ويقيل، وهو الذي

يحكم بالاستقصا على من شاء ويعدل، وفي كل ذلك لا يسأل عما يفعل.

إرشـاد: إذا فهمت هذه الحقائق المنيرة واعتقدت هذا الاعتقاد الخالص الذي درج عليه جميع السلف الصالح، فإياك أن تتكل على الرحمة، وعقد الإيمان، وترخي عنانك في العصيان وتقول: الله رحيم بالعاصين، فتكون من الفئة المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان عمل وذلك غاية الخطأ والزَّلَل، بل شمِّر عن ساعديك وتحرك للعمل فإن الموحد العاصي بيِّن أخطار ثلاثة:

1 ـ إما أن يسلب عنه إيمانه فتحق عليه الكلمة فيخلد في النار.

2 ـ وإما أن يموت على الإيمان فيطالبه الله تعالى بحقه فيمسكه في النار ما شاء الله من الأزمان، ومن علم مقدار النار وأنها مخلوقة من غضب الله تعالى، وأنها دار عذابه فزع من اسمها فضلاً عن رؤيتها فضلاً عن ورودها والبقاء فيها مع أعداء الله وبُغَضَائِه.

3 ـ وإما أن يتفضل فلا يعاقب بالنار ولكن بالتوبيخ، والتوقيف الشديد والفضيحة على رؤوس الأشهاد والمطالبة بدقائق السؤال حتى يتمنى العبد بولوج النار لعظم هذه الأهوال.

قال ﷺ: «**إن العبد ليسأل يوم القيامة حتى إنه ليسيل منه من العرق ما لو وردته إبل أكلت حمضاً[1] لصدرت رواءً، حتى يقول: يا رب مُر بي إلى النار ولا توبخني**».

والمؤمن الكامل الإيمان الذي لم يقارف شيئاً من كبائر العصيان بمعزل إن شاء الله عن هذه الأخطار، لأن الله تعالى أحبه فحبب إليه الإيمان وزينه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ومخالفة ربه، فهذا يبشر عند الموت أحسن بشارة ويُنادى بالأمن من الأهوال وارتفاع المخاوف والأوجال. ويؤمَن من ورود إلا تحِلَّة القسم[2]، فيجوز عليها وهي خامدة

(1) الحَمْضُ: كل نبت في طعمه حموضة. وهو للإبل كالفاكهة للإنسان، ومنه حديث الزهري: (الأذن مجاجة وللنفس حَمضة) أي شهوة كما تشتهي الإبل الحَمْض.

(2) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71].

فتكون عليه برداً وسلاماً، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويكون يوم القيامة عليه من الخفة كصلاة صلاها فأحسنها، فعليك أن تتحبب إلى ربك بإكمال فرائضه وامتثال ما جاء به الرسول عليه السَّلام من الشرائع والسنن والرغائب وترك ما حاك في الصدر من المحاذير، فبذلك يتقوى إيمانك ويزداد يقينك ويكون الله تعالى أَنيسك وجليسك. قال ﷺ: «**يقول الله تعالى: ما تقرب المتقربون إلـيَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلـيّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»[1]، وقال ﷺ: «**لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس**». وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (إن للإيمان فرائض وشرائع وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان). ولقد انتهى الأمر بطائفة من أولياء الله تعالى من المتقين ومن المخصين بأنوار اليقين إلى أن لم يروا في الوجود غير الله، ولا اشتغلوا بسواه طرفة عين، ولا نظروا إلى شيء من الكونين، بل عبدوه لذاته لما هو عليه من الجلال والعظمة والكمال، فنسوا نفوسهم من شدة استغراقهم بربهم وعرفوه به. كما قيل لبعضهم: بِمَ عرفت الله؟ قال: بالله، ولولا ربي لما عرفت ربي، وهذا عرفان مختص بنور الولاية والاجتباء، معلق القلب بملكوت السماء وقلب هذا من الشغل بالله والاستغراق في نهاية الإشراق فمنهم من كان هجيراه [**لا إلٰه إلا الله**]، وكان النفي أولاً محواً للقلب عن جميع العلائق ليقع الإيجاب على سِرٍّ مصفى لأنه كان يرى كل ما شغل عن الله من الهوى إلٰه معبود. والهوى أبغض إلٰه عُبد في الأرض، فينفي عن قلبه الاشتغال بغير الله بقوله: (لا إلٰه) ثم يثبت فيه توحيد بقوله: (إلا الله) وهذا كان هجيرا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع 413/11، حديث رقم (6502)، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**...» الحديث. ورواه أبو نعيم في الحلية 4/1، والبيهقي في الزهد (690)، والسنن 346/3، والبغوي في شرح السنة (1248).

ومنهم من كان يقول: [الله، الله...] لا يزيد، فقيل لبعضهم: لِمَ تقول (الله) ولا تقول: (لا إلٰه إلا الله)؟ فقال: نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب، أي: لم يثبت له نِد فأنفيه عنه فكيف أنفي ما لم يثبت وكذلك قيل في تفسير: (لا إلٰه إلا الله) إنه نفي ما يستحيل كونه وإثبات ما يستحيل فقده، معناه أن كون الشريك لله محال، وتقدير العدم لوجوده مستحيل.

ومنهم من كان هجيراه [هو] يجعلها إشارة إلى الله تعالى، وهذه الكلمة لا تتم عند العلماء بلسان العرب إلا بصلة وعائذ ولكن بعض العارفين جعلها إشارة إلى الله تعالى لاستهلاكه في حقائق القرب. وقال بعضهم: إن الله كاشف الأسرار بقوله: (هو) وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء. وقال ابن فورك[1] رحمه الله: (هو) هاء، و (واو) فالهاء تخرج من أقصى الحلق، والواو من الشفة وهو أول المخارج فكأنه يشير إلى أن كلا طرفي الأمور بيديه وأنه الأول والآخر.

ومنهم من كان هجيراه [لا هو إلا هو] فيشير بهو إلى كل موجود، ثم ينفي الموجودات كلها ويثبت موجوداً واحداً وهو الله تعالى كما نفى في

---

(1) هو محمد بن الحسن بن فُورَك الأنصاري الأصبهاني أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة وبغداد، وحدث بنيسابور وبنى فيها مدرسة، وتوفي على مقربة منها، فنقل إليها، وفي النجوم الزاهرة قتله محمود بن سبكتكين بالسم، لقوله: كان رسول الله ﷺ رسولاً في حياته فقط، وإن روحه قد بطل وتلاشى.

له كتب كثيرة. قال ابن عساكر: بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المئة، منها:

- (مشكل الحديث وغريبه).
- (أسماء الرجال).
- (الحدود) في الأصول.
- (النظامي) في أصول الدين.

انظر ترجمته: (طبقات الشافعية للسبكي 52/3)، (النجوم الزاهرة 240/4)، (وفيات الأعيان 482/1).

قوله لا إلٰه إلا الله الآلهة كلها وأثبت إلٰهاً واحداً، وإلى هذا يومىء قوله عليه السلام: «**أصدق بيت قاله شاعر:**

ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل»[1]

وشيء كلمة عامة واقعة على كل موجود، فأعلمك ﷺ أنه من لا قوام بذاته، وإنما قوامه بغيره كيف لا يكون باطلاً، بالإضافة إلى من قوامه بذاته، وإنما حقت الموجودات بأن وضع سبحانه الحق فيها وتعلقت بقدرته، فلا حق على الحقيقة إلا الواحد الحق، وكل حق غير الله فالحق فيه من تلقاء ربه لا من تلقاء ذاته، والله هو الحق المبين.

تبييـــن: اعلم أن أول ما تعبد الله به عباده أن يعتقدوا وحدانيته، وينطقوا بكلمة تدل على وجود الخالق مطابقة لعقد القلب وتلك الكلمة: لا إلٰه إلا الله. وهذه الكلمة لا يجزىء عنها غيرها، ولا يوحد الله تعالى في العقد الإيماني بصيغة غير هذه الصيغة. قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله**»[2]، والنطق بها مرة واحدة في العمر يكفي في ثبوت الإيمان واعتقاده، ثم كل ما ينطق الناطق بعد ذلك من هذه الكلمة فإنما هو للذكر المركب على عقد الإيمان ليقوى نوره ويتضاعف يقينه، وإذا أوردنا عليك آثاراً في فضل لا إلٰه إلا الله إذا كانت بمعنى العقد، فلنورد أيضاً آثاراً في فضلها إذا كانت بمعنى الذكر فلعل لسانك أن يلهج بها فيبتهج جنانك بنورها، فإذا وجد حلاوتها لم يمل لسانك النطق بها بل لو فتر لسانك عنها في بعض الأوقات لوجدت القلب كأنه يتحرك بها لكثرة حبها وملازمة اللسان النطق بها.

قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه **659/10**، حديث **(6147)**، وفي كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك **390/11**، حديث **(6489)**، ورواه أيضاً مسلم في صحيحه. والبيت للبيد بن ربيعة العامري، الصحابي من فحول الشعراء.

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان **52/1**، حديث **(33)**، **(34)**، **(35)**.

الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[1].

وقال ﷺ: **«من قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السَّلام»**[2].

وقال ﷺ: **«من قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له إلٰهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتبت له ألف ألف حسنة»**[3].

وقال ﷺ: **«من قال دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرز من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله»**[4].

---

(1) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده **408/6**، حديث **(3293)**، ومسلم **(2691)**، والترمذي **(3468)**، والنسائي في عمل اليوم والليلة **(826)**، ومالك في الموطأ **209/1**.

(2) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل **240/11**، حديث **(6404)**، ورواه مسلم **(2693)**، والترمذي **(3553)**، والنسائي في عمل اليوم والليلة **(120)**، وأحمد **418/5**.

(3) أخرجه أحمد في المسند **103/4**، والترمذي **(3473)**، والطبراني في الكبير **(1278)**، وضعيف الترمذي للألباني **(686)**.

(4) رواه أحمد في المسند **227/4**، والترمذي **(3474)**، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد **107/10**: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير شهر بن حوشب، وحديثه حسن. قال الألباني: وفيه ضعف من قبل حفظه، وقد اضطرب في إسناده ومتنه.

وقال ﷺ: «**من قال حين يصبح: اللَّهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك إلا غفر له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب**»[1].

وقال ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات على أثر المغرب بعث الله له مسلحة يحفظونه من الشيطان، وكتب له بها عشر حسنات موجبات ومحي عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات**»[2].

وقال ﷺ: «**ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**»[3].

وقال عليه السَّلام: «**من قال في سوق من الأسواق: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتبت له ألف ألف حسنة، ومحيت عنه ألف ألف سيئة وبني له بيتاً في الجنة**»[4].

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**يا أبا هريرة، لقّن الموتى شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فإنها تهدم الذنوب هدماً**»، قلت: يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء؟ فقال عليه السَّلام: «**هي أهدم وأهدم**».

---

(1) الكلم الطيب **25**، وضعيف الجامع الصغير (**5728**)، والسلسلة الضعيفة (**1041**).

(2) الترمذي (**3534**)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (**577**)، وابن قانع في معجم الصحابة **249/2**.

(3) مسلم (**234**)، وأبو داود (**169**) و(**170**)، والترمذي (**55**)، والنسائي **92/1**، وابن ماجه (**469**) و(**470**).

(4) أخرجه الطيالسي (**12**)، وأحمد **47/1**، وعبد بن حميد (**28**)، والدارمي (**2695**)، والترمذي (**3428**)، وابن ماجه (**2235**)، والبزار (**125**)، والطبراني في الدعاء (**789**) و(**790**) و(**791**) و(**792**)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان **180/2**، وفي الحلية **355/2**، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (**2726**).

وسمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللَّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم لكن له كفواً أحد. فقال: «**والذي نفسي بيديه لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(1).

ودخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو وهو يقول في دعائه: اللَّهم لا إلٰه إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: «**تدرون بما دعا الله، دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(2).

وقال ﷺ: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وفاتحة آل عمران: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾»(3).

وقال ﷺ: «**دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت:** ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، **فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له**»(4).

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة 271/10، وأحمد 349/5 و350 و360، وأبو داود (1493) و(1494)، والترمذي (3475)، وابن ماجه (3857)، وابن حبان (891) و(892)، وابن منده في التوحيد (3)، والحاكم 504/1، والبيهقي في الدعوات (195)، والبغوي (1259)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2763).

(2) أحمد 158/3 و245، أبو داود (1495)، والترمذي (3544)، والنسائي 52/3، وفي الكبرى (1132)، وابن حبان (893)، والحاكم 503/1، والبيهقي في الدعوات (106) و(200).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة 272/10، وأحمد 461/6، وعبد بن حميد (1578)، والدارمي (3392)، وأبو داود (1496)، والترمذي (3478)، وابن ماجه (3855)، والبيهقي في الأسماء والصفات 175/1، والطبراني في الكبير 440/24، والبغوي (1261)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2764).

(4) أخرجه أحمد 170/1، والبزار (كشف الأستار ـ 3150)، والترمذي (3505)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (655) و(656)، وأبو يعلى (772)، والطبراني في الدعاء (124)، والحاكم 505/1 و382/2 و383، والبيهقي في شعب الإيمان (620)، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (2785).

وقال ﷺ: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له ولو كان فر من الزحف**»[1].

وقال ﷺ: «**ما قال عبد لا إلٰه إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**»[2].

وقال ﷺ: «**لا إلٰه إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه**».

وقال ﷺ: «**إذا قال العبد: لا إلٰه إلا الله والله أكبر صدَّقه ربه، فقال: لا إلٰه إلا أنا وأنا أكبر. وإذا قال: لا إلٰه إلا الله وحده، يقول: لا إلٰه إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال: لا إلٰه إلا أنا لي الحمد ولي الملك، وإذا قال: لا إلٰه إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إلٰه إلا أنا ولا قوة إلا بي**». وكان يقول: «**من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار**»[3].

وكان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب: «**لا إلٰه إلا الله العلي الحليم، لا إلٰه إلا الله رب العرش العظيم، لا إلٰه إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**»[4].

ويروى أن العبد إذا قال: لا إلٰه إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها.

---

(1) أخرجه أبو داود (**1517**)، والترمذي (**3577**)، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (**2831**).

(2) رواه الترمذي (**3590**)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) **833**، وصححه الألباني (صحيح الترمذي **2839**).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة **307/10**، وعبد بن حميد (**943**) و(**944**) و(**945**)، والترمذي (**3430**)، وابن ماجه (**3794**)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (**30**) و(**31**) و(**348**)، وأبو يعلى (**6153**) و**6154**)، وابن حبان (**851**)، والحاكم **5/1**، وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (**2727**).

(4) رواه البخاري (**6345**)، ومسلم (**2730**)، والترمذي (**3435**)، وابن ماجه (**3883**)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (**652**) و (**652**) و(**653**)، وأبو يعلى (**2541**)، والطبراني في الدعاء (**1023**)، والبغوي (**1331**) و(**1332**).

والأحاديث في فضل ثواب هذه الكلمة كثيرة، وإنما جلبت لك منها نبذاً على طريق التذكرة لتقف على عظم ثوابها فينطلق لسانك آناء الليل والنهار بها. فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة. وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، هي: لا إلٰه إلا الله، وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾، إن الإحسان في الدنيا قول: لا إلٰه إلا الله. وفي قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، كذلك ومن خصوصية هذا الاسم أنه لم يتسم به غير الله تعالى فما قال أحد أنا الله إلا الله. ألا ترى إلى الطاغي فرعون كيف قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ولم يجريه الله على الاغترار لهذا الاسم. وقيل في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، أي: هل تعلم أحداً تسمى بالله إلا الله، وإلى هذا الاسم ينضاف سائر الأسماء والصفات فيقال: الرحيم والعليم والصبور من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحيم والعليم والصبور، فهو اسم للذات بمثابة الاسم العلم، وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم. ومن خصوصية هذه الكلمة أنه يتأتى العبد النطق بها دون أن يحرك شفتيه فيكون ذكره خفياً، وقد قال ﷺ: «**أفضل الذكر الخفي**»[1]، وسائر الأذكار لا ينعدم منها حروف الشفتين فقد يكون الإنسان مع غيره طول دهره وهو يهلل ولا يطلع عليه ذلك الغير وهو أيضاً حظ عظيم من الخير، والكلام على التهليل بحر زاخر ليس له آخر. فلنختم هذا الباب بتهليل محكم على حروف المعجم يشوق القائل والمستمع إلى الله، فإن اسمه أولى ما أجرى على الأفواه فما ألذه في القلوب والألسنة وأحلاه، وما أجدر العبد بترديده طول دهره وأولاه، فحقيق أن يلهج بتهليل الله حمداً على ما أعطاه وأولاه، ففرض على العبد أن يشكر مولاه.

---

(1) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) **81/10**، رواه أبو يعلى. وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف.

خاتمة الباب بتهليل محكم على حروف المعجم

لا إلٰه إلا الله، إلٰه من في الأرض والسماء، المقدس الذات والصفات والأسماء.

لا إلٰه إلا الله الذي دلت على ألوهيته آيات المشارق والمغارب، ونبهت شواهد مخلوقاته على وجوده الذي هو عن الأبصار غائب.

لا إلٰه إلا الله الذي قام بأمره الملك والملكوت ولولا قدرته لم يكن للأشياء قوام ولا ثبوت.

لا إلٰه إلا الله القديم الذي ليس بحادث، المقدس عن أن يحوم بحمى حضرته شيء من الحوادث.

لا إلٰه إلا الله المبدع لكل ما في العالم من أزواج الذي هو مع الأشياء بغير مزاج.

لا إلٰه إلا الله لم يكن لوجوده افتتاح، ولا كان له لمخلوقاته احتياج ولا استرواح.

لا إلٰه إلا الله الذي ليس له فرع ولا سِنْخ[1]، ولا لنور ألوهيته محور ولا نسخ.

(1) (السِّنخ): الأصل من كل شيء. (المعجم الوسيط) **456/1**، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.

لا إلٰه إلا الله الفرد الواحد، الذي لم يتولد من شيء ولا تولد منه شيء فيكون له ولد ووالد.

لا إلٰه إلا الله الذي أبدع الموجودات أزواجاً وأفراداً، وألف المتباينات فالتأمت بعد أن كانت جذاذاً.

لا إلٰه إلا الله الذي لم يزل دائم النور، قبل تكوين الأزمان وتقدير الدهور.

لا إلٰه إلا الله الذي اختص بالمقام الحريز وانفرد بالملك السرمد العزيز.

لا إلٰه إلا الله الذي لا يطأ مخلوق لحضرة ألوهيته بساطاً، ولا يجد العقل عند التفكر في عظمته قوة ولا نشاطاً.

لا إلٰه إلا الله الذي خلق الأشياء وحفظها أتم الحفظ ولم يضرب أحد معه في ملكه بنصيب ولا حظ.

لا إلٰه إلا الله الذي قهر الجبابرة والأملاك، وتنزه أن يتخذ الظهرا والأشراك.

لا إلٰه إلا الله العظيم الأجل ليس في أمره خلل، والإِلٰه الذي لم يزل مُنفرداً بألوهيته في الأزل.

لا إلٰه إلا الله الملك العظيم الذي يرجع العقل من مهابة عظمته وهو كظيم.

لا إلٰه إلا الله الذي كان قبل الكون، وكان نوره ظاهراً في غير حجاب ولا صون.

لا إلٰه إلا الله الذي لم يزل بأمور ألوهيته مختصّاً، وقص أجنحة العقول عن الطيران إلى حضرته قصّاً.

لا إلٰه إلا الله الذي أبدع الجواهر والأعراض، وخلق الأشياء على ما شاء فليس عليه اعتراض.

لا إلٰه إلا الله الذي بحر علمه واسع ومحل جلاله عن العقول شاسع.
لا إلٰه إلا الله الذي بُرد رحمته على عباده سابغ، وماء عفوه لذيذ سائغ.

لا إلٰه إلا الله الذي شهد له الكل بالألوهية معترفاً، ولم يكن عليه شيء في ملكه مختلفاً.

لا إلٰه إلا الله الذي كلما تفكر العقل في عظمته وارتقى رجع خاسئاً من مهابته محترقاً.

لا إلٰه إلا الله الذي لا يدرك بوهم ولا قياس ولا تصل إلى عظمته خواطر ولا مدركات الحواس.

لا إلٰه إلا الله الذي تقدس عزه وتحاشا أن يضمحل منه شيء أو يتلاشى.

لا إلٰه إلا الله لا يقول سواه أنا الله ولا يقاس بمقاييس العقول علاه.

لا إلٰه إلا الله الذي علا الأشياء علواً ولم يجر لنفسه قطراً ولا نجواً.

لا إلٰه إلا الله الذي تعالى أن يتشبه بشيء أو يتخذ لنفسه مثالاً.

لا إلٰه إلا الله الذي أخرج من العدم بشراً حيّاً وبسط العالم وهو يطويه طيّاً.

الباب السابع

في التحميد وفضيلة الحامدين والشاكرين

ويشتمل على مناهج واضحة القصد وحقائق في بيان الشكر والحمد:

قال الله سبحانه في استفتاح كتابه الكريم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، فحمد نفسه تعالى إذ هو أهل الحمد، ومدحها إذ هو المستحق للمدح، فليس في الوجود من يمدح ذاته حقيقة إلا هو سبحانه، لأنه المنفرد بالكمال المحض المقدس عما يلحق جميع أهل السموات والأرض، ومن عداه من ملك أو نبي فليس الكمال له من ذاته إنما هو إنعام من الله تعالى عليه بالكمال فكماله معان، وإنما الكمال الخالص هو لله تعالى الذي هو له من ذاته لذاته لم يستفده من غيره، فإن مدح نفسه تعالى فبحق مدح، وإن أثنى فبحق أثنى فهو المادح، وللممدوح والحامد والمحمود والمثني والمثنى عليه وثناؤه من ذاته لذاته، فالحمد حقيقة إنما هو لله تعالى من نفسه لنفسه، وهذا هو المدح القديم الذاتي حيث لم يكن في الوجود غيره فلم يزل حامداً لنفسه ومثنياً عليها بكلامه القديم الذي هو صفة ذاته أزلاً ولا يزال أبداً، فهو القائل أزلاً وأبداً، الحمد لله رب العالمين.

ثم خلق عباده وأمرهم بمدحه لأنه تعالى يحب أن يُمدح لأنه

الحق، ويحب المدح. قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل**»، ولذلك مدح نفسه، فندب عباده إلى مدحه وحضهم على حمده وشكره، وعلم أنهم مقصِّرون من القيام بحمده وشكره فتجاوز عنهم في التقصير في مدحه وحمد لهم حمدهم إياهم، وشكرهم على ذلك وإن قصروا لأنه بفضله يتقبل اليسير وإلا فكل مخلوق في حمده وشكره ذو تقصير، ولذلك سمى نفسه الشكور، وأنَّى للملائكة وللأنبياء أن يطيقوا على استيفاء المدح والثناء لمالك الأرض والسماء الذي ارتدى برداء الكمال الخالص وتقدس عن جميع ما يلحق المخلوقين من النقائص، بل هو المقدس أن يتشبه لمخلوق في كمال كما هو مقدس عن النقص، إذ كماله له وحده وهو به مختص فليس بين الله وبين أحد مناسبة في شيء من الأشياء، ولذلك قيل: انفرد الله بالكمال ولم يبترىء أحداً من النقصان، وقيل للشعبي: هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال: الذي لا عيب فيه لا ينبغي أن يموت. وقد اعترف عليه السَّلام على اتساع علمه بربه بالتقصير عن القيام بالثناء على الله فقال عليه السَّلام: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**». فما حمد الله حق حمده ولا مدحه حق مدحه غير نفسه لنفسه ومدح العباد له في نهاية القصور عن البلوغ إلى حقيقة مدحه وثنائه.

تفصيل: تقدم أولاً الكلام على حقيقة الحمد والشكر، فنقول: الحمد يتضمن الثناء والمدح، فيكون نقيضه اللَّوم والذَّم، فيكون من باب الأذكار كالتهليل والتسبيح، والشكر نقيضه الكفران.

والحمد أعم من الشكر لأن الشكر من قبيل الصبر والتفويض وهو من مساعي القلب، والحمد من باب الأذكار فهو من المساعي الطاهرة.

ولفظة الحمد موضوعة للثناء والشكر، فمن قال الحمد لله فقد جمع أنواع العبادة، لأنه نظر في القسم الأول إلى جلال الله وكماله وبقاء سلطانه وعظيم شأنه، وما اختص به من الصفات الجميلة والأسماء الكريمة والأفعال المنيفة، فأحبه ضرورة لذاته فلما أحبه انطلق لسانه بالثناء عليه فحمده حمد

ثناء، وذِكر لاستحقاقه ذلك لا لمنّة طرأت عليه، وكل من علم الله تعالى فيضطره العلم به إلى حبه ويضطره الحب له إلى أن يثني عليه ويمدحه، فهو يلهج بذكره طول دهره لما وقر في نفسه من جلاله وقدسه، وكل من اشتهرت في الدنيا فضائله وحسنت شمائله أحبه الخلق ضرورة القريب والقاصي والنائل من رفده [.......][1] ولا شيء أظهر ولا أظهر من جلال الله وكماله وحسنه وجماله. دلت على ذلك شواهد أفعاله، فالمختصون بنور الهداية والمتمكنون في مرتبة الولاية لما أشربت في قلوبهم محبة الله تعالى بما أوهبهم من المعرفة به واختصهم من حبه هاموا بالثناء عليه وشغفوا بذكره، وكل من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فهم يذكرونه حامدين له على ما هو أهله غير ناظرين لحضوض أنفسهم ولا طالبين منه أكثر من أن يعينهم على حمده وهذه درجة من ارتفع عن رؤية الأغيار ولم يعبأ بالالتفات إلى الحظوظ شغلاً بقاسمها فاندرج كل خير وعبادة ومعرفة تحت هذا الحمد بهذا الاعتبار وهذا هو الذي قال فيه عليه السَّلام: «**ما يضاعف شيء من الأذكار ما يضاعف الحمد لله**».

وأما القسم الثاني من الحمد، فهو أن ينظر إلى ألطاف الله وادّرار فوائده عليه، وأن نعمه سابغة باطنة وظاهرة قد شملته وعمّته من غير استحقاق، فيحمده على نعمه التي مَنَّ بها عليه وأسداها إليه، فيكون حمده من قبيل الشكر والدعاء، لأن حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم. وهذا قد اعترف بهذه النعم لله تعالى فحمده عليها فكان حمده شكراً وكان في شكره طالباً للمزيد لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. والدعاء يتضمن طلب الزيادة كما يتضمنه الشكر فبهذا النوع من الحمد هو الذي قال فيه عليه السلام: «**أفضل الدعاء الحمد لله**»[2].

فعلى هذين القسمين يدور الحمد حقيقة، وكلاهما فرض على العبد؛ لأن الذكر والشكر مقرونان في الدين ومرتبطان في وجوب الأمر، قال الله

---

(1) بياض بالأصل.

(2) تقدم تخريجه.

تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[1]، فبدأ بالذكر لعلوِّ مرتبته لأن النظر إلى الفاعل مقدم على النظر إلى الفعل، ثم ثنى بالشكر طالباً من عباده الاعتراف بنعمته فكلما أوجب عليهم أن يعظموه فيذكروه وأوجب عليهم أن يعترفوا بأن النعم الصادرة عن أفعاله فيشكروه فالذكر والشكر صنوان، وإن كان للذكر تقدم في الرتبة ومزية في خصوصية القربة من طريق الالتفات إلى الله تعالى بالكلية دون نظر إلى حظ النفس من نيل الفوائد والمنن كما قال عليه السَّلام في الحديث المتقدم الذي فضَّل فيه الحمد على سائر الأذكار. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه من غير مِنَّة طرأت عليه، وكما جعل فضيلة الذكر على الدعاء كفضيلته على أمته، ولكن الشكر جَنَاحٌ للذكر يعضده ويقويه والعبد مضطر إليه كما هو مضطر إلى الذكر لأن كل عبد غريق في نِعَم الله تعالى فواجب أن يشكره على نعمه ويحمده على مننه كما حمده ذاكراً لجلاله وكماله.

فالمعرفة بجلال الله تعالى أولاً أثمرت الحب، فلما أحب الله تعالى ذكره حامداً له ومثنياً عليه ثم نظر ثانية إلى نِعَم الله تعالى الدَّارة وأبحُرِه الفيَّاضة ورأى نفسه فيها قد غرقت وأن عنقه بجواهر النِّعم قد طوِّقت فأحبه بإحسانه إليه وفيض أياديه عليه فأثمر له حب المحسن الشكر فحمده شاكراً له وكل نفس فمضطرَّة إلى أن تحب من أحسن إليها. قال ﷺ: «**جُبِلَت النفوس على حب من أحسن إليها**»[2]، وقال ﷺ: «**أحبوا الله لما يغدوكم من نعمه**»[3]، ولا منعم ولا محسن في الوجود سوى الله تعالى، فحب العبد له بإحسانه إليه واجب، وشكره على إسباغ نعمه متعين لازِب، وإذا قيدناه وحقيقته وأوضحنا منحاه وطريقته فلنردف الكلام بالأثر وخالص النظر.

---

(1) سورة البقرة، الآية: **152**.

(2) قال عنه السخاوي في المقاصد الحسنة (باطل)، وذكره الشوكاني في (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة): **88** .وقال الألباني: (موضوع مرفوعاً وموقوفاً) ضعيف الجامع الصغير (**2625**).

(3) الترمذي (**3789**)، والطبراني في الكبير (**2639**)، والحاكم **150/3**، وأبو نعيم في الحلية **211/3**، وابن الجوزي في العلل المتناهية (**430**)، وضعيف الجامع الصغير (**176**)، وضعيف الترمذي للألباني (**792**).

اعلم أن حمد الله تعالى من أعظم ما دانَ الإنسان ونطقَ به اللسان، إذ الحمد رِداء الرحمٰن، لذلك قال النبي عليه السَّلام: «**أي الحمد وصف لا ينبغي أن يتصف به إلا الله تعالى**»، ولعظم شأنه استفتح به كتابه العظيم، وجعله دعوى أوليائه أولاً وآخراً في دار النعيم فقال تعالى حاكياً عنهم أولاً: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[1]، وقال تعالى حاكياً عنهم آخراً: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فبالحمد استفتحوا كلامهم عند دخولهم الجنة، وبالحمد ختموه، ولا يفارقهم الحمد أبداً سرمداً لأنهم اطلعوا حقيقة على أن الله تعالى هو أهل الحمد وعلموا وجوب حمده عليهم قطعاً عِلم من انكشفت له الأمور على ما هي عليه فاضطره إلى الحمد، فأين يقع حمدهم في الدنيا من حمدهم في الجنة، لأنه على مقدار ما يظهر لك من شرف الممدوح وكماله يكون حمدك له، وأهل الجنة نظروا إلى وجه ربهم سبحانه فرأوا من جلاله وجماله ما قادهم إلى الحمد ثناءً ومدحاً كما يجب لذلك الشرف العظيم والجلال العميم، ثم نظروا إلى سوابغ نعمه عليهم في أن بيَّض وجوههم ونوَّر قلوبهم، ومَنَّ عليهم بمعرفته، والنظر إلى ذاته وصفته، والتمتع بجميع لذات الجنان فحمدوه شكراً على ما مَنَّ عليهم، وعلى مقدار ما تعظم المنة يجب أن يكون الشكر، ولا خفاء تعظيم ما منح أهل الجنة من النعمة وخولوا من الحرمة فكذلك شكرهم لا يُحد ولا يعلم مقداره في الدنيا أحد، وكلما شكروا أُزيدوا لأن الجنة دار المزيد. قال النبي ﷺ: «**لا تمضي على أهل الجنة ساعة إلا ويزدادون فيه صنفاً من النعيم لم يكن عهدوه قبل**».

ونعم الدنيا وإن سميت نعماً فهي بالإضافة إلى نعم الجنة مجاز لا حقيقة، ولا نعمة في الدنيا إلا ما يوصل إلى نعمة الأخرى وإلا فكل نعمة في الدنيا تصد عن الأخرى فهي نقمة ومحنة.

ونعم الجنة كلها على جلالتها مستحقرة بالإضافة إلى نعمة النظر إلى

---

(1) سورة الزمر، الآية: 74.

(2) سورة يونس، الآية: 10.

وجه الله الكريم فتلك غاية النعم، وذلك أعلى النعم. ولذلك كان عليه السَّلام يقول: «**اللَّهم ارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم**»، فمقابلة النعم إنما هو بالحمد والشكر وهو رضى الله تعالى من عباده. قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السَّلام إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي. قال ﷺ: «**ينادي يوم القيامة: ليقم الحامدون، فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة**». قيل: ومن الحمادون؟ قال: «**الذين يشكرون الله تعالى على كل حال**». وقال ﷺ: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**».

ولعظم مرتبة الشكر وجد إبليس الفرصة في الخلق بتضييعهم له، فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾. وقرن الشكر مع الإيمان لعلو مرتبته فقال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾، وقال في نوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وفي إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟**».

واعلم أن نِعَم الله تعالى كثيرة لا يقدر البشر على استيفائها، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، وفي كل نعمة يجب على العبد الشكر، ثم يجب على الشكر شكر، إذ الشكر أيضاً نعمة وشكر الشكر نعمة، وهذا أمر لا يتناهى لكن العبد إذا علم أن لا نعمة إلا من الله وحده وأنه ليس في الوجود من يمنّ على أحد بنعمة سواه ثم شكره على ما أفاض عليه من نعمه فقد أدى ما كلف من الشكر، لأن استيفاء الشكر متعذر والإنسان على القيام بحق الله تعالى مقصر، ولذلك قال داود عليه السلام: (يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك، فأوحى الله إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني).

وها أنا أُنَبِّهُك على نُبذٍ من نِعَم الله تعالى لتحمده عليها فما من نعمة وإن عظمت إلا والحمد أعظم منها. فمن نِعَم الله تعالى العظيمة عليك أن أخرجك من العدم إلى الوجود ولم تكن شيئاً مذكوراً، وذكرك بذلك في معرض الامتنان فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [سورة

الإنسان: 4]، ثم صوَّرك في أحسن الصور ولم يجعلك جماداً ولا بهيمة، ومَنَّ عليك بذلك أعظم المنَّة فقال: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الانفطار: 8]، وما شاء لك إلا أحسن الصورة كما قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [سورة التغابن: 3]، وما قال هذا لغير الإنسان.

ثم ركب فيك الذي هو أقرب موجود إليه وأشرف شيء لديه ولو أعدمكه لكنت مع البهيمة سواء، ثم أنعم عليك بأن هداك به إلى اتباع مراشدك الأخروية والدنيوية، ومن أعظم نِعَمه عليك أن جعلك قابلاً لأمره ونهيه مؤمناً به مسلماً له. فهذه النعمة العظمى والعطاء الأسمى الذي لا يحمله ولا يقوم بحمد الله عليه لسان، فإن مِنَّة الإسلام هي المنَّة كلها سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: الحمد لله على الإسلام، فقال: «**إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة**».

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم على حلقة من أصحابه فقال: «**ما يُجْلِسكم؟**»، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومَنَّ علينا به، فقال: «**آللّهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟**»، قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة**». ولما قدم البشير على يعقوب قال: أي دين تركته؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمَّت النعمة.

فلا نعمة أعظم من هذه النعمة، وكل نعمة فمعدودة بعد هذه وتبع لها، وخادمة لها، والمطلوب والمراد إنما هي هذه النعمة، لأن كل نعمة لا تبقى لا تسمى نعمة إلا مجازاً، وإنما النعمة الحقيقية هي الباقية، ونعمة الإسلام هي التي تبقى للعبد عند قدومه على ربه، وتنزله في جواره وقربه، فإن تمام النعمة دخول الجنة وسبب دخولها إنما هو الإسلام، سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: اللّهم إني أسألك تمام النعمة، فقال: «**أي شيء تمام النعمة؟**»، فقال: دعوة دعوت بها أرجو الخير، قال: «**فإن من تمام النعمة دخول الجنة**».

فكل ما أعان على نيل هذه النعمة العظمى التي هي خاتمة النعم فهي أشرف نعمة في الدنيا، وتلك النعمة هي نعمة الإسلام الذي ارتضاه تعالى

لأوليائه ومَنَّ عليهم به، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [سورة المائدة: 3]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحجرات: 17]، وكل ما أعان على نيل نعمة الإسلام من نِعم الدنيا فهي نعمة تابعة لهذه يجب على العبد الشكر عليها، وكل ما صَدَّ عن نيل هذه النعمة أو كان سبباً في إضاعتها ونقصها فهي نقمة ومحنة وبلية يجب على العبد الفرار عنها والصبر على نفسه أن لا تركن إليها.

فإذا كُلُّ من جعل شهوات الدنيا ولذاتها وأعراضها من جملة النعم فتنعَّم بها ولم يستعِن بها على الوصول إلى ربه، فقد جهل معنى النعمة وظن أن كل لذيذ نعمة، بل تلك اللذات وبال عليه ونقمة حيث تصده عن الله تعالى، ولم يأمر رسول الله ﷺ أحداً بتناول اللذات وادخار الأموال، إنما أمره باقتناء قلب شاكر ولسان ذاكر، فقال عليه السَّلام: «**ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً**»، وقد جعل الله تعالى لابن آدم قلباً ولساناً وعينين وهداه النَّجدين، وسخَّر له ما في السمٰوات وما في الأرض، وملَّكه كثيراً من الخيرات ليستخرج منه خالص الشكر، فانظر نفسك ظاهراً وباطناً تجد كل جزء من أجزائك مُهيَّأً في الخلقة لتستعين به على طاعة الله تعالى وتصل به إلى جواره وقربه. فعقلك موضوع لتصرفه في معرفة الله تعالى والعلم به، والنظر في مصالح الدنيا التي تعين على الأخرى، وبصرك موضوع لتدرك به صنع الله تعالى فتستدل به عليه، ولتنظر به كتاب ربك، فكل ما يقربك به المنافع فتقرب منها والمضار فتفر عنها، وسمعك موضوع لتسمع به كلام ربك وتقتبس به العلوم التي توصلك إليه، ولسانك موضوع للنطق بالخير خصك به من سائر الحيوان ولتفرق به بين اللذيذ والكريه في المذاق. فتقرب من المنافع وتفر عن الضار، ويدك موضوعة لتبطش بها في طاعة الله عز وجل خصَّك بصفتها الرفيعة دون سائر الحيوان، وجعل لك فيها من المنافع ما لا يعلمها إلا هو سبحانه ورجلك موضوعة للمشي في طاعة الله تعالى ولتنهض بها لتنال خيراً نافعاً، وتَفرّ بها إذا رأيت شراً قاطعاً، وبطنك موضوع لحمل الغذاء الذي يقوم به الجسد، ويبقى به عقلك فتطيع الله تعالى بجميع أجزائك، وفرجك موضوع لتطأ به ما أحل الله لك

فتدفع عن نفسك ألم هذه الشهوة وتطفي نارها وتُخرج النسل من العدم إلى الوجود، فتكثر أمة محمد ﷺ.

فهذه السبع جوارح الموضوعة لنيل المصالح، وهي آلات للعقل يستعين بها على السير فيما أمر به من سبيل ربه، وفي باطنك من القوى والأجزاء ما لا يعلمها إلا الله تعالى كلها موضوعة للاستعانة على التوصل إلى الله تعالى وعليك في كل جزء منها شكر لله تعالى حيث مَنَّ عليك به، ولو أعدمك إياه لاختلَّ حالك، ونقص نظمك، فشكرك له هو تصريف كل جزء من أجزائك فيما أمرك به، وإمساكه عن ما نَهَاكَ عنه.

قال رسول الله ﷺ: «**في الإنسان ثلاث مئة مفصل وستون مفصلاً على كل مفصل منها صدقة**»، فانظر هل أنت قائم بحق الله تعالى في عقلك وجميع جوارحك أم لا؟ فإن كنت قائماً بحقه في الجميع فاعلم أنك شكور، وإن كنت مقصراً عن ذلك فاعلم أنك لنعمه كفور، حيث عكست حكمته وخالفت رضاه، وإنما تعلم ذلك بأن تستقري من الشرع الأوامر والمناهي، فتعلم حيث تقدم وتحجم، فلا بد لكل إنسان من هادٍ يهديه إلى الله تعالى، ولا هادي إلا كتاب الله وحديث رسوله عليه السَّلام فانظر أوامره ﷺ وأفعاله واقتد به تكن عبداً شكوراً، فلقد كان عليه السَّلام أشكر خلق الله لله، وأكثرهم ثناءً عليه، يجتهد في عبادة ربه غاية الاجتهاد، ويبذل من نفسه غاية الجد، ويتضرع ويبكي ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ويقول: «**اللّهم اجعلني لك شكاراً**»، فلم يزل ﷺ يشكر الله دائماً، ويزيده الله فوائد ومِنناً حتى أكمله وقاده إلى جواره ونقله وحمد له حمده وشكره ووعده أن يعطيه في الآخرة لواء الحمد، ويفتح عليه محامد لا يفتحها على أحد من الخلق، ويبعثه مقاماً محموداً، فما زال حامداً لله، وما زال عند الله محموداً، فاشكر ربك على أن مَنَّ عليك به، واشكره ﷺ على تبليغ رسالة ربه، فإن شكر المحسن فرض، وهو أحق بالشكر من جميع كل مخلوق في الأرض، وشكركَ له شكر لربك، فإن الله تعالى مَنَّ عليك به، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، وكل من أنعم عليك بنعمة ومَنَّ عليك بمنّة فعلى مقدار عظم المنَّة يجب أن يكون الشكر، ومحمد عليه السَّلام وجد الخلق على شفا جرف هار فأخذ بحجزهم فأنقذهم من

النار، فمَنْ أَوْلى بالشكر منه عليه الصلاة والسلام وما به حاجة إلى حمد المخلوقين وشكره، فقد حمده ربه وشكره وأثنى عليه وأحبه، ولكنه عليه الصلاة والسَّلام ندبك إلى حبه وشكره وحمده لتكون غداً من صحبه، وتحل بقربه مِنَّة مَنَّ بها عليك، ونعمة عظيمة أسداها إليك، فأولى الناس به من اقتدى بأفعاله، وآثره على أهله وماله، بل على نفسه فباعها في طاعته ومحبته، فهذا ينال رضوان ربه، ويفوز بحبه، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فأوجب المحبة لمن اتبعه وناهيك بهذا شرفاً، لا يدرك واصف له طرفاً.

* * *

إيضاح وهداية

حقيقة الشكر أن تعلم المنعم وهو الله تعالى وتعلم أن الإنعام صادر منه، وأن النعمة مَنَّ بها عليك رحمة بك، وأنك المنعَم عليه وأنه لا باستحقاق بل بتفضل وامتنان. فتجد في نفسك فرحاً أن أهَّلَك لنعمته فتسعى في تصريفها في رضى المنعم، فتلزم قلبك العكوف على بساط الشكر طول الدهر، ولسانك على النطق بالثناء والحمد عليه مدة العمر، وسائر جوارحك الطاعة له. فهذا هو حقيقة الشكر وحده. قال ابن عباس رضي الله عنه: (الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية)، وقال غيره: الشكر الاحتراس عن اختيار معاصي الله تعالى تحترس على قلبك ولساك وأركانك حتى لا تعصي الله تعالى بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه. وقال آخر: الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمه على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه. وقال آخر: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة. وقال آخر: الشكر معرفة العجز عن الشكر. وقال آخر: استفراغ الطاقة. وقال آخر: الشكر ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وهذه الأقاويل كلها راجعة إلى الحد الذي حددنا، فمن التزم ذلك الحد فهو شاكر ذاكر.

* * *

آثار وأنوار مفيدة للعبد
في فضيلة كلمة الحمد

قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين ملأت ما بين السماء والأرض، فإذا قال العبد: الحمد لله ثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض، فإذا قال: الحمد لله ثالثة، قال الله: سَلْ تُعْطَ**».

وقال علي رضي الله عنه: كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة في الموقف: «**اللَّهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول**».

وكان ﷺ إذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال، وإذا رأى ما يسَّره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات**».

وكان عليه السَّلام إذا آوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وأوانا، وكم ممن لا كافيء له ولا مؤوي له**»، وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها وإليه النشور**»، وكان عليه السَّلام إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل قال: «**اللَّهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن**»، وكان عليه السَّلام إذا أكل أو شرب قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»، وإذا رفعت المائدة بين يديه يقول: «**الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مودع ولا مستغنىً عنه ربنا**»، وقال ﷺ: «**من أكل طعاماً وقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقال ﷺ: «**من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله تعالى وفي ستر الله حياً وميتاً**».

وقال ﷺ: «**من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلاَّ عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان، عاش ما عاش**». وقال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها**

فإنما هي من الله فليحمد الله عليها»، وكان ﷺ إذا قدم من سفر قال: «**آيبون تائبون لربنا حامدون**»، وإذا خرج من الخلاء قال: «**الحمدلله الذي دفع عني ما يؤذيني، وأبقى عليّ ما ينفعني**»، وقال عليه الصلاة والسَّلام: «**إذا عطش أحدكم فليحمد الله تعالى**»، وأمر ﷺ الداعي إذا دعى أن يحمد الله تعالى أولاً ثم يصلي عليه ﷺ ثم يدعو، وبالحمد يستفتح الخطيب، ولا تقوم خطبة جمعة دون تحميد وصلاة على النبي ﷺ. قال ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم**».

وسميت خطبة زياد البتراء لأنها كانت خالية عن التحميد وعن الصلاة على النبي ﷺ، وسميت الصلاة الخالية عن قراءة الحمد لله خداجاً وهي الناقصة، وقال ﷺ: «**إذا قال العبد** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **يقول: حمدني عبدي...**».

فائدة حسنة: أول ما يستفتح المصلي قراءته بالحمد لله رب العالمين ثناءً على الله تعالى فيسمع حمده فيقول: حمدني عبدي، فإذا ركع عظم ونزَّه ربه وأثنى عليه ثم يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده، وهذا بلفظ الخبر ومعناه الدعاء، أي: اسمع اللَّهم حمد الحامد، فكأنه يقول: أنا يا رب في بساط الحمد بين يديك فاسمع حمدي، فإن كان إماماً فمذهب مالك رحمه الله أن يقول من وراءه: ربنا ولك الحمد، ولا يقول الإمام ربنا ولك الحمد، ولا المأموم سمع الله لمن حمده. ودليله قوله عليه السَّلام: «**إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، فإنه من وافق قوله قولَ الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**». ومذهب الشافعي رحمه الله أن يقول الإمام: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ودليله حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السمٰوات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعده**». قال الشافعي: ويقول المأموم سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد مثل ما يقول الإمام، ولا خلاف أن المنفرد يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، واختار مالك إثبات الواو في قوله ولك الحمد ويجوز حذفها فإن حذف الواو كان قوله ربنا لك الحمد جواباً لـ: سمع الله لمن

حمده، لأنه لما قال: اللّهم اسمع حمد من حمدك، أجاب فقال: ربنا لك الحمد، أي أنا أحمدك فاسمع حمدي، وإن أثبت الواو كان المعنى ربنا نحن نحمدك ولك الحمد، أي الحمد صفتك، فحمدُنا لك إنما هو لأن الحمد صفتك، ويجوز أن يكون المعنى ربنا ولك الحمد في سماع حمدنا لك كما يقول العبد لسيده: يا سيدي اسمع كلامي ولك الفضل، وسماع الحمد ها هنا إنما هو القبول لأن الله تعالى يسمع الخير والشر ولكنه لا يتقبل إلا الخير، وعليه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، وقال عليه السَّلام: «**لا يسمع الله دعاء من قلب لاهٍ**» أي لا يتقبله. فمالك رحمه الله جعل الإمام داعياً بقوله سمع الله، وأقام المأموم مقام المؤمِّن على الدعاء. والشافعي رحمه الله جعل الإمام داعياً مؤمِّناً وجعل المأموم أيضاً كذلك، فقد أفلح من وافق قوله قول الملائكة في هذا المقام الشريف فإن الملائكة حامدة لله تعالى على الدوام، والله سامع لحمدها فمن سمع الله حمده فقد وافق قوله قول الملائكة، وإذا وافق ذلك فقد غفر له ما تقدم من ذنبه.

(صلّى رجل خلف رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة وقال: سمع الله لمن حمده، قال رجل من ورائه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «**من المتكلم آنفاً؟**»، فقال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت بضعة وثلاثين مَلَكاً يبتدرونها أيهم يكتبهن أولاً**»).

وما ورد في الآثار من فضيلة الحمد متعذر للعدّ، ولعظيم ما انطوت عليه هذه الكلمة الشريفة من الفضيلة كان هجيرا علي رضي الله عنه الحمد لله وهو الخبير الحميد وهو باب مدينة العلم، وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: (وقف رجل على باب الكعبة حين فرغ من الحج فقال: الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم. قال: ثم قفل إلى بلاده ثم حج من قابل فوقف على باب الكعبة فذهب ليقول مثل مقالته فنودي يا عبدالله أتعبت الحفظة من العام الأول إلى الآن فما فرغوا مما قلت).

وإذا علمت موقع الحمد والشكر من الدين وعلمت مقدار ما يعطى

عليه العبد من الثواب الجزيل فالتزمه واحمد الله حق حمده بمقدار طاقتك لا بمقدار ما هو له أهل فليس ذلك في وسع مخلوق، وأقل نعمة أنعم بها عليك لو استفرغت دهرك في شكرها لم تقدر على ذلك، فكيف وهو قد سخر لك جميع ما في السمٰوات وما في الأرض، ثم انظر نعمته عليك في العافية التي ألبسك بردها وسوغك لذاذتها وبردها وجعل عقلك وجميع جوارحك سليمة من الآفات جميلة الصفات وغيرك يتقلب في ثياب البلاء ويتألم بالمحن واللأواء، أوَليس هذه نعمة عظمى تعين على نيل نعمه الأخرى مع اللذاذة في المحيا. قال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**»، وسأل العباس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى، فقال: «**يا عباس، يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**». وسمع ﷺ رجلاً يقول: اللّهم إني أسألك الصبر، فقال: «**سألت الله البلاء، فاسأله العافية**». وكان عليه السّلام يقول: «**اللّهم عافني في جسدي وعافني في بصري واجعله الوارث مني**»، وكان عليه السّلام يتعوّذ كثيراً من جميع بلاء الدنيا الظاهر والباطن ومن بلاء الآخرة.

فإن قلت: أوَليس في ضمن البلاء الخير العظيم وإن احتمال مصائب الدنيا تقود إلى الله تعالى وأن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله الشر أمسك بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**»، وقال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صَلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**». وقال ﷺ: «**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض**».

وكثيراً ما تجد من الثناء على أهل البلاء في الشرع، وهو مكفِّر للذنوب، فكيف لا يرغب فيه؟ وهل يستعيذ العبد من شيء يقربه إلى الله تعالى ويكون سبباً لنيل رضوانه؟.

فالجواب: أن العافية من فعل الله تعالى والبلاء كذلك، لكن العافية

لذيذة والبلاء مؤلم، والنفس بالطبع متآنسة باللذيذ الملائم كارهة للمؤلم، فسؤال العبد ما لا يطيق حمله ولا يوافقه طبعه خطأ محض وخروج عن مقتضى الحكمة ونقص، فإنه ربما يبتليه الله تعالى بأقل بلاء فيضيق صدره وتضجر نفسه فيتسخط بقضاء ربه فيحصل له بلاء في الدنيا وبلاء في الآخرة، كما قال عليه الصلاة والسَّلام: «**يكاد الفقر يكون كفراً**»، أي في حق من تسخط به ولم يصبر عليه، ثم البلاء مانع للعبد من الطاعة التي هي سبب القربة والسعادة فكيف يتمنى ما يصده عن الله تعالى، قال ﷺ: «**من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه**»، وإنما يستعان على الإنابة والطاعة بالعافية. قال عليه الصلاة والسَّلام: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[1]، وكان عليه الصلاة والسَّلام يقول في دعائه: «**وعافِيَتُك أحب إلـيّ**»، وقال الحسن: (الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر)، فكم من منعم عليه شاكر. وقال مُطرف[2] بن عبدالله: (لأن أعافى فأشكر أحب إلـيّ من أن أبتلى فأصبر)[3].

---

(1) رواه البخاري 109/8، والترمذي (2304)، وابن ماجه (4170)، والطبراني في الكبير (10786)، والبيهقي 370/3، والدارمي (2710)، وعبد بن حميد (675).

(2) هو مطرِّف بن عبدالله بن الشخِّير الحَرشي العامري، أبو عبدالله البصري، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة وقال: روى عن أبي بن كعب، وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب.

وقال العجلي: كان ثقة. وعن غيلان عن مطرف أنه كان يقول: (عقول الناس على قدر زمانهم). وقال قتادة عن مطرف: (فضل العلم أحبُ إلـيَّ من فضل العبادة) مات سنة (95هـ). انظر ترجمته: (طبقات ابن سعد 141/7)، (تاريخ الدوري 569/2)، (تهذيب الكمال 67/28).

(3) أخرجه الخرائطي في كتاب (فضيلة الشكر لله على نعمته) رقم 41، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر 31.

ولقد ورد في (تهذيب الكمال) للمزي 193/11، عن عمر بن السكن: (كنت عند سفيان بن عيينة، فقام إليه رجل من أهل بغداد، فقال: يا أبا محمد، أخبرني عن قول مطرف: (لأن أُعافَى فأشكر أحبُ إلـيّ من أن أُبتلى فأصبر، أهو أحب إليك أم قول أخيه أبي العلاء: (اللهم رضيت لنفسي ما رضيت لي؟ قال: فسكت عنه سكتة ثم قال: قول مطرف أحبُ إلـيّ. فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله=

فالذي ينبغي للعبد المعافى أن يكون فرحاً مسروراً بنعمة الله تعالى عليه في العافية شاكراً له عليها سائلاً منه أن يُديمها متخوفاً أن ينزل به مصيبة فلا يصبر عليها، فإن ابتلاه ببلاءٍ في نفسه أو ما يتعلق بنفسه فليقابل البلاء بصدر واسع رحب، ويمسك نفسه عن الضجر خوفاً أن يجزع فيحبط أجره فقد قيل: إن الجزع على المصيبة أعظم من المصيبة، فإذا صبر واحتسب ورضي بقضاء الله تعالى أعطي من الثواب على مصابه ما لا يُحدّ بحدّ. قال ﷺ: «**إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**».

وما ورد من فضيلة الصبر وثوابه في القرآن والحديث خارج عن الإحصاء وحسبك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: **10**]، وذكر الله الصبر في نيف وسبعين موضعاً مادحاً لأهله، وواعد لأهله بالثواب العظيم، وذكر الشكر وأثنى على أهله حتى قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ لعلوّ مرتبته.

وقد كثر الاختلاف في الشاكر والصابر أيهما أفضل؟ ومن الناس من ساوى بينهما لأنه ورد في الحديث: «**الصبر نصف الإيمان**»، وقال ابن مسعود: (الشكر نصف الإيمان)، ومن الناس من فضّل الصابر على الشاكر لقوله عليه السَّلام: «**من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر**»، ولقوله عليه السَّلام: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**». والمشبه بالشيء لا يقوى قوة المشبه به، ومن الناس من قال: الشاكر أفضل لأنه أنعم عليه فصرف النعمة في وجهها وصبر على نفسه في فتنة السراء فهو صاحب شكر وصبر. فله التفوق على الصابر، ولذلك قال بعض السلف: (ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر). وفتنة السراء أعظم لأن حبس النفس عن الشيء

= له؟ فقال سفيان: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان ـ عليه السلام ـ مع العافية التي كان فيها: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: **30**]. ووجدت صفة أيوب ـ عليه السلام ـ مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: **44**]. فاستوت الصفتان وهذا معافى وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحبَّ إليَّ من البلاء مع الصبر).

مع وجوده أعظم من حبس النفس عند عدم الشيء. والحق الصراح في هذه المسألة أن نقول: الفضيلة إنما هي زيادة القربة من الله ومضاعفة الثواب في دار النعيم، والمبتلى الصابر والمعافى الشاكر فقد وجبت لهما الجنة برحمة الله تعالى ووعده الكريم لهما جزاءً على أعمالهما، فبقي أن نقول من أسرع دخولاً الجنة ومن أعظم فيها حرمة، فإذا مثلنا رجلاً ابتلاه الله تعالى بالبلاء في بدنه وبقلة ذات يده ويترادف عليه النوائب والمحن، وهو يقابلها بصدر رحب ووجه طلق راضياً بقضاء الله تعالى غير كاره لذلك ولا متمنياً أن ما ينزل به من البلاء لا يزول، بل يكون مستسلماً للقضاء ناظراً لمراد الله تعالى لا لمراد نفسه شاكراً على ما في طيّ هذه المحن من النعم، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾، حامداً لله على أن جعل محنته في دنياه ولم يجعلها في دينه، كما قال بعض العوارف: وددت أن الله سلبني جميع جوارحي ووهبني كُنه محبته، فمثل هذا هو صابر شاكر حقيقة، وليس عليه في الآخرة حساب فهو أسرع الناس دخولاً الجنة، وإلى هذا الصنف أشار النبي ﷺ بقوله: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب**» الحديث[1]، وبقوله: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام**»[2]، وهذا في الناس صنف رفيع كأيوب عليه السَّلام في الأنبياء، وكثير من الأولياء وصلوا إلى حدّ عظيم من البلاء فصبروا فكانوا في الهدى أئمة[3].

---

(1) روا البخاري في كتاب اللباس ـ باب البُرود والحبرة والشَّملة 40/7، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب 136/1.

(2) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح، كتاب الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم رقم الحديث (2354).

(3) وفي المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر، صنف العلامة محمد بن بير علي البيركلي (ت 981هـ) رسالة لطيفة سماها: (تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر) وقد حققها الدكتور محمد خير رمضان يوسف ـ وطبعت بدار ابن حزم 1994م، وإليك أهم ما جاء فيها ملخصاً. يقول محمد بن بير علي البيركلي: (والخلاف مشهور بين العلماء ـ قديماً وحديثاً ـ في أن الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر؟. =

= وقد ذهب إلى كل منهما طائفة بأدلة وحجج، والذي يقوي تفضيل الثاني: اتفاقهم على أن العبادة المتعدية أفضل من القاصرة، وتلك لا تتحقق ـ من جهة المال ـ إلا في الغنى. فإن قلت: ما ذكرته معارض بما ذكره الترمذي وابن ماجه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إن الدنيا ملعونة ملعون من فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم**» وقد صحح الترمذي الأول، وحسَّن الثاني.

وقد كثر جداً في ذم الدنيا الآيات والأحاديث والآثار، فما وجه التوفيق؟.

قلت: المدح والذم لشيء واحد من جهة واحدة تناقض لا يصدر من الله، ولا عن رسوله، وأما إذا اختلفت الجهة فجائز، بل واقع. وههنا كذلك:

فجهة مدح الدنيا: كونها قياماً وقواماً للبدن الذي هو مطيّة التقرب إلى الله تعالى، ومركب الوصول إلى رضائه وجنانه، فهي مزرعة الآخرة، وبها ينتظم المعاش والمعاد، وفيها صلاح الدارين، وسعادة الجنانين على ما لا يخفى على المتدبر.

وجهة الذم: كونها غارة ومطغية وملهية عن ذكر الله، وعن الموت والآخرة وكونها سبباً لحبها وإيثارها على الآخرة، واطمئنان القلوب بها، وعدم الفراغ للعبادة بكثرة الاشتغال بها، والحرص على جمعها وتكثيرها، والتلذذ بها بالأبنية المرتفعة، والثياب الفاخرة، والأطعمة النفيسة، وكثرة الخدم والغلمان والأفراس والبغال، ونحو ذلك، وصادا عن الصلاة في الجماعة وسائر الخيرات، كما يشاهد في أكثر أرباب الدنيا.

وهذه الجهة غالبة عليها، فذلك كثر الذم!.

فالذم في الحقيقة ـ راجع إلى صفتها الضارة وهي: الإلهاء والإطغاء والإنساء. ولذلك قال تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: 9]. ولم يقل لا يكن لكم أموال ولا أولاد.

ومدح قوماً بقوله: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ ولم يقل: لا يتجرون ولا يبيعون.

ووقع الذم في الغالب مع التعبير بلفظ: (الدنيا) إذ اشتهر في معناها. مع ملاحظة هذه الصفة الضارة كالخاتم، فكأنه صار لفظ الدنيا موضوعاً لمجموع الموصوف والصفة الخبيثة، فلا شك أنها جيفة ملعونة، لا تعدل جناح بعوضة عند الله، ليس فيها خير أصلاً.

فمثل الدنيا كمثل الحية، فيها سُمّ غالب ظاهر وترياق خفي، حيث يتخذ منها معجون=

. . . .

= يسمى ترياقاً كبيراً وفاروقاً لا يساوى. بل لا يقارن به معجون ما أصلاً في دفع السموم، والنفع في الأمراض البلغمية والسوداوية، فمن قدر على الاحتراز عن سُمِّها وأخذ ترياقها فلا يستضر بها، بل ينتفع بها منفعة عظيمة، ولكن هذه القدرة لا تحصل إلا بحذاقة في علم الطب، ومهارة وتمرن في عمله وممارسته، وذا عزيز جداً. وأكثر الناس يستضر بالحية لعدم الحذاقة والممارسة المذكورتين.

وكذلك المال! لا ينتفع به إلا من له علم وفقه كثير، مع توفيق من كريم كبير. والله الموفق، وعليه التكلان، ص53 ـ 58.

ولابن القيم رحمه الله تعالى رأي مهم في هذه المسألة ذكره في كتابه (عُدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) فقال: (مسألة المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر مسألة كثر فيها النزاع بين الأغنياء والفقراء، واحتجت كل طائفة على الأخرى بما لم يمكنها دفعه من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار، ولذلك يظهر للمتأهل تكافؤ الطائفتين، فإن كلاً منهما أدلت بحجج لا تُدفع. والحق لا يعارض بعضه بعضاً. بل يجب اتباع موجب الدليل أين كان.

وقد أكثر الناس في المسألة من الجانبين، وصنفوا فيها من الطرفين، وتكلم الفقهاء والفقراء والأغنياء والصوفية وأهل الحديث والتفسير، لشمول معناها وحقيقتها للناس كلهم، وحكوا عن الإمام أحمد فيها روايتين، ذكرهما أبو الحسين في كتاب (التمام) فقال: مسألة: الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر في أصح الروايتين، وفيه رواية ثانية: الغني الشاكر أفضل، وبها قال جماعة منهم ابن قتيبة، ووجه الأولى واختارها أبو إسحاق بن شاقلا والوالد السعيد.

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى، فإن فرض استواؤهما في التقوى: استويا في الفضل، فإن الله سبحانه لم يفضِّل بالفقر والغنى، كما لم يفضِّل بالعافية والبلاء، وإنما فضَّل بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، والتقوى مبنية على أصلين: الصبر والشكر، وكل من الغني والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل.

فإن قيل: فإذا كان صبر الفقير أتم، وشكر الغني أتم، فأيهما أفضل؟ قيل: أتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله، ولا يصح التفضيل بغير هذا ألبتة. فإن الغني قد يكون أتقى لله في شكره من الفقير في صبره، وقد يكون الفقير أتقى لله في صبره من الغني في شكره، فلا يصح أن يقال: هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل. ولا يصح أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر، ولا بالعكس لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما.

بل الواجب أن يقال: أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل، فإن التفضيل تابع=

وإذا مثلنا هذا أيضاً رجلاً أنعم الله عليه بالعافية في جسمه ووسع له في ماله، وتقلب في ثياب العوافي طول دهره والنِّعَمُ تقبل عليه من كل جانب، وهو يصرف جوارحه في طاعة ربه، ويصرف ماله حيث أمره الله، ولا يتلذذ به في المباح بل يجوع ويشبع غيره ويعري نفسه ويكسو سواه، كما قيل ليوسف عليه السَّلام: أتجوع وفي يدك خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع. وكان ممن قال فيه عليه السَّلام من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها، فهذه الصفة لو تنزلت لكانت من أعظم الصفات لكنه يتعذر وجودها لأن الله تعالى ركب في طبع النفس محبة اللذة وكراهة الألم. فإذا كان الإنسان معافى في جسمه يتلذذ لا شك بالعافية، وإذا كانت يده متسعة في النعم فكيف لا تجنح النفس إليها. [وهبك] أنه يصبر وقتاً مَّا أيقدر طول دهره على احتمال الجوع والعري وغير ذلك من النوائب، والشيء عنده ممكن يباشره، ثم إنه لو كان عنده من النعم ما كان إذا كان غير متنعم بها، وإنما هو كالوكيل عليها إذا رأى من يستحقها أعطاها إياه، والدنيا طافحة بالفقراء وذوي الحاجة فلا يبقي عنده ذرة منها في لحظة إذا أراد تصريفها في حقها وإزالتها عن نفسه ولم يكن له

= لهذين الأمرين، كما قال تعالى في الأثر الإلٰهي: «**ما تقرب إلـيّ عبدي بشيء أحب إلـيّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلـيّ بالنوافل حتى أحبه**» فأي الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل، ص217.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد تنازع كثير من متأخري المسلمين في (الغني الشاكر) و (الفقير الصابر) أيهما أفضل؟ فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد. ورجح هذا طائفة من العلماء والعباد. وقد حكي في ذلك عن الإمام أحمد روايتان.

وأما الصحابة والتابعون، فلم ينقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر.

وقالت طائفة ثالثة: ليس لأحدهما على الآخر فضيلة إلا بالتقوى، فأيهما كان أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل، وإن استويا في ذلك استويا في الفضيلة، وهذا أصح الأقوال، لأن الكتاب والسنة إنما تفضل بالإيمان والتقوى. وقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135].

وللتوسع انظر: (مجموع فتاوى ابن تيمية) 119/11 ـ 121، و 305/14 ـ 306.

تأنس بها بوجه ولا تلذذ بشيء منها، وكان عدمها ووجودها سواء عنده، ومن وصل إلى هذا الحد فقد محا اسمه من ديوان الأغنياء وأثبته في ديوان الفقراء فرجع الأمر إلى أن الفقر خير للنفس الصابرة عليه من الغناء أي أعون لها على الشغل بالله، وأسرع خلاصاً لها في موقف الحساب، وأشد ثواباً وأعظم زلفاً في جوار الله، لأنه بمقدار ما يفوت من نِعَم الدنيا للنفس تناله في الآخرة بلا شك. ولا يقدر ذو غنى يصل بوجه لما وصل إليه عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأنه كانت له السابقة العظمى والعلم الأوفى بالله تعالى، وكان يقرض الله قرضاً حسناً. وقال فيه عليه السَّلام: «**آخر أصحابي دخولاً الجنة عبدالرحمن بن عوف**»، وقال له ﷺ يوماً: «**يا ابن عوف، إنك من الأغنياء فأقرض الله تعالى يطلق لك قدميك**»، قال ابن عوف: وما الذي أقرض يا رسول الله؟ قال: «**تبدأ مما أمسيت فيه**»، قال: يا رسول الله ما لي كله أجمع، قال: «**نعم**»، فخرج ابن عوف وهو مهتم بذاك فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال: «**أتاني جبريل عليه السَّلام فقال: مُرْ عبدالرحمن فليضف الضيف، وليعط السائل، وليبدأ بمن يعول فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه**». فعبدالرحمن رضي الله عنه غني شاكر بلا شك، وصابر على نفسه في تصريف ماله في وجوه البر، ولكن لما كان أكثر أصحاب رسول الله ﷺ مالاً كان آخرهم دخولاً الجنة. وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومقامه في الجنة فوق كثير من الفقراء الصابرين، ولكنه يحبس للسؤال على ما اقتضته حكمة الله تعالى في تعلق النفس بالمال. وقد عرضت على رسول الله ﷺ كنوز الأرض ففرَّ عنها لما رآها مشغلة عن المقام المحمود الذي وعده ربه، واستعاذ الله من فتنة الغنى ومن فتنة الفقر، فإنهما فتنتان مشغلتان للنفس عن نيل المراد الشريف من اكتساب المعرفة بالله، والعمل الذي يوصل إلى جواره سبحانه، فقال عليه السَّلام: «**اللَّهم اجعل رزق آل محمد كفافاً**»، فسأل ما يلائم النفس ويعينها على الطاعة ولم يتعرض لسؤال الفقر فإنه بلاء، وحيث كان يبتليه الله بالجوع فيبقى ثلاثاً دون طعام وتبقى ابنته رضي الله عنها في جهد من العري والجوع والتعب في الخدمة، كان يصبر ويرضى ويُصبّر غيره ويمنّيهم

بالثواب الجزيل على ذلك، فمن ابتُلي فصبر كما يحب الله ويرضى، أو أعطي فشكر كما يحب الله ويرضى. فقد نال الدرجات العلى، واستوجب القرب من الله تعالى لا بنفس الوجود للغنى والعافية للمعافى، ولا بنفس للعدم للفقر والبلية للمبتلى بل لقيامهما بحقوق الله تعالى فيما قلدهما، لأن البلاء والعافية ليستا في الدنيا موزعتان على عباد الله تعالى. فمن اختار الله تعالى له لِبسة العافية فليشكره عليها ويلزمه مع الشكر الصبر، فإن نفسه بالطبع مائلة أن تتصرف بنِعَم الله تعالى في شهواتها وما لا يرضاه الله تعالى، فإذا صبر عن اتباع شهوات النفس ووضع النعم في رضى المنعم، كُتب شاكراً صابراً.

ومن اختار الله لِبْسَة البلاء له فليصبر عليها ويلزمه مع الصبر الشكر من حيث جعل الله له في طي هذه المحن نعماً كثيرة في الأخرى لا تفنى بل من حيث جعلها في دنياه لا في دينه وفي مفاصله الجسمية لا في نور توحيده ويقينه، كما قال عروة بن الزبير وقد قطعت رجله من بلاء أصابها: لَيُمنك لئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد أبقيت أخذت واحدة وأبقيت ثلثاً، فحينئذ كُتب صابراً شاكراً، فكل شاكر حقيقة صابر، إذ الإنسان موضوع في الدنيا للابتلاء والاختبار، فكل صابر حقيقة شاكر إذ ما يأخذ الله تعالى من العبد بالبلاء يبقي له أكثر ولو لم يبق له إلا الإيمان وحده لكان ذلك من أعظم النعم، غير أن المنعم عليه المعافى مقامه الشكر والصبر تبع للشكر. والمضيق عليه المبتلى مقامه الصبر والشكر تبع للصبر، فإن تساويا في المعرفة بالله تعالى واليقين كان المبتلى الصابر أسرع خلاصاً من هول الحساب، لأنه لم يرحل من الدنيا بلذة ولا بنعيم ليسأل عنه مثل نعيم المعافى الشاكر ولذته لأن اللذة إنما تكون بالعافية، والمعافى المنعم عليه الشاكر لا بد أن يسأل ولو عن لذته بشرب البارد، كما قال عليه السَّلام لأصحابه وقد أكلوا طعاماً لذيذاً وشربوا شراباً سائغاً لتسألن عن نعيم هذا اليوم، ثم إذا خلص المنعم عليه الشاكر من السؤال وامحى عنه ما تعلق بنفسه من التنعم بنعمة الله تعالى، التحق بالمبتلى الصابر لما تساوى معه في اليقين والعلم والعمل إلا أنه قد يخص الله تعالى الصابر بخصائص وهو

أعلم بعبده. ففي الخبر أنه يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أترضى أن نجزيك بما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: كلا! أنعمتُ عليه فشكر وابتَلِيتَ فصبرتَ، لأُضْعِفَنَّ لك الأجر عليه، فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين.

وإذ قد سبحنا في هذا الباب في بحار، وأفدناك جواهر حطرت المقدار، فلنختم الباب بتحميد محكم على حروف المعجم، فحمد الله تعالى أولى ما دار على الفم.

خاتمة الباب بتحميد محكم على حروف المعجم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، الذي له الحمد في الأرض والسماء.

الحمد لله الذي سما حمده على حمد الحامدين وأربا وحمد نفسه إذ كان للعالمين رباً.

الحمد لله الذي جعل الحمد لنفسه صفة ونعتاً، وأوجب لحامديه حظاً سامياً وبختاً.

الحمد لله على ما أفاض من نعمه وأحدث وأسبغ من عوارفه وأورث.

الحمد لله الذي أمر عباده بالحمد دون ضرورة ولا احتياج، وجعل نفوس حامديه مبتهجة بحمده أعظم ابتهاج.

الحمد لله تلذذاً بحمده وفرحاً، الذي بدا كتابه بحمده مفتتحاً.

الحمد لله حمد ثابت راسخ على نعمه التي ليس لها ناسخ.

الحمد لله بجميع المحامد على ما أسدى من جميل الأيادي والمقاصد.

الحمد لله الذي جعلني بنعمته متلذذاً، وأماط عني كل ضر وأذى.

الحمد لله الذي صورني في أحسن الصور، ورداني من العافي بأصفى الأزر.

الحمد لله الذي أبرزني للوجود خير إبراز، ومنَّ عليَّ بحمد وسيلة للتخلص والمفاز.

الحمد لله الذي بسط عافيته علينا بسطاً، وحط عنّا أعباء البلاء حطّاً.

الحمد لله الذي أوسعنا رعاية وحفظاً، وأتاح لنا من أياديه الجزيلة حظاً.

الحمد لله الذي سلك بنا أوضح المسالك، وزحزحنا عن وبيل المسالك.

الحمد لله الذي له الحمد والفضل، والشكر والثناء من بعد ومن قبل.

الحمد لله على النعمة العظمى نعمة الإسلام الموصلة برحمته إلى دار السلام.

الحمد لله الذي تردا من الحمد بأجمل رِدا وأسناه، وجعل الحمد شعار أهل دار الحسنى.

الحمد لله الذي انفرد بالحمد اختصاصاً، وأمر عباده أن يحمدوه إيقاناً وإخلاصاً.

الحمد لله الذي جعل الحمد على عباده فرضاً، وأعلمهم أنه يحب حمدهم له ويرضى.

الحمد لله الذي هو لحمد الحامدين سامع، ولثنائهم عليه متقبل ورافع.

الحمد لله لا يقوم حامد بحمده ولو أبلغ ما أبلغ لأنه الذي أفاض نعمة الحمد وأسبغ.

الحمد لله الذي ندب عباده للحمد رحمة ولطفاً، وادخر لهم على حمده قرة عين وأخفى، الذي خلق فرزق، وخذل من شاء بعدله ووفق.

الحمد لله الذي أفاض علينا من عوارفه أصفى لباس، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

الحمد لله الذي أطعم بعد الطوى وروى بعد العطش، وأقال عبده من عثرات زلاته فانتعش.

الحمد لله الذي أحيانا بنور الإيمان والنُّها، وقسم لنا من رحماء أوفر اللها.

الحمد لله الذي ألبسنا عافية وعفواً، وكسانا ماءَ فضله زلالاً صفواً.

الحمد لله له الحمد في الآخرة والأولى، حمداً يرجع به [شباء] اللسان الطلق مفلولاً.

الحمد لله على حمدي له ما دمت حياً، فحمده هدّ القلوب العارفة وأعيا.

كمل الباب السابع وهو باب التحميد، وبتمامه كمل الجزء الثاني من كتاب إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبارات في شرح الكلمات الباقيات الصالحات، والحمد لله مالك الأرض والسمٰوات، وصلّى الله على محمد أفضل الصلوات وعلى صحبه أهل الفضائل والخيرات وشرف وكرم.

الجزء الثالث

الباب الثامن

في التسبيح وفضائله
وما أعدَّ الله من عظيم الثواب لقائله

ويشتمل على فوائد جليلة ومعانٍ باهرة جميلة(1):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾، والأزواج هي الأضداد، فكل موجود في الوجود فله ضد إلا الله تعالى. ولذلك قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: تذكروا بالأضداد على مبدعها وفروا من التعلق بالمخلوق إلى الواحد الخالق، فهو خالق الأضداد، ولا يدخل للخالق في صفة المخلوق فلا ضد له، ولا في الوجود خالق سواه، فلا نِدَّ له إذ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، فسبحان الله رب العرش العظيم، فهو المسبّح سبحانه لما هو عليه من التقديس، والتنزه عن التمثل بشيء، أو التشبه، وهو المسبح في صفاته التي برئت وتنزهت عن ما يلحق صفات المخلوقين، وهو المسبّح سبحانه في إتقان صنعته الدالة على قدسه وجلالته التي يضطر كل ناظر بعين البصيرة إليها أن يقول سبحان الله.

وهو المسبّح سبحانه كما يقوله أهل الجهالة والغي، فسبحان الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وسبحان الله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

(1) الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب سبق تخريجها.

وسبحان الله الذي تسبح نفسه قبل أن يخلق خلقه، فهو المسبّح لنفسه أزلاً وأبداً بكلامه القديم وهو القائل: سبحان الله العظيم، وهو الغني عن تسبيح عباده له، إذ هو المقدس أن يصل إليه من عباده شيء، فإنما أمر عباده بتسبيحه وتقديسه مِنَّة مَنَّ بها عليهم، ومنحة عظيمة أسداها إليهم، فخلق ملائكته الكرام في حضائر الرضوان وأطلعهم وقدسه على ما لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، واضطرهم إلى تسبيحه عند مشاهدة جلاله، وجعل غذاهم التسبيح والتقديس حتى لو [. . . .][1] فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ويعترفون أنهم مقصرون لأنهم يعلمون أنه لا يقدسه وينزهه ويسبحه كما ينبغي لجلاله أحد سواه، لأن بينها وبين الله حجباً لا يخرقها ولو كشف منها واحداً لكانت سبحات وجهه تحرقها. قال ﷺ: «**إن لله تعالى سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره**»، وقال جبريل عليه السلام: (إن بيني وبين ربي سبعين حجاباً من نور لو دنوت من أحدها لاحترقت).

فسبحان من احتجب بأنوار ذاته وصفاته عن أعين ملائكته، وغيَّب عن من شاء أسرار مملكته، وتوحَّد بنور ذاته وصفته، ولم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. فملائكة الله الكرام مسبحة له على الدوام. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾. وروى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تعالى في السماء ملائكة ركوعاً وسجوداً هذا دأبها لا تفتر إلى يوم القيامة فإذا قامت قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وفي السماء الثانية كذلك إلى الثالثة إلى الرابعة إلى الخامسة إلى السادسة إلى السابعة**»، قالوا: يا رسول الله، فما يقول أهل سماء الدنيا؟ قال: «**يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت**»، قالوا: فما يقول أهلُ أهلِ السماء الثانية؟ قال: «**يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت**»، قالوا: فما يقول أهل السماء الثالثة؟ قال: «**يقولون: سبحان الدائم الحي الذي لا يموت**».

وقال ابن عباس: الروح ملك واحد له عشرة آلاف جناح، وله ألف وجه لكل وجه عينان ولسانان يسبِّحان الله إلى يوم القيامة. وعن ابن عباس رضي الله

---

(1) بياض في الأصل.

عنه قال: خلق الله العرش من لؤلؤة صفراء، يتلون في كل يوم ألف مرة، وخلق حول العرش ثمانين ألف سرادق مسيرة ألف عام كل يسبّح الله ويقدّسه.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (أسكن الله في السماء الدنيا جنداً من الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون).

فالتسبيح شعار الملائكة الكرام، ومن أراد التشبه بهم من الأنام واللّحُوقَ بهم في ذلك المقام، فليكثر في الدنيا من التسبيح. قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾، وقال لنبيه عليه السَّلام: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، أي: نزّه ذاته تعالى، لأن الاسم هو النفس المسمى، وقال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وأثنى على ملائكته بالتسبيح له والسجود، فقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾، وجعل التسبيح دعوى أهل الجنة فقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، وجعل التسبيح سبباً لخلاص ذي النون نبيه من بطن الحوت فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

وورد من الثناء في الشرع على هذه الكلمة كثير. فقال ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، وقال أبو ذر رضي الله عنه: قلت لرسول الله ﷺ: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل؟ فقال ﷺ: «**ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، وقال ﷺ لجلسائه: «**أيعجز أحدكم أن يكسب ألف حسنة**»، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «**يسبح أحدكم مئة تسبيحة يكتب له ألف حسنة، ويحبط عنه ألف سيئة**»، وقال ﷺ: «**اذكروا عباد الله، فإن العبد إذا قال سبحان الله وبحمده كتب له بها عشر حسنات، ومن العشر إلى المئة، ومن المئة إلى الألف، ومن زاد زاده الله**»، وقال ﷺ: «**إذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة**»، وقال ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حُطت خطاياه، وإن كانت مثل زَبَد البحر**»، وقال ﷺ: «**التسبيح يملأ ما بين السماء والأرض**»، وقال ﷺ: «**إن الله اصطفى من الكلام: سبحان الله**»، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بما سمى الله تعالى إبراهيم**

خليله الذي وفى، كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: **سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**»، وقال ﷺ: «**ما من صباح يصبح العباد إلا ومنادٍ ينادي: سبحوا الملك القدوس**»، وقال ﷺ: «**ما من صباح إلا وملكان يناديان: سبحان الملك القدوس**»، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله تولَّت عني الدنيا وقلَّت ذات يدي، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟**»، قال: فقلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: «**قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله مئة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه**»، وقال ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله وأتوب إليه كتبت له كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله صاحبه حتى يلقى الله يوم يلقاه وهي مختومة كما قالها**»، وقال ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مئة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**»، وقال ﷺ ذات يوم لأصحابه: «**قولوا: سبحان الله وبحمده مئة مرة من قالها مرة كتبت له عشراً، ومن قالها عشراً كتبت له مئة، ومن قالها مئة كتبت له ألفاً، ومن زاد زاده الله، ومن استغفر غفر الله له**»، وقال ﷺ: «**من سبح الله مئة بالغداة ومئة بالعشي كان كمن حج مئة مرة**»، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**سبحان الذي تعطف بالعز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام**».

وقالت صفية رضي الله عنها: دخل عليّ رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بها، فقالت: لقد سبحتُ بهذه، قال: «**ألا أعلمك بأكثر مما سبحت؟**»، فقلت: علّمني، فقال: «**قولي: سبحان الله عدد خلقه**». ومرَّ رسول الله ﷺ على جويرية بنت الحارث رضي الله عنها وهي في مسجد، ثم مَرَّ بها قريباً من نصف النهار فقال لها: «**ما زلت على ذلك؟**»، فقالت: نعم، قال: «**ألا أعلّمك كلمات تقولينها: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضى**

نفسه، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته»[1].

---

(1) هذا الحديث رواه عن ابن عباس، عن جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ: مسلم **44/17**، وأبو داود **109/2**، والترمذي **67/13**، والنسائي **77/3**، وابن ماجه **151/2**، وأحمد في المسند **258/1** و**353**، و**325/6** و**429**.

أما سبب تفضيل هذا التسبيح على مجرد الذكر فيقول ابن القيم: (تفضيل سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) على مجرد الذكر سبحان الله أضعافاً مضاعفة. فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه)من معرفته وتنزيهه، وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد: أعظم مما يقوم بقلب القائل: (سبحان الله) فقط. وهذا يسمى: الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد، فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه فإن قول المسبح: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) يتضمن إنشاءً وإخباراً عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان أو هو كائن، إلى ما لا نهاية به.

فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون. وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده، بل أخبر أن ما يستحقه الرب سبحانه وتعالى من التسبيح: هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره، فإن تجدد المخلوقات لا ينتهي عدداً ولا يحصى الحاضر.

وكذلك قوله: (ورضا نفسه) فهو يتضمن أمرين عظيمين:

أحدهما: أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيّان، ولرضا نفسه، كما أنه في الأول مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة والوصف، والتسبيح ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه.

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لا نهاية لها ولا غاية، بل هي أعظم من ذلك وأجل، كان الثناء عليه بها كذلك، إذ هو تابع لها إخباراً وإنشاءً، وهذا المعنى ينتظم المعنى الأول من غير عكس.

وإذا كان إحسانه سبحانه، وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له، وهو من موجبات رضاه وثمرته فكيف بصفة الرضا؟ وفي الأثر: (إذا باركت لم يكن لبركتي منتهى) فكيف بالصفة التي صدرت عنها البركة؟.

والرضا يستلزم المحبة، والإحسان، والجود، والبِرّ، والعفو، والصفح، والمغفرة.

والخلق: يستلزم العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والحكمة، وكل ذلك داخل في رضا نفسه، وصفة خلقه. =

وقال ﷺ: «**من قال: سبحان الله، غرست له شجرة**»، أو قال: «**نخلة في الجنة**».

فإن كنت تريد أن تكون من أربح التجار فاستكثر بالتسبيح من غراسة الأشجار، فإن أشجار الجنة دائمة لا تَبيد ولا تَفنى.

قال ﷺ: «**لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها إلا أعيد في مكانها مِثلاها، وما في الجنة من شجرة ولا ثمرة إلا وهي في تسبيح الله على الدوام دون فترة، وإن أفنان طوبى وأزهارها وثمرها وأطيارها لتنطق بالتسبيح بنغمات طيبة اللذات**»، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السَّلام: يا داود أتدري ما الجنة؟ هي دار لا يموت ساكنها ولا يتكدر صفوها، سقوفها عرشي، وحيطانها الذهب، وأبوابها من عود المجمر، فيها طيور خلقت من المسك والكافور تسرح في رياض الورد والعنبر تنفض ريشها على أوليائه. تقول: سبحان من خلقني أن أسرح، وألهمني لتقديسه أرعى فيها من الزعفران والورد، وأستنشق النور من نور الفردوس، فأزداد تقديساً.

فعليك بالتسبيح ما دمت حياً، ليكون شعاراً في الدار العليا حين يتجلى لك ربك سبحانه، وتسمع زجل الملائكة بالتسبيح له، وتشاهد أهل الجنة على كراسي من نور يسبحون الله بالعشي والبكور. قال ﷺ: «**أهل الجنة قلوبهم قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحون الله بكرةً وعشياً**».

فسبِّح الله في كل مقام وفي القعود والقيام، ذو أعظم مقام يسبح فيه ربك المقام الذي أمركِ وندبك فقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ

= وقوله: (وزنة عرشه) فيه إثبات للعرش، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به التسبيح، وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف وهذا لم يعرف العرش، ولا قدره حق قدره.

فالتضعيف الأول: للعدد والكمية. والثاني: للصفة والكيفية. والثالث: للعظم والثقل، وليس للمقدار. (المنار المنيف: 35 ـ 36).

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾، فقيل: المراد بالتسبيح في هذه الآية: الصلاة، لأن الصلاة موضوعة لتنزيه الله تعالى وتقديسه لأنه يقوم العبد فيها بين يدي ربه فيعظمه بلسانه وبقلبه، واشتملت عند بعض العلماء على الصلوات الخمس، فالتسبيح حين تمسون صلاة المغرب والعشاء، وحين تصبحون صلاة الصبح، وعشياً صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الظهر، وإلى هذا ذهب الحسن رحمة الله عليه ولذلك قال في قوله تعالى في سورة قٓ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ إنها صلاة الصبح وصلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صلاة المغرب والعشاء.

وأما أمر الله بالتسبيح عند إدبار السجود وإدبار النجوم، فروى علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن إدبار السجود، فقال: «**هما الركعتان بعد المغرب**»، وسئل عن إدبار النجوم فقال: «**الركعتان قبل صلاة الصبح**»، وقال ﷺ: «**إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»، ثم قرأ: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾». وهذه الآية أيضاً التي في هذه السورة تشتمل على الصلوات الخمس، فحافِظْ على الصلوات الخمس التي فرضها الله عليك لتسبحه فيها وتنزهه وتقدسه وتعترف له بالألوهية ولنفسك بالعبودية، وتهمَّم غاية التهمُّم فليس بين العبد وبين الكفر إلا تركها والخشوع فيها غاية الخشوع، وأحضر ذهنك غاية الحضور، فذلك حقيقة تنزيه المعبود لأنه من كان قائماً بجسمه ناطقاً بلسانه غير خاشع بقلبه فهو غير قائم بجلال ربه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾، فبالخشوع في الصلاة تنال الفلاح [...] هي للجنة. وناهيك بمقام يوصل إلى الجنان، وكل من خشع في الصلاة قلبه سكنت جوارحه، ونطق لسانه بتعظيم ربه على ما ينبغي ولذلك كانت عين رسول الله ﷺ تَقرُّ في الصلاة لشدة خشوع قلبه واستغراقه في تعظيم الله، وألذ شيء عند العارفين الخاشعين، ومن لا يخشع قلبه تثقل على نفسه وجسمه الصلاة ويراها كلفة ومشقة. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، وقال ﷺ: **«ما لامرىء من صلاته إلا ما عَقَل منها»**، فإذا ركعت فسبِّح الله وعظمه، فإنه مقام شريف موضوع للتسبيح والتعظيم، وليس بموضع قراءة ولا دعاء. قال ﷺ: **«نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب سبحانه»**.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾، قال ﷺ: **«اجعلوها في ركوعكم»**، وقد فرض الله عليك في كل يوم سبع عشرة ركعة تتقرَّب بها إلى ربك وتنال بخضوعك فيها رفعة. فسبح فيها ربك جهدك فإن لك بكل تسبيحة شجرة في الجنة.

واستحب بعض أهل العلم أن يكون أقل تسبيح المرء في الركوع والسجود ثلاث تسبيحات لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«إذا ركع أحدكم فقال في ركوعه: سبحان ربي العظيم ثلاث مرات فقد تَمَّ ركوعه وذلك أدناه، وإذا سجد أحدكم فقال في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات فقد تَمَّ سجوده وذلك أدناه»**. وقال عبد الله ابن المبارك: يستحب للإمام أن يسبِّح خمس تسبيحات لكي يدرك من خلفه ثلاث تسبيحات، ومالك رحمه الله لم يجد في الركوع والسجود مقداراً ولا رأى فيهما تنزيهاً أو تسبيحاً معلوماً، إنما رأى الطمأنينة فيهما فريضة وما زاد فضيلة، ورأى أن يعظم الإنسان ربه في الركوع بما شاء، وكذلك في السجود، وله أن يدعو في السجود دون الركوع. وكان ﷺ أخف الناس صلاةً في تمام إذا أَمَّ بالناس، فإذا كان وحده ربما جعل مقدار ركوعه وسجوده كمقدار قراءته، وكان ربما يقرأ في الركعة بالبقرة وبآل عمران وما أشبه ذلك. فإن كنت إماماً فلا تُشطط واقتدِ برسول الله ﷺ، وإن كنت وحدك فافعل في خاصة نفسك ما شئت وتهَمَّم بمقام الركوع وأكثر فيه من الخضوع والتزم فيه استكانة العبد الذليل بين يدي الملك العظيم، ولتكن خاضعاً بجوارحك وقلبك منزهاً بالتسبيح والتقديس لربك. وأما مقام السجود فهو أعظم مقام يتقرَّب به العبد من المعبود كما قال ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً فأكثروا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»**، فأمر عليه السَّلام بالدعاء في مقام السجود، وأمر أيضاً فيه بالتسبيح

والتنزيه لله تعالى. قال حذيفة رضي الله عنه: صليت مع رسول الله ﷺ فكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**».

فسبح ربك الأعلى في سجودك، واخضع غاية الخضوع لمعبودك، فعلى مقدار ما تخضع له يرتفع قدرك عنده، لأن شدة الخضوع لله من ثمرة المعرفة بجلاله وعظمته. قال ﷺ: «**ما سجد عبد لله سجدة إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة**». وقد فرض عليك في كل يوم أربع وثلاثون سجدة تنال بتلذذك فيها من الله عزَّةً وقربةً، فقد وجب عليك للمعبود أحد وخمسون مقاماً في كل يوم ما بين ركوع وسجود، فأكثر فيها من تسبيحه وتقديسه وأضف إلى هذه الفرائض ما ندبه إليك من الرغائب وأكثر من غراسة الأشجار في محل الأبرار، فإنما تغرس لنفسك اليوم لنفسك ما تجنيه غداً، واقتدِ بأولياء الله تعالى الذين أثنى عليهم في كتابه بكثرة الصلاة له والتسبيح وملازمة بيوته، فقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، وليس في الدنيا ذو تجير ربيح إلا من دان بالذكر لله والتسبيح، فإن جميع ملك الدنيا يفنى، والتسبيح يبقى، وبنوره يصعد العبد إلى الله ويرقى. وروي أن سليمان مرّ في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه ويساره، فمرَّ بعابد من عباد بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكاً عظيماً، قال: فسمع ذلك سليمان عليه السَّلام، فقال: تسبيحة في صحيفة مؤمن أفضل مما أُعطي ابن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. وكان عُمير بن هانىء يصلي كل يوم ألف سجدة، ويسبح مئة ألف تسبيحة، وكان علي بن عبدالله بن عباس يسجد في كل يوم ألف سجدة، وكانوا يسمونه بالسجَّاد. وكان ضيغم العابد قد تعبَّد حتى أُقْعِدَ، ومقعداً حتى استلقى، ومستلقياً حتى أفحم، وكان يقول في مناجاته: سبحانك عجباً للخليقة كيف أرادت بك بدلاً، وسبحانك عجباً للخليقة كيف استأثرت قلوبها بذكر غيرك، وسبحانك عجباً للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك.

وكان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول في تسبيحه: (سبحان من سبّحت له السمٰوات بأكنافها، وسبحان من سبّحت له الجبال بأعراقها، وسبحان من سبّحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبّحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبّحت له النجوم في السماء بأبراجها، وسبحان من سبّحت له الشجر بأصولها وثمارها، وسبحان من سبّحت له السمٰوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن، سبحانك يا حي يا حليم، سبحانك لا إله إلا أنت تحيي وتميت، وأنت حي لا تموت بيدك الخير، وأنت على كل شيء قدير).

وأولياء الله تعالى المسبِّحون له آناء الليل والنهار كثير عددهم، وورت في طاعة الله أزندهم، فهم يسبحون بكرةً وأصيلاً كما أمرهم، ويخرون للأذقان سجداً كما وصفهم، ويقولون: سبحان ربنا كما أعلمهم بنفسه وعرفهم، فسبحان الذي أكرمهم وشرفهم، فما أعلمهم بجلاله وما أعرفهم، فمن شاء اللحوق بهم فليتأدَّبْ بآدابهم، والله يمنح من يشاء سنى كرامته، وكل يعمل على شاكلته.

* * *

مقاصد سديدة ومعانٍ مفيدة

لما كانت الصلاة موضوعة لتنزيه الله تعالى وتقديسه وتعظيمه قيل للمصلي مُسبح، لأن حقيقة التسبيح التنزيه. ولذلك ورد: سُبحة الضحى، أي: صلاة الضحى، وغلبت السبحة على الصلاة على الصلاة النافلة في التسمية. وفي حديث عتبة بن مسعود عن أبيه: دخلت على عمر بن الخطاب بالهاجرة فوجدته يسبِّح فقمت وراءه، معناه: يصلي. وقيل في قوله تعالى في يونس: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾، أي من المصلين، وقيل من المسبحين قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وموضوع الصلاة في اللغة الدعاء والداعي منزّه لله تعالى، ثم خصصها

الشرع بهذه الهيئة ففيها الدعاء وفيها الخضوع بالقلب والجوارح وفيها التسبيح وهو التنزيه لله والتعظيم له عما لا يجوز في صفته. وفي حديث طلحة بن يحيى عن أبيه عن جده قال: سألت النبي ﷺ عن تفسير سبحان الله؟ فقال: «**تنزيه الله من السوء**».

ومن صفاته سبحانه: سبوح، وهو مبني على فعول من سبَّح الله إذا نزَّهه. وقال بعض أهل النظر: إنما المسبح يسبح في بحار الملكوت حتى يدرك بسباحته جواهر العلوم، وعرابيب الفهوم. فالتسبيح تفعيل من السبح، أي سبح في بحار الاعتبار لينزه خالقه، والتقديس قريب من معنى التسبيح، واشتقاقه من الطهارة والأرض المقدسة المطهرة بالتبريك، وحظيرة القدس الجنة، لأنها موضع الطهارة من الأدناس. فقدوس في وصفه سبحانه مبني على فعول من القدس كسبوح، فالمصلي حقيقة منزِّه لله بقلبه، وخاضع له بظاهره وباطنه، وليس في الوجود موجود إلا وهو يسبح لله، وساجد إما طوعاً أو كرهاً وإما ظاهراً أو باطناً، وإما مقالاً أو حالاً. قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فعمَّ ولم يخص بعضاً من بعض. وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

وموضوع السجود في اللغة: الخضوع، وهو في الشرع مخصوص بخضوع القلب ووضع الجبهة على الأرض على هيئة مخصوصة للقادر عليها، فكل مخلوق وموجود فهو في تسبيح لله وسجود، أما كل من آمن به من ملائكته وسائر خلقه فهو منزّه لله بقلبه ونطقه، وساجد بجوارحه،

وخاضع بجنانه فهذا هو الصادق في نفسه وإيمانه الطائع لربه بقلبه وسائر أركانه وهذا هو الساجد طوعاً لربه والمنقاد تسليماً لأمره والمنزّه له حقيقة عما ينسب إليه الجاحد من خلقه، وهذا هو الذي يأتي في حظيرة الفِردوس آمناً فيخر بين يدي ربه سبحانه ساجداً وينطلق لسانه بالثناء عليه مسبحاً ومقدساً، فيقول له ربه: ارفع رأسك ليس هذا وقت سجود، هذا وقت ثواب الأعمال، فيعطى من النعيم ما لا يخطر على بال. وأما من أعرض عن ربه ولم ينزهه بلسانه وقلبه واتخذ أولياء من دونه، فإن أولياءه يتبرؤون من موالاته ويقولون لمولاهم الحق ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ سبحانك أنت ولينا من دونهم، فيتبع كل عابد معبوده، فمن نزّه غير الله سبحانه حقَّت عليه كلمة العذاب، ودُعي إلى السجود فلم يستطع عليه فخضع مضطراً، ولا ينفعه الخضوع لأنه لم ينقد في الدنيا لمقام السجود والركوع بل كان معرضاً عن التنزيه والسجود لذي الجلال وكان ذي ظله يسجد لله ويسبح بالغدو والآصال فلما فَنِيَ ظَلَلُه وتلاشى ظِلّه علم أنه كان لله معانداً ولربوبيته جاحداً حيث لم يكن له مُسبحاً حقيقة وساجداً. فهذا أسوأ حالاً من الجماد والبهائم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الجماد والبهائم جُبِلت على التسبيح لله والسجود فهي مسبحة بذواتها شاهدة على أنفسها بأن لها قيوم يقوم بها خاضعة له ذليلة، لازمة موضوعاتها التي وضعت لها، ما حادت عن صفتها ولا تغيرت عن خلقتها أشفقت من حمل أمانة خالقها فحملها الإنسان فلم يقم بحقها وجحدها فهو أسوأ موجود في الوجود، وكل شيء أطوع لله بالتسبيح والسجود ولذلك قال ﷺ: «**ما من شيء إلا وهو أطوع لله من ابن آدم**»، وأشار به إلى من خان الله ورسوله. والجماد والبهائم تعود في الآخرة إلى التراب، وهذا يبقى أبد الدهر في عذاب.

فإن قلت: فما حقيقة تسبيح الجماد والبهائم وسجودها وهل لها هي خبر بذلك أم لا؟ وكيف يفقه ذلك منها غيرها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

فاعلم أن من الناس من ساوى في ذلك بين الجماد والحيوان البهيمي،

وجعل تسبيح كل ما لا يعقل إنما هو تنزيه الله عن السوء بما فيه من الآية الداعية إلى ذلك كأنها ناطقة إذ هو صنع يقتضي الرجوع إلى صانع غير مصنوع، وهو معنى قديم لا يشبه المصنوعات، وجعلها هي خالية عن الإدراك والشعور في ذواتها بمعبود تسبحه أو تسجد له. إنما هي منصوبة للدلائل وإلى هذا ذهب ابن فُورَك رحمه الله وطائفة من أهل النظر، ويكون معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، غير عام، أي الذي لا يعتبر بهذه الموجودات على موجدها فهو الذي لا يفقه تسبيحها، ويكون سجودها على هذا التأويل انقيادها في الطاعة والانفعال لبارئها كما قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى للسمٰوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: إن طاعة السماء أنها أتت عاقبها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض مما فيها من الأنهار والأشجار والثمار، ومن الناس من قال: إنما يسبح كل ذي روح وأن الآية ليست عامة، إنما معناها وإن من شيء فيه الروح إلا ويُسبح لله بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، أي لا يفهم صوتها إذا سبحت إلا الله تعالى، أو من أطلعه الله عليه أو أفهمه إياه، وإلى هٰذا ذهب عكرمة وجماعة من أهل التفسير، ومن الناس من قال: كل جماد وبهيمة فإنها تسبح لله تعالى وتسجد له، وحمل الآيات على عمومها وظواهرها. أما البهائم فلها أصوات بالتسبيح يسمعها الله تعالى ويُسمعها من شاء من خلقه ويُفهمه إياها، ولها حركات بأجسامها وصفات موضوعة للسجود يعلمها الله تعالى ويُعلم بها من شاء، وأن لها شعوراً بأنها مقهورة في قبضة قاهر، وإن كان شعورها ناقصاً عن شعور الإنسان وإدراكه.

وأما الجماد فله سجود وتسبيح بهيئة مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى أو من أطلعه عليها، وقد يُنطق الله تعالى الجماد بقوة يضع فيه متى شاء فيسمع الإنسان المخصوص بذلك نطقه ويفهم كلامه، كما سخَّر لداود عليه السلام الجبال فكانت تسبح معه بالعشي والإشراق وهو يسمع تسبيحها، وكما أنطق لرسوله محمد عليه السَّلام الشاة المسمومة، وسَلَّم عليه الحجر في طريقه، وكما ورد في حديث أبي ذر: أن رسول الله ﷺ تناول سبع حصيات أو تسع، فسبَّحْنَ في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم

وضعهن فخرسن، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل فوضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن.

وفي حديث أنس: ثم صبهن في أيدينا فما سبحنا في أيدينا. وفي حديث عبدالله بن مسعود: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام. وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه ﷺ فسبح ثم دخل الحسن والحسين فتناولا منه فسبح العنب والرمان، ودخل علي فتناول منه فسبح أيضاً، ثم دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ فتناول منه ولم يسبح، فقال جبريل: (إنما يأكل هذا نبي أو ولد نبي).

وقد خصَّ الله تعالى سليمان بفهم منطق الطير، وخرق العوائد للأنبياء غير منكورة وهي لكثرتها غير محصورة خصوصية خصَّهم الله تعالى بها، وكما يسمع الله تعالى من يشاء من خلقه تسبيح البهائم والجماد، فكذلك يعرض عليه سجودها فيرى بعينه أشخاصاً ساجدة لله تعالى. قال أبو ذر رضي الله عنه: دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالس، فقال: «**يا أبا ذر، تدري أين تذهب هذه؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها**»، وكأنها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فهذه الشمس تستأذن ربها في السجود فيأذن لها فتخر ساجدة لربها تحت العرش فإذا حان خروجها أَذِنَ لها، فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول: يا رب إن مسيري بعيد، فيقول: اطلعي من حيث جئت ولا يفهم كلامها إلا الله تعالى، ومن أطلعه عليه من ملائكته وأنبيائه. ولا يبعد أن يكون أصوات الطيور تسبيحاً لله ولا نفهمه نحن وحركاتها سجوداً ولا تدرك حقيقة ذلك. وكذلك لا ينكر أن يكون للجماد صفات في باطنه من التسبيح والسجود لله تعالى، ولا يصل كثير من الناس إلى معرفة ذلك، فإذا أراد الله اختصاص من شاء أطلعه على ذلك، وأنطق

له الجماد وأفهمه منطق البهائم، وسمع تسبيحها، وعاين سجودها وفي كل ذلك آيات واعتبار لأولي الأبصار.

فالعالمون بالله تعالى وصفاته وأفعاله لا يمرون على شيء إلا ولهم فيه آية وشاهد على أن الصانع واحد، ولهم ضرب الله الأمثال بالبعوضة فما دونها ليعلموا دقائقها، ويفهموا حقائقها، ويقدسوا مبدعها وخالقها فتزيد أنوار هدايته في قلوبهم ويزدادوا تسبيحاً وتنزيهاً لمعبودهم وسجوداً وخضوعاً لمصورهم. فجميع أنواع العبادة للمعبود مجموعة في التسبيح والسجود، لأن حقيقة التسبيح ومعناه إثبات ذات واحدة منزهة من كل ما يلحق الخلق من النقص، في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم، ومنزه أيضاً عن التشبه بهم في كمالهم. فإذا علم المعبود بهذه الصفة فقد نزّهه بقلبه، فإذا قال: سبحان الله بلسانه تابعاً لهذا الاعتقاد فقد نزّهه بقلبه ولسانه، فإذا سجد له فقد تَمَّ تنزيهه لربه وخضوعه لمعبوده، وقد أثنى الله تعالى في كتابه على الساجدين له والمسبحين ووصفهم أنهم أهل العلم، فقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة الكهف: 108]، [فأتمهم] العلم بالله تعالى السجود له والتسبيح، فأعظِمْ بهذين المقامين شرفاً وقُربةً إلى الله. وقد حرَّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم مواضع السجود، وأمر ابن آدم أن يسجد على سبعة أعضاء أراب، فيضع أكرم شيء فيه وهو وجهه بالأرض التي كانت أصل خلقته، مُنحطاً من قامته، متواضعاً لربه، متسلباً عن خلق الكبرياء، متذللاً لله غاية الذل، فحينئذ يرضى الله فعله ويرفع قدره، فثابر على السجود جداً، ومهما تلوت القرآن على وضوء في المصحف أو دون مصحف، وكان ذلك وقتاً تحرم فيه الصلاة ومررت بآية فيها سجدة فاسجد لربك فقد ندبك وذكرك بهذا ليقربك منه وهو الغني عنك، ولا غنى لك عنه، ولك أن تسبح الله تعالى في [سجودك] وتنزهه وهو أفضل ما يتقرب به إليه، لأن ذكر الله تعالى وتعظيمه وتسبيحه وتنزيهه دليل العلم به، والاستغناء عن النظر إلى غيره، وترك الاشتغال بحظ من حظوظ النفس، وبهذا الاعتبار كان الذكر أفضل

من الدعاء، ولك أيضاً أن تدعو الله في سجودك وقد أمرك رسول الله ﷺ بذلك. وقال عليه السَّلام: «**من لم يدع الله غضِب الله عليه**»، وقال عليه السَّلام: «**الدعاء هو العبادة**»، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾»، معناه عن دعائي. وإيَّاك أن تعتدي في الدعاء فتسأل الله تعالى ما لا يرضاه، قال ﷺ: «**فيكم قوم يعتدون في الدعاء**»، وكان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «**سجد وجهي للذي خلقه فصوَّره بأحسن صورة وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين**». وروي عن ابن عباس أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني رأيتُني الليلة وأنا قائم، فكأني أصلي خلف شجرة فسجدتُ فسجدَتِ الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللَّهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذُخراً وتقبَّلها مني كما تقبَّلتها من عبدك داود. قال ابن عباس: فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد. قال ابن عباس: فسمعته يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. ولفضيلة مقام السجود لجأ داود عليه السَّلام إليه، وكان كثير من العلماء يخففون القيام ويكثرون الركوع والسجود. روي عن مخارق قال: دخلت على أبي ذر في منزله بالربذة، فرأيته يصلي يخفف القيام قدر ما يقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، و ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ويكثر الركوع والسجود فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد سجد لله سجدة أو ركع لله ركعة إلا حطَّ الله بها عنه خطيئة ورفع له بها درجة**».

ومن العلماء من كان يرى طول القيام في الصلاة أفضل من كثرة الركوع والسجود، لقول النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»، وقال أحمد بن حنبل: قد روي في هذا عن النبي ﷺ حديثان ولم يقضِ فيه بشيء.

وقال إسحاق: أما في النهار فكثرة الركوع والسجود، وأما بالليل فطول القيام إلا أن يكون رجل له جزء بالليل يأتي عليه بكثرة الركوع والسجود في هذا أحب إليّ لأنه يأتي على حزبه. وأما صلاة النبي ﷺ بالليل فكان يطيل القيام والركوع والسجود، ولا يكثر من الركوع والسجود،

بل كان يأتي بهما مثل القيام أو قريباً منه، وأما بالنهار فلم يوصف من طول قيامه في صلاته ما وصف بالليل، والعدل في ذلك أن ينظر الإنسان إلى قلبه فحيث ما يجده أُنِسَ بربه وأُخشع لعظمته فليلزم ذلك المقام. وقد يكون هذا تارةً في القيام، وطوراً في الركوع، وآونةً في السجود. ومثل رسول الله ﷺ كان في جملة صلاته مستغرق الفكر بربه، ففي كل مقام كان في نور، ولن يصل أحد إلى مقامه، فليراع كل أحد قلبه ويلزم الأصلح له. قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من قام إلى الصلاة فاستفتح القراءة فوجد لها لذة فلا يركع ولا يسجد، وإذا وجد الركوع لذة فلا يقرأ ولا يسجد، وإذا وجد لسجوده لذة فلا يقرأ ولا يركع الوجه الذي يفتح له فيه فليلزمه. قال أحمد: فقلت له: فالحزب الذي جعله على نفسه من الركوع متى يصله؟ قال: بالنهار، ثم قال: كيف له بأن يفتح له في مثل ما كان فيه هل رأيت أحداً يطلب شيئاً فإذا وجده تركه ثم يعود يطلبه يغْدُ لطلبه. وهذا مذهب أرباب القلوب الذين لا يلتفتون إلى خواطرهم، فأين ما صفت لهم لزموا ذلك المقام. فَصَفِّ قلبك عن أوضار الدنيا ثم ادخل في مضمار الطاعة فستجد من لطائف ربك وفوائده في تسبيحك وسجودك ما لا يعلمه إلا من فتحه الله تعالى عليه، ولتكثر من الخضوع والسجود شكراً لخالقك الذي جعلك تسجد له وحده، وألهمك أن تسبحه وتمجده وغيرك يسجد للشمس والقمر وللصليب والحجر من دونه، ويسبح المخلوقات وينسى خالقها. فكما هداك فنزهت ربك بالتسبيح بلسانك وعظمته بأن تواضعت له بجوارحك فسجدت له ذِلة فليكن قلبك له ساجداً ومنزهاً بأن لا تشتغل بشيء في الكون من غيره، ولا ترى غير خيره، فإن خضعت لشيء غيره أو عظمت سواه فقد داخلك جزء من الشرك وكان سجودك وتسبيحك مشوباً. فإن الإنسان عبد ما أحب، ولذلك قال عليه السَّلام: **«تَعِس عبد الدينار، تَعِسَ عبد الدرهم، تَعِسَ عبد الخميصة»**، فإذا كان العبد من تعلق قلبه بشيء فعبد الله حقاً من لم يتعلق قلبه بغير الله فسبحه كما ينبغي واسجد كما يجب، فلتسجد لله طوعاً، ولتسبحه سبحانه تسبيح من لا يرى في الوجود مسبحاً سواه، فكلما كان تنزيهك أبلغ كان شربك من معرفة الله

أسوغ وبُرد يقينك أصفى وأسبغ، وصِل التسبيح بالتسبيح بمقال خالص صريح، منبىء عن جنان محشو بأنوار الإيمان، وإن كنت تخاف فيه الفترة بسبب النسيان أو الشهوات المتعاقبة على الإنسان فاجعل على نفسك منه ورداً معدوداً وحدّاً محدوداً ينتهي إليه تعول عليه، واذكر به عقب كل صلاة وفي الركوع والسجود وأول النهار وآخره، وعند الآيات التي تحدث من الرعود والبروق والزلازل والصواعق، وعند النظر إلى معبود دون الله تعالى تنزيهاً لله تعالى عما نسبه إليه المبطلون، وعند النظر والاعتبار في الملكوت، وعند رؤيا الصور الحسان والقباح، فإن الله تعالى هو الذي يُصوّر في الأرحام كيف يشاء، وأكثر من التسبيح في الساعات الفاضلة والأيام المباركة كساعة يوم الجمعة وكأيام رمضان. قال الزهري: تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره، وإن شئت أضفت التسبيح إلى اسم الله تعالى فقلت: سبحان الله، وإن شئت إلى صفات الذات فقلت: سبحان العليم، سبحان الحكيم، وما أشبه ذلك، وإن شئت إلى صفات الأفعال فقلت: سبحان الخالق، سبحان الرازق، وكيفما سبحت أو بأي وصف نطقت فقد أُرشدت ووفقت، وقد أفدتك في هذا الباب معاني حساناً، وحضضتك على أن تُجيل في تنزيه الله قلباً ولساناً، فإنه يُعطيك على ذلك إحساناً فإحساناً.

وها أنا أختم لك الباب بتسبيح محكم على حروف المعجم، فإن استيفاء الكلام على هذا الباب لا يحويه مجلدات فضلاً عن هذا الكتاب، وبالإشارة يهتدي أولوا الألباب، والله أسأله أن يفيض علينا من نور تنزيهه أصفى جلباب.

* * *

تسبيح مُحكم على حروف المعجم

سبحان الله الذي سبَّحته الأرض والسماء، وسجدت له ما أقلت الغبراء، وأظلت الخضراء.

سبحان الله الذي سبَّحته الأفلاك والكواكب، وسجدت له المشارق والمغارب.

سبحان الله الذي سبَّحه الجماد والنبات، وسجدت له الأحياء والأعظُمُ الرفات.

سبحان الله الذي سبَّحته البروق والرعود والغيوث، وسجدت له الأطيار والأنعام والليوث.

سبحان الله الذي سبَّحته النّينان في ظلم الأمواج، وسجدت له الشهبات في الأبراج.

سبحان الله الذي سبَّحته مختلفات الرياح، وسجدت له الجبال الصمّ وذوات الأرواح.

سبحان الله الذي سبَّحته الجبال الشوامخ، واضطر كل موجود للسجود له غِرّة الباذخ.

سبحان الله الذي سبَّحه كل عاتٍ ومعتاد، وسجدت له ظلال أهل العتي والعناد.

سبحان الله الذي سبَّحه سكب الوابل وورش الرذاذ، وسجد له كل شيء بالاستسلام والعياذ.

سبحان الله الذي سبَّحته مياه البحار، وسجدت له الجواهر في أكنَّة المِحار.

سبحان الله الذي سبَّحته المهامه والمفاوز، وسجدت طوعاً له الفطر والغرائز.

سبحان الله الذي سبَّحته التؤامى والبسائط، وسجد لعزته المقسط والقاسط.

سبحان الله الذي سبَّحته متباينات الألفاظ، وسجدت له الكتبة الحفاظ.

سبحان الله الذي سبَّحته جميع الأملاك، وسجدت لعظمته آثار الأنوار والأحلاك.

سبحان الله الذي سبَّحته الصواعق والزلازل، وسجدت له الربا والخمائل.

سبحان الله الذي سبَّحه كل فصيح وأعجم، وسجد لجلاله جميع الأمم.

سبحان الله الذي سبَّحته الدهور والأزمان، وسجدت له ذات المكان ومن فيه من إنس وجان.

سبحان الله الذي سبَّحه الرمل والحصى، وسجد له من حاد عن السجود طوعاً واستعصا.

سبحان الله الذي سبَّحته الجواهر والأعراض، وسجدت لقدرته عوادي الوحوش في الغياض.

سبحان الله الذي سبَّحه القريب والشاسع، وسجدت له النجوم الغوارب والطوالع.

سبحان الله الذي سبَّحه الطائع بمقال سائغ، وسجد له كرهاً كل معاند وزائغ.

سبحان الله الذي سبَّحه كل ظاهر وخاف، وسجد له كل منتعل وحاف.

سبحان الله الذي سبَّحته الخلائق، وسجدت له السبع الطرائق.

سبحان الله الذي سبَّحه ضياء النهار والليل الدامس، وسجدت له الأعلام القائمة والطلول الدوارس.

سبحان الله الذي سبَّحه القلم واللوح وما ارتسم فيه من النقش، وسجدت ملائكة السمٰوات وحملة الكرسي والعرش.

سبحان الله الذي سبَّحته السدرة المنتهى، وسجدت له الحواس والنهى.

سبحان الله الذي سبَّحته الضمائر والقوى، وسجد له النجم إذا صعد وهوى.

سبحان الله الذي يسبِّحه أولياؤه إذا ظهر لهم وتجلّى، ويسجدون لجلاله تَواضعاً وذُلاً.

سبحان الله الذي بتحميده تطمئن النفوس وتحيا، وبالسجود له تعلو في دار العليا.

الباب التاسع

في فضل التكبير، وفضل الناطق به وما له عند الله من سني مواهبه

ويشتمل على فوائد نافعة، ومعان جامعة في ذم الفئة المتكبرة ومدح الفئة المتواضعة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾، فسمَّى نفسه تعالى كبيراً، وأضاف الكبرياء إلى نفسه اختصاصاً دون غيره، فقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، أي المنفرد بهذا الوصف دون موجود غيره في السماء أو في الأرض. فالكبر حقيقة، والكبرياء صفة، والتكبر على غيره وجوباً لا ادعاءً، إنما هو الله تعالى وحده، وليست هذه لموجود في الوجود إلا له وحده، ولا بينه وبين أحد فيها مناسبة في معنى من المعاني.

وقولك: الله أكبر، وإن كانت هذه الكلمة خرجت على طريق الإضافة بلفظة أفعل التي تقتضي مناسبة بين شيئين، فليس في الوجود ما بينه وبين الله تعالى مناسبة لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، أما ذاته تعالى فهي القائمة بنفسها الغنية عن غيرها المبرأة من الحدوث لم يكن معها في الأزل ذات غيرها ولا ذلك ممكن إذ القديم واحد.

---

(1) الجاثية: ٣٧.

وأما صفاته تعالى فهي صفات قديمة مع الذات برية عن ما يلحق صفات المبدعات.

وأما أفعاله سبحانه فمتصرفة بإرادته السابقة ومشيئته النافذة الذي اختار إنفاذها تفضلاً منه بالإبداع والاختراع لا فعل اضطرار ولا لغرض من الأغراض، ولا فعل مباشرة وحركة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

فمَنْ هذه صفته في ذاته وصفاته وأفعاله كيف يُقاس بشيء أو يُضاف إليه شيء، أو تكون مناسبة بينه وبين شيء، تعالى الخالق أن يشبهه مخلوق، فإنما معنى قولك: الله أكبر، أي الأكبر الذي لا يستحق الكبرياء غيره، الذي هو أكبر في ذاته من أن يقاس به سواه لا أكبر من غيره على طريق الإضافة. وإن قلت: الله أكبر من كل شيء، أو أكبر الكبراء، وأعظم العظماء كقولك: أحكم الحاكمين، وخير الفاصلين، وأسرع الحاسبين وما أشبهه، فإيّاك أن تتخيَّل إضافة في هذه الصفات بينه وبين غيره وتثبت كبرياء أو حكماً أو فصلاً أو حساباً لغيره على الوجه الذي تثبته له، إنما المعاني التامة والأسماء الكاملة له وحده. ومن أعطاه شيئاً من هذه الأوصاف فإنما أعطاه اسماً ليس كاسمه سبحانه وفعلاً ليس كفعله وجعله مجرى للحوادث تجري عليه بإجرائه، وانفرد هو بذاته وصفاته وأسمائه وتوحد بعظمته وكبريائه، فهو الأكبر المتوحد بالكبرياء المتكبر عن أن تقاس عظمته بشيء من الأشياء.

فائدة: اعلم أن الكبير في وصفه سبحانه والعظيم متقاربان، ولذلك هي في موضوع اللسان وكلاهما من أوصاف الذات، وكذلك العلي والمتعالي. ومن العلماء من حمل هذه الأسماء على التنزيه والتعالي والتقدس عن أمارات الحدث وسمات النقص. ومنهم من حملها على الاتصاف بجميع صفات الإلٰهية التي بها يخالف بها الرب خلقه، ويندرج تحت هذه الأسماء بهذا الاعتبار معنى التنزيه فيكون هذا أعم وأجمع. فإذا فهمت فاعلم أن الكبير والعظيم في وصفه سبحانه مبني على رفعته وجلاله

في ذاته، وتكبره على خلقه، وتعاليه عن مشابهتهم ولفظة الكبير والعظيم في وضع اللسان تستعمل في الأجسام وفي الصفات المعنوية.

فأما في الأجسام: فلقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، أي: في مقادير الأجسام.

وأما في الصفات المعنوية: فلقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي: أعظم شرفاً، والله تعالى يتعالى ويتقدس عن صفات الأجسام، فهو العظيم والكبير والجليل، معنىً ووصفاً وشرفاً.

تنبيـه: لما كان الله هو العظيم في ذاته وحده، والمتكبر على من سواه حقيقة، والعالي على كل شيء موجود شرفاً ورتبة والمتعالي عن مشابهتهم تقدساً ورفعة، أمر عباده أن يعظّموه فقال لنبيه عليه السَّلام ويندرج تحت خطابه جميع الأنام: «﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾»، وقال تعالى عن نفسه فيما أخبر عنه نبيه الصادق صلوات الله عليه وسلامه: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم**»، أي: هاتان الصفتان لا تليق بغيري، فأنا العظيم في ذاتي والمتكبر على غيري، فإزاري عظمتي وردائي كبريائي، وكل من تأزّر بالعظمة، وارتدى بالكبرياء من مَلِكٍ غيري، أو مخلوق سواي، فسأسلبه هذه اللّبسة المستعارة التي ادعاها وأجازيه بالصغار والذلة في دار البوار. والعرب تستعمل الإزار والرداء في الصفات المعنوية كثيراً جداً، كقول القائل: إذا ما ارتدى بالمجد ثم تأزرا. وكقول الآخر: غير الرداء إذا تبسم ضاحكاً. فالإزار والرداء معناهما هاتان الصفتان من العظمة والكبرياء، وليست هذه الصفة لائقة بغير الله تعالى. فلذلك وصف الله تعالى المتكبر بأوصاف ذمام وجعله النبي عليه السَّلام من شرّ الأنام. فقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فاسمع لطف كلامه سبحانه في هذه الآية: أوعدهم أن يصرف قلوبهم عن التدبر في آيات السمٰوات والأرض لما سَرَت فيها ظلمة الكِبر، ولا يكون الاعتبار إلا بنور وقر في الصدر، ثم أخبرهم أنهم يتكبرون في محل الذل والتواضع، وهي الأرض التي هي أخفض ما في الوجود، فإنما

وضع فيها ابن آدم للتواضع والذل حتى يلتحق بالملإ الأعلى في أرفع محل إن سلك على سواء السبيل وتواضع للعظيم الجليل، ثم أخبر تعالى أن صفة التكبر ليست لابن آدم حقيقة إنما هي دعوى، فقال: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. فكل حرف في هذه الآية نور للمتواضعين يسعون به إلى رب العالمين، ونار يحرق قلوب المتكبرين ويحجبهم عن التدبر في آيات السمٰوات والأرضين. وأخبر الله تعالى أن عاقبة المتكبر أن يطبع على قلبه فلا يُبصر هدى ربه، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال خردلة من كِبر**».

ولما تحاجَّت النار والجنة، قالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم؟ وفي وصية نوح عليه السَّلام لابنيه: (أنهَاكُما عن الشرك والكِبر)، فجعل الكبر يتلو الشرك لقبح صفته، وكان ﷺ يقول: «**أعوذ بك من نفحة الكبرياء**»، وقال رسول الله ﷺ: «**بئس العبد، عبد تجبَّر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبَّر واختال ونسي الكبير المتعال**»، وقال ﷺ: «**من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**»، ولما خيّر الله رسوله ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً جعل يستشير جبريل عليه السَّلام، فأشار إليه أنْ تواضَعْ فقال: «**بل أكون نبيّاً عبداً**»، فتواضع لربه فأعطاه ملك الآخرة لتواضعه لربه وأعطاه ملك الدنيا حقيقة إذ لم يشغله بغيره، ولا جعله تحت يد بشر محكوماً. ولما أمر سليمان عليه السَّلام الطير والإنس والجن والبهائم فخرجوا به في مئتي ألف من الإنس ومئتي ألف من الجن، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السمٰوات، ثم خفض حتى مَسَّت قدمه البحر فسمع صوتاً: لئن كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كِبر لخسفت به أبعد مما رفعته).

وقال ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة ذراً في مثل صور الرجال يطؤهم كل شيء من الصغار حتى يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من طين الخبال، عصارة أهل النار**»، وقال ﷺ: «**إن في جهنم وادياً يقال له: هبهب، حق على الله أن يُسكنه كل**

جبار»، وقال ﷺ: «**إن في النار قصراً يُجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم**»، ولا ينحصر ما ورد في الآثار من ذم خلق الكبر، وبُعْد المتكبرين مِن الله تعالى ومن رحمته.

والتواضع هو ضد الكِبر، وقد مدح الله تعالى ورسوله المتواضعين ووصفهم بأنهم العلماء برب العالمين. فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الفرقان: 63 ـ 64].

وهذه المقامات الشريفة، والأوصاف الحميدة التي وصفهم الله تعالى بها هي خلق التواضع، لأن المتكبر لا يمشي على الأرض هوناً إنما يمشي بطراً وخيلاء. كما نهى نبيه عليه السَّلام عن ذلك فقال له: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾، وقال في وصف المتكبر العاتي: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة القيامة: 33]، وهي مشية فيها تبختر، فالمتواضع مشيه هون، لأن التواضع أكسبه في قلبه خشوعاً فخشعت جوارحه فانتفى عنه نشاط التيه وعز العجب ونفخة الكبر، فهو يمشي على الأرض، والأرض تتبرك به، وتستغفر له، ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، أي: لقيتم منا سلاماً أو سلمنا الله منكم سلاماً، فما نحن منكم ولا أنتم منا، نحن شغلنا عنكم ربنا فلا نقابل جفاكم بالجفا، بل بالسلامة، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾، وهذا غاية التواضع والذلة لله تعالى جعلوا الليل الذي هو مَظِنَّةُ الراحة وقت الدعة للصلاة التي هي مقام الخضوع والتواضع، فتارة يسجدون ذلة وخضوعاً، وتارة يقومون يتملقون ربهم شوقاً لجلاله وتعلقاً برحمته وإفضاله. وقد كان ﷺ من التواضع لربه والتذلل له بجسمه وقلبه في حد لا يقدر على وصفه أحد، وكان يأمر أصحابه بالتواضع، فقال ﷺ لأصحابه: «**ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟**»، قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: «**التواضع**»، وقال ﷺ: «**طوبىٰ للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة**»، فوصفهم بأنهم علوا بالتواضع على المنابر كما ذلَّ المتكبر فوطىء بالأقدام من الذلة والصغار، وقال ﷺ: «**إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة**»،

وقال ﷺ: **«ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حَكَمة فإن هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا: اللّهم ضعه، وإن وضع نفسه قالا: اللّهم ارفعه»**.

وقال عمر رضي الله عنه: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حَكمته، وقال: انتعش رحمك الله، وإذا تكبّر وعدا طوره وضعه الله إلى الأرض، وقال: اخسأ أخزاك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير، حتى إنه عندهم لأحقر من الخنزير. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتُغفلون أفضل العبادات التواضع.

والآثار في هذا الباب كثيرة لا تنحصر، وهذا كافٍ لمن له عقل يسمع به ويبصر، فإن قلت: فما حقيقة الكِبر والتواضع؟ ومن أين منشأ الكِبر في الإنسان وهو في أصل خلقته حقير؟.

فاعلم، أن هذه الآفة إنما دخلت على الإنسان بسبب الجهل وهو عمى النفس عن النظر إلى جلال الله سبحانه، فلما لم ينظر إلى جلال الله تعالى، ولا استولى على قلبه عظيم أمره كان نظره إلى نفسه وكل أحد بالطبع يحب نفسه. والمحبوب منظور بعين الكمال، فكل ما تأتيه النفس من النقصان فهو عنده كمال، فلذلك نرى المتكبر يشمئز من سماع الحق، ويكره تقدم الناس عليه في المشي أو النطق، إلى آفات كثيرة يطول وصفها دعاه إلى ذلك نظر نفسه بعين الكمال، ثم ينظر إلى غيره بعين النقصان ويحسب عليه عيوبه ويحصي ذنوبه كأنه ربه ثم يقايس بينه وبين غيره فيجد غيره ذا نقائص، ويجد نفسه بسوء نظره سليمة من النقائص، فيتكبر بالطبع عليه، ولا يذعن في شيء له، وهذه سجية إبليس حيث أمر بالسجود لآدم فاستكبر وفضّل نفسه عليه، فأقرب الناس شبهاً بإبليس وأحبهم له أكبرهم كِبراً حتى أن الكِبر يمنع ابن آدم من توحيد الله تعالى عِناداً، وإن كان يعلم أن الخالق واحد. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وأنسج على هذا المنوال ما شئت من شين الأفعال فكلها نتيجة الكِبر، وأما التواضع فمنشؤه من النظر إلى الله

تعالى والتفكر في عظمته فيثمر له ذلك العلم بعظمته وكبريائه، ومهانة نفسه وصغرها، وأنه كان معدوماً فأوجده بعد العدم، وخلقه مما خلقه فلخالقه الفضل في إبداعه، ونفسه عريّة عنده وملك لخالقه فبماذا يتكبر؟ أو على من يتكبر؟ أو لِمَ يتكبر؟ أيتكبّر على خالقه وهو سواه وخلقه وبصّره وأنطقه، وعدله ورزقه. هذا عكس فطرة النفس، أو يتكبر على مخلوق غيره وهو غير عالم بشره وخيره إنما الله تعالى وحده هو المطلع على قلوب عباده، وهَبْك أن العبد كافر، أيدري بما يختم الله تعالى لكل واحد منهما؟ أو يعجب بنفسه في نفسه وأوله نطفة وأخره جيفة؟ وهذا كله صفة من لا ينظر بعين الحقيقة. فإذا عَلِمَ العبد مبدأه ومعاده وعَلِمَ ربه وأنه مَنَّ عليه بالوجود وأفاده وعلمه، وعَلِمَ أن الله جعل الخليقة كلها عباده انقادت نفسه بالضرورة لله تعالى وتواضعت وسلمت الكبرياء له والعظمة ونظرت إلى ذاتها بعين الاستحقار وإلى عباد الله بعين الشفقة والرأفة، فهذا هو المتواضع في الفعل والصفة، ومثل هذا هو الذي يقول: الله أكبر بحقيقة المعرفة.

* * *

إرشاد بآثار وأنوار مُشرقة المطالع في التعظيم لله والخشوع له والتواضع

اعلم أن التواضع لله تعالى أفضل جلباب ترتداه، وقد خاب وخسر من تعداه، فعارض الله في صفة الكبرياء، وهو متصرف في أقبح الأوصاف، وأخس الأشياء. قال الحسن رحمه الله: (لا تعجب لابن آدم يغسل الخرأ كل يوم بيده مرتين ثم يتكبر، يُعارض جبار السمٰوات والأرض)، وسُئِل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكِبر. فأنت إذا انسلخت بالكلية عن خُلُق الكِبر، غدوت بمعرفة الله منشرح الصدر لأنك تستمد من نور الله الذي وضعه في قلوب المتواضعين، وتغيب عنك الظلمة المبثوثة في صدور المتكبرين، فيكون قلبك وجميع جوارحك في نور، فإذا قلت: الله أكبر صعد منك إلى الله نور يملأ ما بين السماء والأرض.

قال ﷺ: «**التكبير يملأ ما بين السماء والأرض**»، ولما سأله رجل عن ماذا يكون فعله في سفره، قال له: «**عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف**». وكان ﷺ يقول: «**الله أكبر كبيراً**»، ولما انطوى التكبير عليه من الثواب العظيم، جعل الله افتتاح الصلاة بهذه الكلمة الشريفة فأمر العبد أن يقول عند توجهه إلى ربه بقلبه وصرف وجهه تلقاء بيته: الله أكبر، وقال ﷺ: «**تحريم الصلاة التكبير**»، أي يحرم على المصلي إذا كبر أن يشتغل بغير صلاته التي جعلها الله له وسيلة إليه، وقربة يتقرب بها له، فيحرم عليه الكلام في أمور الدنيا بلسانه، ويحرم عليه أن يشغل قلبه بالتفكر في أمور الدنيا، إلا أن يطرقه طارق من الشيطان فيدفعه بالإقبال على صلاته لأنه لما قام بين يدي العظيم الكبير وجب عليه أن يُعرض عن الخسيس الحقير، ثم لا يزال المصلي يُردد التكبير في كل رفع وخفض تنبيهاً لقلبه أن الله تعالى هو الكبير وحده، وإشعاراً أنه عبد حقير بين يدي معبود كبير، فيذل له بالقيام بين يديه والركوع والسجود، ويكبره بلسانه موافقة لعقد جنانه فيقولها في اليوم في الصلوات المفروضة نيفاً وتسعين مرة. فانظر كم من نور يكتسبه، وكم من أجر يقتنيه بترداد هذه الكلمة الشريفة في الصلوات المفروضة، حاشاً ما ندب إليه من الصلوات المسنونات والرغائب وسائر القربات وهذه الصيغة أعني قولك الله أكبر هي الواجبة على المصلي عند مالك رحمه الله ولا يجزىء عنها غيرها فلا تنعقد الصلاة عنده بقولك الله الكبير ولا الأكبر، وأما الشافعي رحمه الله فأجاز تصريف هذه الكلمة وحدها دون غيرها فتنعقد الصلاة عنده بقولك الله أكبر والله الكبير والله الأكبر، لأن المعنى واحد، وأبو حنيفة رحمه الله يجيز في الصلاة النطق بصفة تعظيم، أي صفة كانت، فتنعقد الصلاة عنده وتتم بقولك: الله أكبر والله أعظم وأجل وأرفع... هذه الألفاظ، ولم يرد أثر عن رسول الله ﷺ إلا بقولك: الله أكبر، بهذه الصيغة فالتزامها أوفق وأحوط. فكبر الله في صلاتك تكبيراً لا ترى معه في الوجود كبيراً ولا صغيراً، فليس هو ممن يقاس بغيره سبحانه. فيظهر تفاوت ما بينهما بل هو كبير في ذاته وحده. والمقايسة إنما هي بين المخلوقات ففي المخلوقات ما هو كبير لا أكبر منه كالعرش مثلاً، وفيها ما هو صغير لا

أصغر منه كالذرة مثلاً، والعرش والذرة في الإبداع عند الله سواء. ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾، فالله عظَّم ما شاء من مخلوقات وصغر ما شاء منها، وجعل في الكل عبرة وحكمة ليستدل بها على مبدعها، فيعظمه ويكبره ويعرف حقه وقدره، وهيهات لن يصل أحد إلى عظمة خالقه بفكره ولا بيقينه ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، فطوبى لمن عظمه بخالص ضميره وثابر في الدنيا على تكبيره حتى يكشف له رداء الكبرياء عن وجهه في جنة عدن، فتشرق عليه أنوار الجمال والحسن فيرى من عظمته وكبريائه وسناه وسنائه ما يأخذ بمجامع قلبه، فينطق لسانه ضرورة بتكبير ربه فيقول الله أكبر، فيصدِّق الله قولَه، ويضاعف له طوله، وأحق الناس بهذا المقام في الأخرى أكثرهم تعظيماً وتكبيراً لله في الدنيا، فيجب عليك أن تجعل التكبير جل كلامك وأن تكبر الله في ظعنك ومقامك، ومهما اطلعت على مخلوق فكبر الله كالنجم إذا أشرفت عليه، والشمس إذا طلعت، والقمر إذا استهل، وعلى كل شرف من الأرض في سفرك كما أمر عليه السَّلام السائل بذلك، وعند الاستشراف على أرض العدو إذا غزوت إليه، كما قال عليه السلام إذا أشرف على خيبر: **«الله أكبر خربت خيبر»**، وخصَّ بالتكبير الأوقات الفاضلة، والأيام المباركة مثل عقب الصلوات، وعند النوم إذا أخذت مضجعك، وصبيحة يوم الفطر والأضحى من حين تخرج من بيتك إلى المصلى إلى خروج الإمام عليك ثم إذا فرغ من الصلاة والخطبة وأردت الانصراف أخذت في التكبير حتى تصل إلى بيتك، وخصَّ رسول الله ﷺ صلاة العيدين بتكثير التكبير فكان يكبر سبعاً في الركعة الأولى وخمساً في الثانية، هكذا وردت الروايات من طرق صحيحة صحاح، ففي حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«التكبير في الفطر سبع في الأولى، وخمس في الأخرى، والقراءة بعدها في كلتيهما»**.

وصلاة الأضحى كصلاة الفطر في التكبير سواء إلا أن مالكاً رحمه الله قال: التكبير في الفطر والأضحى سبع في الأولى بتكبيرة الإحرام على ظاهر الحديث. والشافعي يقول: التكبير سبع سوى تكبيرة الإحرام، كأنه جعل

القصد في الذكر إلى تكبير العيد؛ لأن تكبير الصلاة معلوم، وأما في الركعة الثانية، فلم يختلفا أن التكبير فيهما خمس سوى تكبيرة القيام. فلازم على رعاية هذا المقام، وعظم ما عظم الله من شعائره ومَنَّ بها على أهل الإسلام وكذلك مقام الأذان فيه (إشاعة) التكبير والتعظيم لله تعالى وهو مقام عظيم ثم تثني ثناءً على الله ثم أتي بمقام آخر في آخر الأذان وقبل التعليل مثنى وإقامة الصلاة حُذي بها في الشرع هذا الحذو. وقد أثنى رسول الله ﷺ على المؤذنين فقال: «**المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة**»، لأنهم لما أظهروا دين الله تعالى في أوقات الصلاة وأشاعوا ذكره على رؤوس الخلق أظهرهم الله يوم المعاد ونوَّه بهم على رؤوس الأشهاد. وقال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»، وقال ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»، فإن استطعت على التزام هذا المقام الرفيع فقد وفقت، وإن شغلك عنه شاغل فلا يشغلنك شيء عن إجابة المؤذن مهما سمعته، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن بالنداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»، وهذا أمر. وقال عليه السَّلام: «**لأن يُملأ أذان ابن آدم رصاصاً خيرٌ له من أن يسمع النداء ولا يجيب**»، ولشرف مقام الأذان يبقيه الله تعالى شعاراً للإسلام وإشعاراً بكلمة الإيمان إلى يوم القيامة، وكثير من الشرائع تندرس وهو لا يندرس. ألا ترى إلى ما حكى مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: (أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة)، فكيف في هذا القرن الذي نحن فيه اليوم ورسم الأذان ظاهر لا يتغير إلى يوم القيامة.

وللتكبير مقام شريف في أيام التشريق (أصله) على الحاج ثم يأتمَّ بهم في ذلك جميع أهل الآفاق الرجال والنساء وهي خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر، وآخرها صلاة الصبح من اليوم الرابع، يكبر عقب كل صلاة ثلث تكبيراته، فإن صلوا في جماعة كبر الإمام وأجاب الناس، وإن صلوا أفراداً كبر كُل أحد عقب صلاته، وفي الحج تكبير كثير لأنه موضع تعظيم العلي الكبير، وتذلل العبد الحقير، كالتكبير عند رؤية

العتيق وعلى كل شرف وعند رمي الجمار واستقر به من الآثار، فإن تعداد موضع التكبير ومظانه يكثر ويضيق عنه هذا الكتاب. وفي هذه النكت النفيسة التي أفدتك مقنع لأولي الألباب. وها أنا أختم الباب بتكبير محكم على حروف المعجم، ليلهج لسانك بتكبير الملك الأعظم، على كل شرف، وفي كل مَعلم، فتعظيم الله شرف للإنسان، ونور في الجنان، وبرهان يظهر على اللسان فتبارك الله العظيم الشأن.

* * *

تكبير مُحكم على حروف المعجم

الله أكبر الكبراء وأعظم العظماء، الكبير ذكره والعظيم قدره في الأرض والسماء.

الله أكبر الذي خضعت لعظمته جميع الأرباب، وضرب بينه وبين خلقه من كبريائه أعظم حجاب.

الله أكبر الذي وجبت الكبرياء له وثبتت، ولازمت العظمة ذاته فما انفصلت عنها ولا تشتت.

الله أكبر الذي لم يكن لكبريائه شي ولا حدوث، ولا هو في عظمته وجلاله موروث.

الله أكبر الذي امتنع بكبريائه عن الأنداد والأزواج، القيوم الذي كل شيء إلى القيام بقيوميته شديد الاحتياج.

الله أكبر الذي استحق بكبريائه الثناء والأمداح وتعاظم أن يكون لصفة عظمته طريان واستفتاح.

الله أكبر الذي ثبت له وصف الكبرياء ورسخ، ومحا تعاليه كل علو ونسخ.

الله أكبر الذي ارتفع بكبريائه على كل موجود، وخضع كل ما في العالم لعظمته باستكانة وسجود.

الله أكبر الذي لم تجد العقول لكبريائه نفوذاً، فبقي كل عقل دون الوصول إلى عظمته خاسئاً مجذوذاً.

الله أكبر الذي تعاظم على عباده وتكبر، وقال أنا العظيم وحدي، أنا الأكبر.

الله أكبر الذي ذل لكبريائه كل عزيز، وعجَّزت عظمته المتعاظمين أعظم تعجيز.

الله أكبر الذي لا يوصل إلى صفة كبريائه ولا يتخطى، ولا يتردى أحد معه رِداء الكبر ولا يتمطى.

الله أكبر الذي لا يلحظ كبرياؤه لاحظ، ولا تقوم بوصف عظمته لافظ، ولا يحصرها حافظ.

الله أكبر الذي سما بكبريائه على البرية عزة وملكاً وأدخل كل متكبر تحت سلطان عظمته قهراً وملكاً.

الله أكبر الذي ليس في كبريائه نظير ولا مثيل، وتبارك من هو وحده العظيم الجليل.

الله أكبر الذي تلاشت في جانب كبريائه الأمور العظام، وتردَّا بالكبرياء وتأزَّر بالعظمة فلا محل لها نظام.

الله أكبر الذي احتجب بكبريائه عن العيون، وامتنع بعظمته عن إدراك الأوهام والظنون.

الله أكبر الذي تردَّى برداء الكبرياء الخالص، وردى كل متكبر برداء القبائح والنقائص.

الله أكبر الذي بحر عظمته عظيم الفيض، لا تسبح فيه العقول ولا تؤول إلى غيض.

الله أكبر الذي حجاب كبريائه عن إدراك ذاته مانع، ونور عظمته للعقول رادع وقامع.

الله أكبر الذي تُجال الأفكار في كبريائه وتستفرغ فلا يوصل إلى أنوارها ولا يبلغ.

الله أكبر الذي لا تُقاس كبرياؤه مع غيره ولا تُضاف، ولا يدار حول أنوار عظمته ولا يُطاف.

الله أكبر الذي لا تصعد العقول إلى كبريائه ولا ترقى، وإن سبحت العقول في بحار عظمته أصبحت غرقى.

الله أكبر لا على سبيل الإضافة مع غيره والقياس، ومن ارتدى برداء الكبرياء سلبه ذلك اللباس.

الله أكبر الذي نهت في كبريائه حملة الكرسي [والعرش][1] ورجعت بالحيرة من عظمته والدهش.

الله أكبر الذي الكبرياء إليه يتوجه ونحوه ينتهي، وهو الذي قال أنا الأكبر ليزدجر المتكبر وينتهي.

الله أكبر الذي علا بكبريائه على العرش واستوى، واستولى بعظمته على الملك والملكوت واحتوى.

الله أكبر الذي تكبر عُلا وجلالاً، ورفع المتواضعين إجلالاً، ووضع المتكبرين إذلالاً.

الله أكبر الذي له الكبرياء والعظمة والعلياء، الذي ألزم الصّغار لمن تحلى بهذه الأوصاف وتزيّا.

(1) كلمة غير واضحة.

الباب العاشر

في معنى كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وفضيلتها ورفعة درجتها وعِظم مثوبتها

وتشتمل على فوائد سامية ومقاصد عالية:

اعلم أن كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله من الكلمات الفاضلات، وقد جعلها رسول الله ﷺ من الباقيات الصالحات، وأبان فضل ثوابها وجعلها كنزاً من كنوز الجنة وباباً من أبوابها. فقال ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» فقلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»، وقال قيس بن سعد بن عبادة مَرَّ بي النبي ﷺ وقد صليت فضربني برجله وقال: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» فقلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله باب من أبواب الجنة**».

وعن مكحول عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أكثِرْ من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة**». قال مكحول: فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجا من الله إلا إليه كشف عنه سبعين باباً من الضر أدناهن الفقر.

وقال ﷺ: «**عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالى: أسلم لي عبدي واستسلم**»، وقال ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يُقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان**».

فأَشْرِفْ بكلمة هي كنز من كنوز الجنة، ودفينة من دفائنها وباب من أبوابها، فواجب على العبد أن يتفقه في معناها ليشرف قلبه بسناها. وورد عن رسول الله ﷺ في تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله أن معناها: «**لا حول للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة له على طاعة الله إلا بعون الله**». فالحول على هذا التأويل مصدر حال يحول حولاً إذا انتقل فيكون المعنى لا انتقال للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة له على طاعة الله إلا بعون الله، أي أن الله تعالى خلق العبد وخلق له شيطاناً وملكاً موكلين به، هذا يغويه، وهذا يهديه، كلاهما يجذبه إلى ما جعل في قوته يأمرونه، والعبد ههنا متعلق ونفسه تدعوه إلى اتباع الشيطان بهواه، والعقل يُعلمه أن مغبّة اتباعه وخيمة، فتارة يعصمه الله عن إجابة داعي الهوى، فيحول عن معصيته، والعصمة هي الشد والربط على القلب بالتثبت على الخير، ومنه عصام القُربة للخيط الذي تشد به، وتارة تخذله باتباع داعي الهوى ولا يعصمه فلا يكون له حول عن معصية الله، فليس للعبد على الحقيقة حول بذاته عن معصية الله تعالى حتى يمده الله تعالى بعصمته ويتلاقاه برحمته وكذلك ليس له قوة على إجابة داعي الخير والهدى إلا بعون الله إذ لو تركه ونفسه لمالت إلى الهوى فإذا أمده بعونه تقوى على طاعته فلا حول ولا قوة للعبد إلا بالله. فالحول والقوة على هذا صفتان موضوعتان في العبد وضعها الله تعالى فيه وجعل حركتهما وانتقالهما بمشيئته وقدرته فإن عصمه حال عن معصيته وإن أعانه قوي على طاعته. فالصفة الواحدة يُدرأ بها الشيطان ويجاهده بها ويقمعه عن التطواف حول قلبه، والصفة الثانية يقوم بها في الحركات التي أوجبها الله تعالى عليه من الأوامر، وكأن الأولى لترك النواهي إذ انقسم جميع الخطاب في الشرع إلى أمر ونهي، ووكل الله تعالى بالعبد ملكين جعل أحدهما عن يمينه والثاني عن شماله، فإن امتثل أمر الله تعالى كتب ملك اليمين الحسنة، وإن ارتكب ما نهى الله كتب ملك الشمال السيئة، ثم يصعدان بصحائف عمل العبد إلى الله تعالى، فيأمر الله تعالى ملكاً يثبتها في اللوح المحفوظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فإذا خرجت نفس العبد ووضع في قبره

يتبدى له عمله الحسن شخصاً في أجمل صورة، وتبدى له عمله السيىء شخصاً في أقبح صورة، فيجد من الفرح والاستبشار بذلك العمل الصالح ما لا يُحد بحد، فيعلم علم يقين أنه لم تكن له قوة على طاعة الله إلا بعون الله، ولا حول عن معصيته إلا بعصمته، ويجد من الألم والحزن لعمله السيىء ما لا يستطاع فيعلم يقيناً أنه لم يحد عن طاعة الله إلا بأن أعدمه العون والتوفيق. ولم يقع في معصية الله إلا بأن خذله ولم يعصمه. فالعون والعصمة من الله والخذلان والشقاء من الله والشر بيد الله والعبد محكوم بزمام القدر مضغوط في قبضة المشيئة لا يتحرك حتى يُحرك ولا يقدم ولا يؤخر حتى يصرف. ولا له حول ولا قوة بنفسه مجردة حتى تستعين بالله فيعينها، هو الذي بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير.

إرشـاد: اعلم أن هذه الكلمة الشريفة إذا فهمت معناها فقد قُمت بقاعدة عظيمة من قواعد الشرع، وانسلخت عن مذهب أهل البدع وكنت ماشياً على المحجة البيضاء ومستضيئاً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام، وسلمت الأمر كله لله تعالى كما قال عليه السلام: «**إذا قال العبد: لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالى: أسلم عبدي واستسلم**»، وعلمت أن العبد مأمور ومنهي وأنه قادر على امتثال الأمر واجتناب النهي بقدرة يحدثها الله تعالى فيه يقدر بها على كسب الخير واكتساب الشر، وهذا الكسب الذي للعبد لم يخترعه بقدرته مجردة عن قدرة الله تعالى التي بها تقوم قدرته. فإن كل ما هو مقدور للعبد فهو مقدور لله ولكنه لا تناسب بين العبد وبين الخالق في ذلك، كما يكون الشيء معلوماً للعبد ومعلوماً لله تعالى ولا يتناسب ذلك فما من كسب للإنسان إلا والله تعالى قادر على إحداثه وإخراجه من العدم إلى الوجود، فكيف يكون مقدوراً للعبد غير مقدور لله. نعم صفة الكسب تحصل بقدرة العبد التي أقدره الله تعالى بها على الكسب. وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فأثبت له الرمي من جهة ونفاه عنه من جهة أخرى. أما نفيه عنه فإن قدرته على الرمي لم تكن من ذاته دون أن يستمد من قدرة ربه ولكن الله تعالى هو جاعل القدرة فيه على الرمي ولذلك أثبتها له فقال: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فأثبت له الرمي من جهة ونفاه عنه بهذا الاعتبار.

فإذا أشرقت على قلبك حقائق هذه الأنوار حِدْتَ عن مذهب المعتزلة القائلين بالاختراع الصرف للعبد، وأن قدرته على الخير والشر من ذاته لذاته، وهذا عدول عن طريق العدل. ونَكَبْتَ أيضاً عن مذهب الجبرية الذين سلبوا العبد من الإرادة والاختيار وجعلوه مجبوراً على الأفعال، فألحقوه بالجماد، وجعلوا أفعاله الاختيارية تتنزل منزلة الرعدة والرعشة وهذا أيضاً اختلال في الاعتقاد والعدل فيما ذهب إليه أهل الحق والسداد وهو الذي تقدم ذكرنا له ومن كتب أهل الحق نقف على الشفاء، فإن هذا الكتاب يضيق عن الحصر لهذه المذاهب والاستيفاء.

تنبيه: لما كان المنادي إذا نادى الناس للصلاة يقول في ندائه: حي على الصلاة، حي على الفلاح، أي: أقبلوا على الصلاة التي توصلكم إلى ربكم وتقودكم إلى طريق الفلاح وهي الجنة. أمر رسول الله ﷺ السامع للنداء أن يقول مُجيباً على هذا المؤذن: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: إنك أيها المنادي دعوتني إلى طاعة الله وأمرتني بالنهوض إلى أداء فرض الله والعدول عن الغفلة عن ذكر الله، فلا حول لي عن الغفلة عن ذكر الله إلا بعصمة الله ولا قوة لي على النهوض إلى طاعة الله إلا بعون الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فائدة: اعلم أنك كما تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فتجعل الصفتين للعبد على أنهما موضوعتان فيه ومحدثتان كما تقدم فكذلك تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فتكون الصفات لله تعالى وتقول لله الحول والقوة. فأما في وصفه تعالى فمن قوله (شديد المحال). قال ابن عباس في معناه: الحول. وقال أبو عبيد: الأشبه بقول ابن عباس أن يكون قرأ: (شديد المَحال) بفتح الميم ويكون معناه كمعنى الحول من قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله، هكذا قال أبو عبيد رحمه الله. قال: فأما الأعرج فالمعروف من قراءته (المحال) بفتح الميم. وقال قتادة: (شديد المحال) أي الحيلة. قال الحسن: الهلاك. وقال أبو عبيدة: هو المَكْر من قولهم: مَحَلَ به إذا مَكَر، وروي ذلك عن الحسن أيضاً. وأصل المحل: الشدة. وكل هذه الأوصاف ترجع في الله إلى صفة الفعل. فلا اختلاف أنك تقول لله تعالى: يا ذا الحول، وتقول: إن الله ذو الحول، وشديد الحول وما أشبه ذلك فهي صفة فعل لذاته سبحانه.

وأما القوة فهي صفة ذاتية لله تعالى وهي قدرته على اختراع المخترعات وإحالة المستحيلات، فقوته منبئة على تمام قدرته ونفوذها في المقدورات. فالله تعالى هو القوي وحده حقيقة وقوته من ذاته لذاته قديمة، وكل شيء محدث وضعت فيه قوة فتلك القوة معارة عنده وموضوعة فيه للسلب إن شاء الله أن يسلبها عنه، وإن كان ذلك الشيء مخلوقاً للبقاء كالأرواح والجنة والنار، فإن إزالة القوة عنها ممكن لو شاء الله ذلك فإنما بقاؤها بقوة وضعها الله فيها، والبقاء عندها معار من الباقي حقيقة، وكل مخلوق للبقاء فإنما هو باق بإبقاء الله تعالى لإبقائه. إذ البقاء صفة لله تعالى، ولا تكون الصفة إلا لله تعالى ولا تكون الصفة القديمة منتقلة عن القديم إلى المحدث. فكما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة، فكذلك لا يجوز قيام الصفة القديمة بالذات الحادثة، فإنما يبقى ما أراد بقاؤه بإبقائه، أي يخلق البقاء فيه، وإمساكه له بقوة وضعها فيه تلك القوة متعلقة بقدرته، فإذا أراد فناء ما أراد سلب عنه القوة التي كان يبقي بها فحال. فإذا أراد عودته للبقاء أعاد الله قوة يقوم بها ويبقى، والكل لا يقوم إلا بالواحد القيوم، ولا يحول إلا بقدرة الذي له الحول فهو الذي خلق ابن آدم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً، ثم يفني بإحالة الفناء عليه ويبقي في علمه ما تنقص الأرض منه، وكتابه محيط حفيظ بذلك. ويبقي عجب لينشيء عليه خلقه ويتركب، ويبقى روحه بقوة البقاء الموضوعة فيه إما في عليين منعماً أو سجين معذباً ثم يفني السمٰوات والأرضين أعراضها وجواهرها. فتعود السماء كالمهل والجبال كالعهن ويعيد الأرواح لأجسادها فيقوم البشر بقدرة الخالق وقوته كما كانوا أول مرة، فهو الذي يحيل ولا يحول ويغيّر ولا يتغيّر، ويمحو ما يشاء ويُثْبِت، وليس في ذاته محو ولا إثبات، بل ذاته الثابتة القائمة القوية المقدسة عن الكيفية والكمية التي القوة لها صفة أزلية، وكل موجود في الوجود فضعيف إذ العدم أصله والموجود له من موهبة خالقه. فمن هذه صفته أي قوة له في ذاته يقوى بها على شيء، أو أي حول له يحول به عن شيء فلا حول لمخلوق ولا قوة إلا بالله. والحول حقيقة والقوة لله. فمن علم هذا علماً يقيناً ومكن من إضافة الحول والقوة لله تمكيناً حقيقياً، وسلب عن نفسه ما ليس من صفتها ولا جعله الله في قوتها فواجب هو بنيل كنز عظيم من كنوز الجنة، وجدير هو أن

يفتح له باب شريف من أبوابها، فأكثر من هذه الكلمة لعلك تحظى بجزيل ثوابها ولا يكون بينك وبين الجنة حجاب حيث استمسكت بكلمة هي للجنة باب، فإن الحوقلة استسلام لله واعتراف له بحق الألوهية، ودخول العبد في طوع العبودية، فلا يقدر أحد على استيفاء ما تنطوي عليه هذه الكلمة من الفوائد السنيّة.

وها أنا أختم الباب بكلام محكم على حروف المعجم يتضمن كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله. فإن الله مَنَّ بها عليك أعظم المنَّة، وجعلها كنزاً من كنوز الجنة.

كلام مُحكم على حروف المعجم في كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله

لا حول ولا قوة إلا بالله القائم بقدرته على جميع الأشياء الذي يتضعضع في جانب قوته جميع الأقوياء.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي حَبا بالقوة والعصمة من حَبا، وأحال من شاء عن منهج طاعته فعاد مفلول الشبا.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي ليس للأشياء دون قوته ثبات، ولو تركها لحالت عن موضوعاتها وداخلها الشتات.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي اخترع بقوته الحوادث ويُحيل بقدرته العالم ومن فيه فيكون هو الوارث.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي تألق هذا النظام بقدرته وانتسج وبقدرته عرج ما عرج إلى السماء وخرج من الأرض ما خرج.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بقوته فلق الإصباح وفلق الحبَّ والنوى وفرق بين الأجسام والأرواح.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو مثبت لما شاء وناسخ وبقوته ثبتت السمٰوات واستقرت على الأرض الجبال الرواسخ.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بنى السمٰوات بأيد وأرسى الأرض بالجبال فأمسكتها عن الميد.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي أمره في كل شيء نافذ، وكل موجود فلقدرته مستسلم وبه معتصم ولائذ.

لا حول ولا قوة إلا بالله القوي المتين القادر الذي في قبض قدرته يتصرف كل وارد وصادر.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي جلَّ بقدرته وعز وأمسك العرش ومن حوله بقوته فقَرَّ وما اهتزَّ.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بسط لبسيطه بقوته بسطاً ورفع السمٰوات بقدرته وبها يحطها حطاً.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو للأشياء بقوته حافظ الممتنع بحجاب قدرته عن أن يصل إليه طرف لاحظ.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو لكل شيء بقدرته مالك وبقوته استطاع على إمساك النار مالك.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي له القوة والحول وهو الممتنع في سلطانه فلا يدور عليه شهر ولا حول.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي أمسك بقدرته العرش العظيم وأجرى النجوم على المنهج القويم.

لا حول ولا قوة إلا بالله القوي السلطان الذي لا يستقل بسلطانه مكان ولا زمان.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو بالقوة مختص وكل موجود سواه يخامره الوهن والنقص.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي ألف بقوته بين الجواهر والأعراض وهو يحيلها فتستحيل وتنقرض أي انقراض.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بقوته ارتفع وامتنع وتعزز بقدرته فخضع له كل شيء وخنع.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي لا شيء لقدرته بالغ وبقوته جرت في أفلاكها النجوم والشمس والقمر البازغ.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي أمد من شاء بقوة من نوره واصطفى وأشعل في قلبه سراج التوفيق والعصمة فما انطفى.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي شدَّ بقوته الأشياء وتاقا وهو ينقصها إذا شاء بقدرته فتفترق بعد التئامها افتراقاً.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بقوته رفع السمٰوات المحيطة دون أن

يجعل لها عمداً ولا أُساً وبقوته دحا البسيطة وأثبت عليها الجبال وأرسا.

لا حول ولا قوة إلا بالله الحامل بقوته للعرش وما حول العرش والمجري بها القلم في اللوح لينقش ما شاء من النقش.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي ليس لقدرته منتهى الذي يقيم ما شاء بقوته بعدما وهن ووهى.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي جعل جبريل شديد القوى فبقوته يعلو إذا علا ويهوي إذا هوى.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بقوته أمسك السمٰوات والأرض أن تزولا وبقوته يحل نظام العالم إذا شاء فيصبح محلولاً.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي قام كل شيء وبقدرته يُفني ويحيي كل ميت وحي.

كَمُل الباب العاشر، وبه كَمُل جميع شرح الكلمات الباقيات الصالحات، والحمد لله حمداً بلا نفاد ولا انبتات، وصلّى الله على نبيه ورسوله محمد أفضل الصلوات وعلى جميع الرسل من قبله وعلى صحبهم وصحبه أهل الفضائل الباهرات وشرف وكرّم.

دعاء ترجى إجابته لمن سأل الله تعالى من وضع مؤلف الكتاب عفا الله عنه

اللهم يا من انفرد بالثناء والسناء، وقال إني أنا الله لا إلّه إلا أنا، يا من شهد لنفسه بوحدانيته، وتفرد في صمدانيته، واستبد بقيوميته، واختص بأزليته وأبديته، ولم يُشرك في ملكه أحداً من بريته، يا من هو الإلّه المعبود، يا حامداً يا محمود، يا من لم يزل حامداً لنفسه، مذ كان في ملكه وقدسه، فهو القائل وهو الحق المبين، الحمد لله رب العالمين، يا كبير، يا عظيم، يا جليل، يا من ليس له في كبريائه وعظمته مثيل، يا من تأزر بالعظمة وارتدى بالكبرياء، فهو الكبير العظيم في الأرض والسماء، يا من انفرد بالتدبير والقوة والحول، وتنزه عن نقائص القول

والفعل، يا ذا الحول والطول، نسألك اللهم سؤال من سَلَّم الأشياء كلها إليك، واعتمد في جميع أموره عليك، وخضع مستسلماً بين يديك، وعَلِم أن الخير لا يوجد إلا لديك، أن تُثبت توحيدك في قلوبنا تثبيتاً، لا نخاف فيه انحلالاً ولا تشتيتاً، حتى توحدك قلوبنا وألسنتنا توحيداً محضاً، تُحب ذلك مِنَّا وترضى، وتجعلنا عند الموت مطمئني القلوب بهذه الكلمة، منطلقي الأفواه حتى تفارق أرواحنا أجسادنا على كلمة لا إلّه إلا الله، وتكون هذه الكلمة يوم الفزع نوراً بين أيدينا وبأيماننا، حتى نصل بها إلى مَحَلِّ سُرورنا وآماننا، **اللهم** اجعلنا ممن دان بحمدك وشكرك، وأكثر آناء ليله ونهاره من ذكرك وحمدك، كما ينبغي لوجهك وعظيم جَلاَلِك، **اللهم** لا تنسينا حمدك، ولا تمنعنا عطاءك ورفدك، وأَفِض علينا من الخير الجزيل الذي عندك، واجعلنا من الشاكرين لك على كل نعمة أسديت، ومن الحامدين على ما أظهرت من عوارفك الجزيلة وأبديت، وتمم علينا نعمك السابغة كما بدأت، فأنت الذي استفتحت الأشياء وأنشأت، فلك الحمد فلا محمود إلا أنت، ولك الشكر على ما أعطيت ومَنَنْت، **اللهم** اجعلنا من المسبحين لك والمقدسين، والمتلذذين بذكرك والمتأنسين، ولا تنسنا الاعتبار في آياتك، ولا تخل قلوبنا عن تنزيه ذاتك وصفاتك حتى نهيم بالتقديس لك والتسبيح، ونغدو فيه ونروح، فإنك أنت الله القدوس السبُّوح، رب الملائكة والروح، الذي سبحه كل جماد وكل ذي روح، **اللهم** اجعلنا ممن ابتهج جنانه بتعظيمك، ولهج لسانه بتكبيرك، وعلِم أن ليس في الوجود سواك كبير، وأنك المنفرد بالتدبير والتقدير، وأن الحول والقوة لك وحدك، فإن كل خير فإنما يوجد عندك، وأن الأمور عن حكمك صدرت، وبأمرك تقدرت، وعلى وفق إرادتك تقدمت وتأخرت. **اللهم** يا واحد يا أحد، يا من هو الإلّه الذي يُعبد، يا حميد يا مجيد، يا من الخلق له عبيد، يا سبُوح يا قدوس، يا كبير يا عظيم يا من هو بأسرار العباد عليم، يا من له الحول والقوة، وبيده القهر والسطوة، نسألك أن تمكننا في مقام اليقين أعظم تمكين، وأن لا تشغل قلوبنا بمحبة المال والبنين، فإن ذلك من زينة الحياة الدنيا، وأن تشغل قلوبنا مدة المحيا باقتناء الباقيات الصالحات، التي هي خير ثواباً وخير أملاً. يا من له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وصلي اللهم على نبيك المصطفى ورسولك المجتبى الذي قسمت له من رحمتك الحظ الأفى، وأَجِبْ دُعانا يا من لا يغيب عنه شيء ولا يخفى، آمين، آمين، آمين.

يا رب العالمين

كتاب أنوار الآثار المختصة
بفضل الصلاة على النبي المختار (ﷺ)

تأليف

الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن معدّ بن عيسى التجيبي

ـ ابن الأُقليشي الأندلسي ـ المتوفى سنة ٥٥١هـ

مؤلفات مغربية(1)
في الصلاة والتسليم على خير البرية ﷺ

من شعائر الإسلام وظيفة الصلاة والتسليم على رسول الله الأعظم، صلى الله عليه وآله وسلم، وهي شعيرة نوَّه القرآن العزيز بشأنها، وأبرز الحديث الشريف مقامها، فاهتدى المسلمون بهدى ذا وذاك، ولبوا النداء سلفاً فخلفاً، أداء لحق الجناب النبوي الشريف، وقضاءاً لواجب شكر أياديه على الإسلام والمسلمين، وتجاوباً مع تشريع هذه القربة في عديد المناسبات.

وكان من مظاهر هذه الاستجابة أن المؤلفين المعنيين بالأمر، يخصصون للتحية النبوية مكانها ضمن مدوناتهم، فيذكرون أحكامها، ويوضحون تفاصيلها.

على أن آخرين ألفوا ـ في هذا الاتجاه ـ رسائل وكتباً على حدة، لتتناول فضائل هذه التحية، وتعرف بكيفياتها، إلى ما يتصل بذلك من قريب أو بعيد، وكان السابق لهذه المبادرة، هو شيخ المالكية القاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي، المتوفى من عام 282هـ/ 896م، في مؤلف يحمل اسم: **فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم**، ولحسن الحظ كانت هذه

(1) ذكر هذه المؤلفات العلامة محمد المتوني ـ رحمه الله تعالى ـ في مقالات نشرها بمجلة دعوة الحق س12 ع4/1977م.

الرسالة بين منشورات المكتب الإسلامي في دمشق، وقام بتحقيقها المحدث اللامع: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، حيث قدم لها بالتعريف بها وبمؤلفها، في مدخل ختمه ببيان اهتمام الإسلام، بشأن الصلاة على خير الأنام، عليه وآله أفضل الصلاة والسلام.

وبعد القاضي إسماعيل توالت الكتابة في هذا الموضوع بالمشرق ثم المغرب، في مؤلفات تكاثرت مع مر الزمن، واحتفظت بعناوين نماذج منها مدونات السخاوي[1]، فمحمد المهدي الفاسي[2]، فمرتضى الزبيدي[3]، فيوسف النبهاني[4].

وانطلقت المبادرة - في الغرب الإسلامي - من الأندلس، وكان أول تأليف بشبه الجزيرة في هذا الاتجاه نحو:

1 - كتاب الإعلام بفضل الصلاة على النبي عليه الصَّلاة والسَّلام، من عمل النميري: محمد بن عبدالرحمن بن علي الغرناطي، المتوفى عام **544**هـ[5]/**49 - 1150**م، وهو من مصادر ابن عرضون في «حدائق الأنوار» آتي الذكر عند رقم **31**.

2 - أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار، لابن

---

(1) «القول البديع، في الصلاة على الحبيب الشفيع»، ط. الهند، حيث وردت اللائحة المشار لها ص**197 - 199** عند خاتمة الكتاب، وهناك مخطوطة منه كتبت على يد مؤلفه عام **861**هـ، خ.ع.ك. **111**. وقد حققه العلاّمة محمد عوامة، ونشرته مؤسسة الريان/ **1422**هـ.

(2) افتتاحية الشرح الكبير على دلائل الخيرات: «تحفة الأخيار ومعونة الأبرار، العاكفين على دلائل الخيرات وشوارق الأنوار»، السفر الأول/خ.م **4214**/خ.ع.ك **1545**.
مع افتتاحية الشرح الوسيط لنفس المؤلف، باسم: «التجريد، لما في الشرح الكبير على الصغير من المزيد». خ.م. **4192**/خ.ع.ك **144**.

(3) «إتحاف السادة المتقين، بشرح أسرار إحياء علوم الدين»، ط.ف. **4/50 - 51**.

(4) «سعادة الدارين، في الصلاة على سَيِّد الكونين»، مطبعة بيروت عام **1316**هـ، ص**6 - 8**.

(5) ورد ذكره باسم الأعلام في «زوائد تكملة ابن الأبار» ط. إسبانيا رقم **1854**، ثم بمقدمة «مفاخر الإسلام لابن صعد»، مخطوط المكتبة الحمزية، وجاء الاسم - كاملاً - عند السخاوي في خاتمة «القول البديع» وترجمة مؤلفه عند ابن بشكوال في «الصلة» نشر العطار، رقم **1299**.

الأُقْلِيشِي: أحمد بن معدّ بن عيسى التجيبي، المتوفى عام 550هـ[1]/55 ـ 1156م.

خ.ع.ق. **242** ضمن مجموع.

3 ـ كتاب النزهة، لابن البقري: علي بن محمد بن إبراهيم الفزاري الغرناطي، المتوفى عام 552هـ[2]/57 ـ 1158م، وهو بدوره ـ غير معروف ـ، ومؤلفه تلميذ النميري آنف الذكر، سمع عليه كتابه الأعلام عام 539هـ[3].

4 ـ كتاب القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، لابن بشكوال: خلف بن عبدالملك بن مسعود الأنصاري القرطبي، المتوفى عام 578هـ/ 1183م[4].

خ.ع.ق. **242** ضمن مجموع.

خ.ع.ك. **401** قطعة منه مبتورة.

الطرفين بخط أندلسي عتيق في **96**ص.

5 ـ الملاذ والاعتصام، في كيفية الصلاة والسلام، على سيدنا محمد خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، مؤلفه هو جبر بن محمد بن جبر القرطبي، المتوفى عام 615هـ/18 ـ 1219م، ولم يذكر ابن الأبار الكتاب باسمه، وإنما قال عنه في ترجمة جبر[5]، وألف كتاباً حسناً في فضل الصلاة

---

(1) السخاوي في خاتمة «القول البديع» وترجمة مؤلفه عند ابن الأبار في «التكملة» ط. الجزائر، رقم **167**.

(2) أشار لاسمه ابن صعد في مقدمة «مفاخر الإسلام»، وترجمة المؤلف في التكملة ط. إسبانيا رقم **1854**، مع «الذيل والتكملة»: دار الثقافة، بيروت، السفر الخامس رقم **566**، حيث توجد مصادر أخرى لترجمته.

(3) زوائد التكملة رقم **1854**.

(4) السخاوي في خاتمة «القول البديع»، وترجمة ابن بشكوال، في «التكملة» ط. إسبانيا رقم **179**.

(5) في «نفس المصدر» والطبعة رقم **12**.

على النبي ﷺ، وذكر اسمه ـ كاملاً ـ النبهاني[1] الذي وقف على نسخة منه.

6 ـ **صلوات نبوية**، لمحيي الدين ابن العربي الحاتمي: محمد بن علي بن محمد الطائي المرسي، نزيل دمشق، والمتوفى ـ بها ـ عام 638هـ[2]/ 1240م، ويقول عنها مرتضى الزبيدي[3] إنها من صيغ غرائب الصلوات.

7 ـ **لمحات الأنوار، ونفحات الأزهار، في الصلاة على النبي المختار**، لابن وداعة: أحمد بن أبي القاسم عبدالملك بن يحيى النفزي الرندي، المتوفى عام 738هـ[4]/ 1237م.

* * *

فهذه سبع مؤلفات أندلسية موضوعية، وننتقل ـ بعدها ـ إلى عرض مؤلفات ـ في الاتجاه ذاته ـ بالعدوة الأخرى: بالجزائر وتونس والسودان الغربي.

8 ـ **أربعون حديثاً في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم**، من جمع ابن أبي البقاء: محمد بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي البلنسي نزيل تلمسان، والمتوفى ـ بها ـ عام 610هـ[5]/ 1213م.

---

(1) «سعادة الدارين» ص7.

(2) هناك لائحة بمصادر ومراجع ترجمته في «معجم المؤلفين» 40/11 ـ 42، و419/13.

(3) «إتحاف السادة المتقين» 51/4، ووردت الإشارة إلى مجموعة من الصلوات الحاتمية في «برنامج المكتبة الصادقية» 236/3، وأثبت النبهاني سبعاً من صيغ صلواته في «سعادة الدارين» ص 256 ـ 257، مع ص295 ـ 298، هذا إلى أن هناك شرحاً لهذه الصلوات للجوهري، في خزانة خاصة بمراكش.

(4) محمد المهدي الفاسي في مقدمة شرحيه على الدليل المشار لهما سلفاً، وترجمة المؤلف عند ابن القاضي في «درة الحجال»: دار التراث بالقاهرة رقم 104.

(5) «التكملة» ط. ص إسبانيا رقم 919، و «الذيل والتكملة»: السفر السادس رقم 941.

9 ـ دفع النقمة، في الصلاة على نبي الرحمة، لابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني نزيل دمشق، والمتوفى ـ بالقاهرة ـ عام **776**هـ[1]/ **1375**م.

بالأسكوريال رقم **1772** من لائحة بروفنسال.

10 ـ أربعون حديثاً منوعة الإسناد، في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، لابن مرزوق (الجد): محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني، المتوفى ـ بالقاهرة ـ عام **781**هـ[2]/ **1379**م.

11 ـ مفاخر الإسلام، في فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، لابن صعد: محمد بن أحمد بن أبي الفضل التلمساني، المتوفى ـ بمصر ـ عام **901**هـ[3]/ **1496**م.

خ.ق. **812** مبتورة الطرفين.

خ.ق. **1113**.

خ.ن. **1997**.

12 ـ الوسائل العظمى للقصد الأسمى، للحوضي: محمد بن عبدالرحمن التلمساني، المتوفى عام **910**هـ[4]/ **1505**م.

خ.ن. **2009**.

13 ـ التفكر والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار، لأبي العباس أحمد بن ثابت البجائي، أورده سركيس في «معجمه» ع **60**، غير أنه

---

(1) ذكر دفع النقمة في كتابه: «منطق الخير» خ.م. **1910** ضمن لائحة مؤلفاته، ثم أورده السخاوي في خاتمة «القول البديع»، وترجمة المؤلف في «الدرر الكامنة» **1/329 ـ 331**.

(2) أشار لهذه الأربعين في كتابه «جنى الجنتين»، مخطوط خ.ع.ك. **1228**، ص **115**. وانظر عن مصادر ومراجع ترجمته معجم المؤلفين **9/16 ـ 17**.

(3) ترجمته عندابن مريم في «البستان» ص **251 ـ 252**.

(4) ترجمته في «نفس المصدر» ص **252**.

ذكر في نسبه: الحلبي، ونسبته إلى بجاية هي الواردة في «برنامج المكتبة الصادقية بتونس»[1].

14 ـ ومن هذه المؤلفات بتونس: **فضل التسليم على النبي الكريم**، لابن بنون: أبي القاسم بن أحمد بن أبي القاسم القرشي التونسي، كان بقيد الحياة خلال النصف الأول من المائة الهجرية الثامنة[2].

15 ـ **تحفة الأخيار، في فضل الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله الأبرار**، للرصاع: محمد بن قاسم الأنصاري التونسي، المتوفى عام **894**هـ[3]/ **1489**م.

مخطوط متداول.

16 ـ **تنبيه الأنام، في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام**، لابن عظوم: عبدالجليل بن محمد بن أحمد المرادي القيرواني المتوفى عام **960**هـ[4]/**52** ـ **1153**م، أورده سركيس في معجمه ع **185** ـ **186**.

17 ـ وقد عاد فوضع ملخصاً لهذا الكتاب، وعنونه باسم **تذكرة أهل الإسلام في الصلاة على خير الأنام**[5].

مخطوط متداول.

18 ـ وهذا كتاب **بلوغ السول، في الصلاة والسلام على الرسول**، لمحمد جمال الدين بن أبي القاسم بن أحمد خلف المسراتي القيرواني[6].

19 ـ **النرجسة العنبرية في الصلاة على خير البرية**، لابن إسحاق

---

(1) **197/3**.

(2) ذكره السخاوي في خاتمة «القول البديع».

(3) ترجمته وبعض مصادرها عند الزركلي في الأعلام **228/7**.

(4) ترجمته في هدية العارفين مج **1** ع **500**.

(5) «كشف الظنون»، مطبعة العالم بالآستانة **332/1**.

(6) «برنامج المكتبة الصادقية» **192/3**.

الرياحي: إبراهيم بن عبدالقادر بن إبراهيم التونسي، المتوفى عام **1266**هـ[1]/ **1850**م، منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية.

20 ـ الغرر الملوكية في الصلاة على خير البرية.

21 ـ لوامع الأسنة في الصلاة على عين الرحمة والمنة.

الاثنان من تأليف ابن ملوكة: محمد بن صالح التونسي المتوفى عام **1276**هـ، وهما ـ معاً ـ منشوران بالآستانة، هذا فضلاً عن صلوات أخرى لنفس المؤلف لا تزال مخطوطة[2].

ومن تونس نقفز إلى السودان الغربي، فنلتقي ـ أولاً ـ مع بابا السوداني: أحمد بن أحمد بن أحمد ـ ثلاث مرات ـ الصنهاجي الماسي، المتوفى عام **1032**هـ[3]/ **1623**م، وقد خلف ثلاث مؤلفات موضوعية.

22 ـ الدر النضير، في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير.

خ.ع.د. ثاني **1724** ثاني مجموع.

خ.ن. **2999** ثالث مجموع.

23 ـ نشر العبير، في معاني الصلاة على البشير النذير.

24 ـ خمائل الزهر، فيما ورد من كيفيات الصلاة على سيد البشر[4].

اختصر أكثر هذا الأخير من القول البديع للسخاوي، ورتبه على أربعة فصول وخاتمة، ثم فرغ منه أواخر جمادى الآخرة عام **1014**هـ، منه مخطوطة خاصة.

---

(1) المصدر الأخير **236/3**، ومن مصادر ترجمة المؤلف شجرة النور الزكية رقم **1555**.

(2) «برنامج المكتبة الصادقية» **213/3 ـ 214**، **222**، **288**، **242**، وترجمته في «شجرة النور الزكية» رقم **1559**.

(3) ترجمته في «الأعلام» المراكشي **99/2 ـ 104**، حيث توجد بعض مصادر ترجمته.

(4) ورد ذكر «خمائل الزهر» وسابقيه: عند محمد المهدي الفاسي في افتتاحية شرحيه على الدليل المشار لهما سلفاً مرتين.

25 - نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، للشيخ المختار بن أحمد أبي بكر الكنتي الفهري السوداني، المتوفى عام **1226**هـ[1]/ **1811**م.

اشتمل على صلوات إنشائية، ومرويات يفتتح المؤلف ببعضها، أو يخلل بفقرات منها، وهو مخطوط متداول.

26 - ولابن المؤلف محمد شرح بسيط على هذه الصلوات، عنونه باسم: **الروض الخصيب، بشرح نفح الطيب، في الصلاة على النبي الحبيب**، لا يزال مخطوطاً.

خ.ع.د. **730** في سفرين.

خ.م. **7488** في مجلد مبتور الآخر.

* * *

والآن ينتهي بنا المطاف إلى المغرب الأقصى، وفي هذا الصدد نشير إلى أن أقدم تصلية معروفة بهذه الجهة هي **الصلاة المشيشية**، لمنشئها الإمام المولى عبدالسلام بن مشيش الحسني الإدريسي دفين جبل العلم، والمتوفى عام **625**هـ[2]/ **1228**م.

---

(1) ترجمته عند أحمد بن الأمين في «الوسيط»: الطبعة الأولى ص **356**، وتاريخ وفاته عند النبهاني في «جامع كرامات الأولياء» **247/2**.

(2) حلاه عبدالواحد ابن الطواح التونسي بالمجتهد المحقق السني، حسب «سبك المقال لفك العقال» خ.م. **105**.

ولعبدالله بن محمد الوراق «رسالة في مناقبه» خ.ع.د. **1484** ضمن مجموع.

ولمحمد بن قاسم ابن زاكور: «الاستشفاء من الألم، بالتلذذ بذكر صاحب العلم»، مخطوط خاص، ويوجد معظمه مدرجاً في «الروضة المقصودة» لأبي الربيع سليمان الحوات، مخطوطة المكتبة الأحمدية بفاس.

وللدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر «تأليف في ترجمته» نشر قريباً. كما أن الأستاذ الكبير عبدالله كنون كتب له ترجمة مفيدة نشرتها جريدة «الميثاق».

ويقول السيد محمد مرتضى الزبيدي عن «الصلاة المشيشية»: «وقد شرحها غير واحد من أئمة المغرب والمشرق من المتقدمين والمتأخرين» حسب «إتحاف السادة المتقين» ط.ف. **51/4**.

ثم **صلوات** تلميذه الشيخ أبي الحسن الشاذلي: علي بن عبدالله بن عبدالجبار الحسني الغماري الأصل، المتوفى عام **656هـ**[1]/ **1258م**.

ومن أواسط المائة الهجرية الثامنة، صار للصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، طابع مغربي أقصوي خاص، وهي الظاهرة التي يجليها الإمام ابن مرزوق[2]، فيذكر ارتسامات عن حفلات المولد النبوي الشريف في بلاد السلطان المريني أبي الحسن، ويخلل وصفه قائلاً:

«... وتكثر الصلوات على سيدنا محمد ﷺ، وهي من أعاجيب ما يرى في بلاد المغرب».

وفي قريب من هذه الفترة بدأ المغاربة في تأليف مجموعات الصلوات النبوية، ثم تتابع التدوين في هذا الاتجاه عبر الفترات التالية، غير أن هذه الموضوعات لم تسر على منهجية موحدة، واختلفت أساليبها بين مؤلف وآخر.

فهناك مجموعات انتظمت من صيغ نبوية أو مأثورة عن المهتمين بالأمر من سلف الأمة وخلفها.

وابتكر آخرون صيغاً تفيض بها عواطفهم، فيسجلونها واحدة واحدة حتى يتجمع منها تأليف قد تتعدد أسفاره، كواقع «ذخيرة المحتاج» آتية الذكر، وهذه تمتزج تصلياتها بالسيرة النبوية من المولد حتى الوفاة.

ومن هؤلاء المؤلفين من يرتب الصلوات على الأسماء الحسنى، أو الأسماء النبوية، أو على الحروف المعجمية: بالترتيب المغربي أو المشرقي.

بينما يسير مؤلف على أن يرفق كل صلاة بأثر نبوي حتى يجمع إلى التعبد الاستفادة الحديثية.

على أن البعض يهدف من وراء هذا إلى نشر اللغة العربية بين

---

(1) انظر بعض مصادر ترجمته في «معجم المؤلفين» **137/7**.

(2) «المسند الصحيح الحسن» خ.ع.ق. **111**، الباب السادس: الفصل السادس.

الأوساط التي تغلب العجمة على لسانها، يقول مؤلف «الدرر المرصعة»[1] عن صلوات أبي عبدالله بن ناصر: «... وأكثر فيها من اللغات والدعوات قصداً منه بذلك على ما قيل، تعليم أهل هذه الأزمنة ـ التي غلبت عليهم العجمة، واستولت على ألسنتهم اللكنة ـ اللغة التي بها يفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى، صلّى الله عليه وآله وسلم».

وغالباً ما يضاف لهذه المؤلفات، فصول تتناول موضوعات مختلفة تتصل بالصلاة والتسليم، وقد تتكاثر هذه الإضافات حتى تطغى على المقصد الأساسي.

بعد هذا يأتي تقديم هذه المؤلفات المغربية، وقد بدأت بالظهور مع النصف الثاني من المائة الهجرية الثامنة، وهي الفترة التي يتسلسل العرض منها كالتالي:

27 ـ **«المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة»** لابن داود: محمد بن القاسم السلوي، كان بقيد الحياة أواخر عام **812**هـ[2]/ **1410**م.

ضمنها صيغ صلوات أنشأها، ووزعها بين فصول يسميها مقاصد/خ.م. **3016**.

28 ـ كتاب «منتهى الأمل والسول في الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي والرسول»، تأليف ابن أبي البركات الغماري، عبدالله بن محمد بن محمد النالي، التلمساني ثم الفاسي منزلاً وقراراً، المتوفى عام **853**هـ[3]/**49 ـ 1450**م، أورد ذكره محمد المهدي الفاسي[4]، ولا يزال غير معروف».

---

(1) خ.ع.ك. **265**: عند ترجمة الإمام ابن ناصر، ومؤلفها هو محمد المكي بن موسى الناصري.

(2) لا تعرف له ترجمة كاملة، وهناك لقطات مقتضبة وردت ضمن موضوع: «ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي» مجلة «دعوة الحق»، السنة التاسعة: العدد التاسع والعاشر «مزدوج»، ص**105 ـ 106**.

(3) قد يكون هو المترجم عند ابن القاضي باسم عبدالله بن أبي البركات الغماري، حسب «درة الحجال»، المطبعة الجديدة بالرباط رقم **943**.

(4) في افتتاحية شرحيه: الكبير والوسيط على دلائل الخيرات.

29 ـ دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار، صلى الله عليه وآله، للإمام الجزولي: محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن سليمان الحسني السملالي، المتوفى عام **870**هـ[1]/ **1465**م.

ويعتبر أشهر هذه المجموعات المغربية وأكثرها ذيوعاً، يقول عنه حاجي خليفة[2]: «يواظب بقراءته في المشارق والمغارب، لا سيما في بلاد الروم»، ويسجل محمد مرتضى الزبيدي[3]: أنه ولعت به الخاصة والعامة[4]،

---

(1) له ترجمة مطولة بالأعلام المراكشي، **57/4 ـ 122**.

(2) كشف الظنون **495/1**.

(3) إتحاف السادة المتقين، **50/4**.

(4) من ملامح هذا الولوع بدلائل الخيرات العناية بتصحيحه، وفي هذا الصدد نشير إلى بعض النسخ المذكورة بنوع من الأهمية:

1 و**2** ـ النسخة السهلية التي كتبها كبير تلاميذ المؤلف: الشيخ محمد الصغير السهلي، وكان له نسختان عليهما خط المؤلف:

أ ـ وقع الفراغ من كتابتها ضحى يوم الجمعة **6** ربيع النبوي عام **862**هـ، ولحسن الحظ لا تزال بقيد الوجود، حيث تحفظ بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم **377**.

ب ـ مؤرخة بعام **868**هـ، ولا يعرف ـ الآن ـ مصيرها.

3 ـ النسخة التي كتبها محمد المهدي الفاسي شارح الدليل، بتاريخ الأحد أوائل شعبان عام **1067**هـ، خ.م. **303** في **121** ص.

4 ـ بخط الشيخ التجاني: أبي العباس أحمد بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن المختار الحسني الكاملي، وهي موصوفة في رفع النقاب **52/3**، وصارت هذه النسخة إلى حوزة القاضي المرحوم أبي العباس أحمد سكيرج، ومن بعده إلى ابنه الشاعر الأديب الأريحي عبدالكريم سكيرج، وهو الذي أطلعني عليها في بيته بمدينة سطات، صيف عام **1384**هـ/**1964**م.

5 ـ بخط محمد بن القاسم القندوسي، فرغ من كتابتها ضحوة الخميس **14** رمضان عام **1244**هـ، ومن مقابلتها في فاتح ربيع النبوي عام **1247**هـ، خ.ع.ك. **399**، وهو يذكر أنه قابلها وصححها على **22** من النسخ البالغة غاية الجودة، ويبرز من بينها الأصول التالية حسب ترتيب سياقه:

نسخة بخط محمد المهدي الفاسي ـ نسخة بخط أبي السعود عبدالقادر الفاسي ـ نسخة بخط أبي زيد عبدالرحمن (بن محمد) الفاسي ـ نسخة مقابلة من نسخة المؤلف ـ نسخة بخط أبي الحسن علي الصغير التازي ـ نسخة بخط الشيخ الباجي بن محمد ـ نسخة بخط أبي العباس أحمد بن ناصر ـ نسخة بخط الشيخ حسن العجمي قصار ـ نسخة كتبت للشيخ أبي عبدالله محمد، بفتح أوله، بن أبي زيان القندوسي. =

وخدموه بشروح وحواش[1].

= 6 ـ نسخة ثانية بخط القندوسي، فرغ منها آخر ذي القعدة عام... ومائتين وألف. خ.م. **5920**.

7 ـ نسخة ثالثة بخط القندوسي، فرغ منها ضحوة الجمعة **4** محرم عام **1267**هـ. خ.ع.ج. **634**.

8 ـ نسخة رابعة قد تكون بخطه، وهي مبتورة الطرفين، خ.م. **7959**.

9 ـ نسخة تونسية، أشار لها النبهاني في مقدمة تعليقه على دلائل الخيرات ص**10**، وجاء في آخرها ما يلي:

«كملت رواية سيدي محمد الصغير السهلي لدلائل الخيرات عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وهذه الرواية هي التي يعبر عنها الشيخ الفاسي في كبيره: تارة بنسخة الشيخ، وتارة بالعتيقة، وتارة بالسهلية، وتارة بالمعتمدة، وهي التي كتب عليها الشيخ المؤلف رضي الله عنه وصححها، فهي أصح الروايات، ولذلك اعتنى الشراح بتحريرها، وتمييزها عن غيرها: على يد أفقر العباد إلى الله تعالى: محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن إبراهيم البارودي، غفر الله لهم آمين، في **27** صفر الخير، سنة **1276**هـ، وهي العشرون من النسخ التي تشرفت يد كاتبها بها...».

10 ـ وعن هذه النسخة وما ضاهاها صحح الشيخ يوسف النبهاني النسخة التي علق عليها ونشرت بمطبعة الحلبي بمصر عام **1338**هـ.

وانظر عن الطبعات الشرقية الأخرى لدلائل الخيرات: معجم المطبوعات ع **697**، مع الإشارة إلى أنه نشر في أوروبا من عام **1842**هـ في بطرسبورغ، حسب دائرة المعارف الإسلامية: النص العربي **448/6**.

وقد تكرر نشره بشمال إفريقية، ويبدو أن أول نشرة له بالمغرب هي التي كانت بالمطبعة الحجرية الفاسية، بتاريخ الجمعة **10** صفر عام **1289**هـ. ثم كان من طبعاته المغربية الأخرى تلك التي قامت بها دار الكتاب المغربية، بخط الوراق المتقن: أحمد بن الحسن زويتن الفاسي، حيث فرغ من الكتابة ضحوة الأحد **17** ذي القعدة عام **1376**هـ في **121**ص من الحجم المتوسط.

(1) من نماذج هذه الشروح والتعاليق ما كتبه الفاسيون الثلاثة على دلائل الخيرات، انطلاقاً من أبي زيد عبدالرحمن بن محمد، فأبي حامد محمد العربي ثم محمد المهدي، ومؤلفاتهم مخطوطة معروفة، باستثناء مطالع المسرات الذي تكرر طبعه.

ومن المؤلفات المغربية الأخرى: «إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة، بكشف القناع عن ألفاظ دلائل الخيرات»، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن عبدالرحمن بن أبي بكر السكوني الفجيجي مولداً وداراً، الحسني نسباً، خ.م. **3290**. =

30 ـ وهناك **«دلائل الأبرار»**، لمؤلف جزولي لم يذكر اسمه، وجاءت الإشارة له عند افتتاحية وردة الجيوب آتية الذكر، وهو غير معروف.

31 ـ ومن دلائل الأبرار ننتقل إلى **حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار، في الصلاة والسلام على النبي المختار، صلّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأبرار**، مؤلفها هو ابن عرضون: أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني، المتوفى عام 992هـ[1]/ 1584م.

= ثم الأزهار المنيرات، في شرح «دلائل الخيرات» لمحمد بن (محمد) السالك الجرني المراكشي خ.م. 6494.

وثالثاً: «تعليق» يحمل مؤلفه اسم الطاهر بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن إبراهيم التادلي ثم المساوي ثم البجعدي/خ.م. 6657.

ومن أغرب ما يذكر في هذا الصدد، «ترجيز دلائل الخيرات»، في منظومة مطولة لأبي حفص عمر بن محمد المجاصي المكناسي، وكان يشتغل به أواسط المائة الهجرية، 12/ خ.م.ز. 884.

ولمحمد بن عبدالسلام بن أحمد بوستة المراكشي «إتحاف السائل، في تنبيه أهل الدلائل» خ.ع.ك. 32 ثاني مجموع.

ولمحمد عبدالحي الكتاني «سلاسل البركات، الموصولة بدلائل الخيرات»، أشار له في «فهرس الفهارس» 389/2: ط.ف.

ومن مؤلفات المشارقة على دلائل الخيرات: «بدء الوسائل، في حل ألفاظ الدلائل» للشهاب أحمد بن أحمد بن محمد السنجاعي المصري، حسب إيضاح المكنون 167/1.

و«المنح الإلٰهيات، بشرح دلائل الخيرات»، لسليمان الجمل الأزهري/ خ.م. 1362، خ.ع.د. 1633 ـ تطوان 319.

و «بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» لحسن العذوي الحمزاوي، منشور بالمطبعة الحجرية المصرية.

و «الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» للنبهاني، مطبعة الحلبي بمصر عام 1338هـ.

هذا فضلاً عن شروح مشرقية أخرى، وردت نماذج منها ـ وعددها خمسة ـ في إيضاح المكنون 476/1.

(1) له ترجمة وجيزة في «سلوة الأنفاس» 268/2، وهو يرتب كتابه على ثمان حدائق: الأولى تشتمل على ثمانية أبواب، والرابعة والسابعة والثامنة: أربعة أبواب، والثالثة والسادسة ثلاثة، وبابان في كل من الثانية والخامسة، واعتمد في تأليفه «تحفة الأخيار» للرصاع، وكتاب «الإعلام» للمنيري وغيرهما.

خ.ق. **317**.

خ.م.ز. **942**.

المكتبة العامة بتطوان.

32 ـ وهذا كتاب «**الفوائد المتناثرة من الأحاديث المروية والصلاة والسلام على خير البرية**»، ويحمل مؤلفه اسم عامر بن الحسن بن الزبير الجسمي[1]، فرغ منه في شعبان عام **1023**هـ/ **1614**م.

خ.م. **3868**.

33 ـ وفي قريب من هذا التاريخ، لمعت **مجموعة** أخرى يسمى واضعها بأحمد السوسي، ولا يبعد أن يكون هو البوسعيدي: أحمد بن علي بن محمد الهشتوكي نزيل فاس، والمتوفى ـ بها ـ عام **1046**هـ[2]/ **1637**م، ولا تزال مخطوطة في نسخة خاصة.

34 ـ وفي درعة نلتقي بإمامها ابن ناصر: الشيخ محمد بن محمد بن محمد المتوفى عام **1085**هـ[3]/ **1674**م، وهو مؤلف «**غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب**» وهي مرتبة على المعجمية المغربية، في كل حرف **34** صيغة[4].

---

(1) الظاهر أن هذا ينتسب إلى قبيل كسيمة الصحراويين، وقد انتقل الكثير منهم لسوس ونزلوا بإقليم أكادير، حيث توجد «انزكان» وسط بلادهم، انظر: «المعسول» **148/14**.

(2) ترجمته في «سلوة الأنفاس» **85/2** ـ **87**.

(3) تعددت مصادر ترجمته من عصره فما بعده، ونشير ـ من بينها ـ إلى الدرر المرصعة لمحمد المكي الناصري، خ.ع.ك. **265**، ثم طلعة المشتري لأحمد بن خالد الناصري، ط.ف.

(4) مما يدل لذيوع غنيمة العبد المنيب، قول العدلوني في افتتاحية شرحه عليها: «واعتكفت على قراءتها الأبرار، وتداولتها ـ فيما بينهم ـ الفقراء الأخيار، وذأبت على ملازمتها ذوو الأسرار، حتى صارت هجيراهم بالليل والنهار».
وتجاوباً مع هذا الإقبال على الغنيمة، تعددت شروحها في فترات متقاربة:
أ ـ وكانت الأسبقية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بركة الأندلسي التطواني، فوضع عليها «شرحاً» أشار له مؤلف الدرر المرصعة ثم العدلوني في طالعة شرحه. =

35 ـ صلوات نبوية، مروية عن المولى التهامي بن محمد بن المولى عبدالله «الشريف»، اليملحي العلمي دفين وزان، والمتوفى ـ بها ـ عام **1127**هـ[1]/ **1715**م.

وهي التي جمعها الشهاب الملّوي: أحمد بن عبدالفتاح المجيري المصري، المتوفى عام **1181**هـ[2]/ **1767**م، في أربعين صيغة تلقاها عن إمام وزان، ثم رواها عن الملّوي محمد مرتضى الزبيدي الذي ساق حديث هذه الصلوات النبوية[3].

والغالب أن جامعها إنما أخذها عن أستاذه محمد بن عبدالله المغربي القصري الكنكسي[4] تلميذ المولى التهامي.

وقد تكون هذه الصيغ هي الواردة عند البغدادي[5] باسم: **شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور** من تأليف الشهاب الملوي.

= ب ـ «شرح حفيد المؤلف»: أبي العباس أحمد بن موسى بن محمد الكبير الناصري، وكان في فترة تأليف الدرر المرصعة لا يزال يشتغل فيه ولما يتمه.

ج ـ «رقية الطيب، ومنية الحبيب، في حل ألفاظ غنيمة العبد المنيب»، اسم شرحها للقاضي عبدالسلام بن عبدالرحمن العدلوني آتي الذكر، خ.ع.ك. **2204**/خ.م.ز. **889**.

د ـ «تعليق القلائد الجسيمة، على كافور جيد الغنيمة»، عنوان شرحها للعالم الرباطي: الهاشمي بن محمد بن عبدالسلام سكلانط الأندلسي، استمر بقيد الحياة حتى عام **1173**هـ، وشرحه هذا مخطوط في أربعة أسفاره، خ.م. **1273**، وورد ذكره في ترجمة مؤلفه عند محمد بن علي دنية في «مجالس الانبساط، بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» خ.م. **779**، ثم في الاغتباط، بتراجم أعلام الرباط، خ.ع.د. **1287** مع «الإتحاف الوجيز» لمحمد بن علي الدكالي السلوي خ.ع.د. **42**.

(1) انظر عن ترجمته حمدون الطاهري في «تحفة الإخوان...» ط.ف. ص**77 ـ 114**.

(2) انظر ترجمته عند المرادي في «سلك الدرر..» **116/1 ـ 117**.

(3) «إتحاف السادة المتقين» **51/4**.

(4) ورد ذكره في «سلك الدرر» بين أشياخ الملوي المغاربة، وذكره الزبيدي في «تاج العروس» **236/4** هكذا: «شيخ مشايخنا أفضل المتأخرين العلامة: أبو عبدالله محمد بن عبدالله القصري الكنكسي، حدث عن أبي العباس التلمساني، وعنه الشهب الثلاثة: أحمد بن عبدالفتاح، وأحمد بن الحسن وأحمد بن عبدالمنعم المصريون».

(5) إيضاح المكنون **45/2**.

36 ـ ولمحمد بن عبدالعزيز الجزولي الرسموكي اليعقوبي: **وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب**، انتخبه من دلائل الخيرات ودلائل الأبرار، مخطوط متداول، ومؤلفه استمر بقيد الحياة حتى عام 1152هـ[1]/ 1739م.

37 ـ وكان يعاصره في مدينة صفرو قاضيها: عبدالسلام بن عبدالرحمن بن علي بن سعيد العدلوني، وقد عاش ـ بدوره ـ إلى عام 1152[2]، وألف في الاتجاه الذي نعرضه: نزهة المسرات، وروضة المبرات، حيث وردت الإشارة لها بخط بعض المقيدين.

38 ـ وبعد نزهة المسرات، يأتي اسم **كنوز الأسرار، في الصلاة على النبي المختار، صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأبرار**، تأليف عبدالله الخياط بن محمد الشهير بالهاروشي، الفاسي، نزيل تونس، والمتوفى ـ بها ـ عام 1170هـ[3]/56 ـ 1757م، يشتمل على 53 تصلية.

39 ـ على أن أكبر كتاب مغربي في هذا الصدد هو: **ذخيرة المحتاج** لمحمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي، العمري الشرقي البجعدي، المتوفى عام 1180هـ[4]/ 1766م، ونسختها الأولى كانت من 55 سفراً[5].

---

(1) هذا هو تاريخ الرحلة الحجازية للحضيكي، خ.م. 405، وقد ذكر الاسم الذي نعلق عليه بين الذين لقيهم بالمدينة المنورة، هذا إلى إلمامة بالمذكور وردت في «المعسول» 25/5.

(2) لا تعرف له ترجمة منتظمة، وهناك بعض معلومات عنه وردت ضمن موضوع «الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول»، مجلة «دعوة الحق»: العدد العاشر، السنة 16، ص84 ـ 85.

(3) ترجمته في شجرة النور الزكية ص354، ولنفس المؤلف شرح على «كنوز الأسرار» باسم «الفتح المبين، والدر الثمين، في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين، صلى الله وسلم عليه، آمين»، رتبه على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة، وجعل موضوع الباب السادس ذكر مصادر الصلوات الواردة بكنوز الأسرار، خ.م. 401 بخط شرقي ـ خ.ع.ك. 637 ثالث مجموع يشتمل ـ أيضاً ـ على متن كنوز الأسرار.

(4) أفردت ترجمته بالتأليف، ثم تناولها عدد من كتب التراجم، ونشير ـ بالخصوص ـ إلى نشر المثاني ط.ف. 277/2 ـ 278، مع فهرس الفهارس 169/2 ـ 170.

(5) مختصر يتيمة العقود الوسطى لمحمد المكي بن مؤلف الذخيرة، غير أن الكتاب لم=

40 ـ ياقوتة المحتاج في التوسل إلى الله بالصلاة على النبي صاحب المعراج، لمحمد بن العربي الدمراوي التازي، المتوفى عام **1204**هـ[1] **89 ـ 1790**م، بعين ماضي، حيث أنشأ صلواته على ترتيب المعجم المغربي، في كل حرف سبع صلوات، وتوجد صيغها منشورة ضمن ترجمة منشئها[2]، أما نسختها ـ كاملة ـ فهي مخطوطة في مكتبة الزاوية الحمزية بإقليم الرشيدية.

41 ـ تحفة المستيقظين في الصلاة على سيد الأولين والآخرين، لمحمد بن بوجدة الحلو، كان بقيد الحياة في **25** ربيع الأول عام **1207**هـ[3]/ **1792**م، وهي بخط مؤلفها في فقرات قصيرة إنشائية ـ **302**ص.

خ.ع.د. **284**.

42 ـ معراج الوصول، بالصلاة على أكرم نبي ورسول، ويحمل مؤلفه

= يستمر على تجزئته الأولى، واختلفت نسخة بالزيادة والنقصان عن تقسيم **55**، وأكبر مجموعة مغربية من الذخيرة هي التي تحتفظ بها الخزانة الملكية: من رقم **7874** حتى رقم **7957**، ثم قسم الكتابة بالخزانة العامة من رقم **2756** حتى رقم **2799**، مع أرقام **584 ـ 587 ـ 2989**، ومن الواضح أن عدداً من هذه الأجزاء يتكرر بعضها مع البعض.
وفي خزانة الجامع الكبير بوزان مجلد من الذخيرة ـ رقم **519** ـ يبدو أنه الأول، ويوجد بأوله وآخره تقاريظ على الكتاب من جهة أعلام وأدباء الجزائر وتونس وطرابلس بخطوطهم، وهناك مجموعتان ـ على حدة ـ لهذه التقاريظ:
- تقاريظ أئمة المشرق/ خ.م. **7958**.
- تقاريظ أئمة المغرب/ خ.ع.ك. **1181**.

وأخيراً نحيل على يتيمة العقود الوسطى لمحمد بن عبدالكريم العيدوني، وهي تحتفظ بلائحة للأصول التي استمد منها مؤلف ذخيرة المحتاج.

(1) ترجمته في «كشف الحجاب» للقاضي أحمد سكيرج، الطبعة المصرية، ص**97 ـ 128**، مع «رفع النقاب» لنفس المؤلف، مطبعة الأمنية بالرباط، **3/160 ـ 169**.

(2) «كشف الحجاب» ص**104 ـ 118**، ولمحمد ابن المشري الحسني الجزائري شرح على ياقوتة المحتاج لا يزال مخطوطاً/ خ.ع.د. **1919** أول مجموع/ خ.ع.د. **2419**: أول مجموع/ خ.ع.د. **2447**.

(3) هو مؤلف «الدر السالك على ألفية ابن مالك» ح.م.ز. **1797**، بخط مؤلفه الذي فرغ منه في يوم **25** ربيع الأول عام **1207**هـ، ومن هنا يستفاد عصر المؤلف الذي لا تعرف له ـ الآن ـ ترجمة.

اسم الطيب بن أحمد بن يحيى الفاسي، فرغ من تأليفه يوم الجمعة 16 ذي الحجة عام 1217هـ/ 1803م، مخطوط بمكتبة الزاوية الحمزية[1].

43 ـ **السيف القاطع والحصن المانع، بمدح الرسول الشافع**، من إنشاء الوالي: محمد بن علي بن عبدالرحمن الإدريسي، الفيلالي ثم الفاسي، المتوفى ـ بها ـ عام 1234هـ[2]/ 1819م، مخطوط في نسخة خاصة.

44 ـ **تحفة المحبين، بذكر أسماء سيد المرسلين**، للأوبيري: محمد التهامي بن محمد بن مبارك الحمري، المتوفى عام 1246هـ[3]/ 1830م.

وهي مرتبة على المعجم المغربي اعتباراً بأواخر الأسماء النبوية.

خ.م. 3740.

45 ـ **ذخيرة الكنوز، في الصلاة على النبي العزيز**، أنشأ صيغها محمد الغازي بن محمد العربي، من حفدة الشيخ الشهير: أبي القاسم الغازي الدرعي ثم السجلماسي، كان بقيد الحياة صدر عام 1246هـ[4]/ 1830م.

خ.م.ز. 3455.

46 ـ **تصليات وابتهالات**، للجيزي: عبدالسلام بن محمد بن أبي يعزى اليعقوبي الفاسي، المتوفى عام 1264هـ/ 1848م، ورد ذكرها في ترجمته[5].

47 ـ وهو مؤلف **شرح نفح الطيب**، للشيخ المختار الكنتي، حيث عنونه باسم: «نزهة الأبرار ورياض الأنوار والأزهار، وسر نور الأنوار

---

(1) انظر وصفه في فهرس هذه المكتبة، مجلة «تطوان» العدد 8 ص166.

(2) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 3/40.

(3) ترجمته بـ «الأعلام» للمراكشي 5/251 ـ 253، ووفاته من «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» رقم 664.

(4) هذا هو تاريخ استجازة مرفوعة من التهامي ابن رحمون بخطه، إلى مؤلف ذخيرة الكنوز.

(5) «سلوة الأنفاس» 3/26.

والأسرار في أصل ينبوع شرف أطيب الطيب، على الصلاة المسماة بنفح الطيب، في الصلاة على النبي الحبيب»، ولا يزال مخطوطاً في سفر متوسط.

خ.م. 2814 و 5728.

خ.ع.ك. 2220.

48 ـ نور الجمال المحمدية باختصاص أسرار الصقلية، لمحمد بن الطيب بن محمد الصقلي الحسيني الفاسي، المتوفى عام 1271هـ[(1)]/ 1855م، 181ص من الحجم الصغير.

خ.ع.ك. 490.

49 ـ لآليء اليواقيت الحسان في الصلاة على طلعة صدور الأعيان، لمؤلف غير مذكور، وفرغ منه ضحوة الثلاثاء 23 ربيع الثاني، عام 1299هـ/ 1882م، وهو مرتب على التهجية المغربية في صلوات تتخللها قصائد، يقع ثاني مجموع ص368 ـ 601.

خ.ع.ك. 1573.

50 ـ لؤلؤة الأنوار وقلائد الجوهر ورياض الأزهار في الصلاة على النبي المختار، لمحمد بن المدني اليوعناني الحسني المراكشي، المتوفى آخر العشرة الثانية من المائة الهجرية الجارية: 14[(2)]، وهو منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1315هـ.

51 ـ كنوز الأسرار ومفاتيح الأنوار، بذكر الصلاة على النبي المختار، صلّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ما دام الليل والنهار، تأليف الحاج

---

(1) ترجمته بنفس المصدر 170/1 ـ 171، ولأبي السعود عبدالقادر بن أبي القاسم العراقي الحسيني الفاسي شرح على إحدى هذه الصلوات، باسم «المواهب الربانية، في شرح الصلاة الصقلية»، الموجودة قطعة منه بخط المؤلف، في محفظة من ورقة 73ب إلى ورقة 103/ خ.ع.ك. 64.

(2) ترجمته عند ابن الموقت في «السعادة الأبدية» ط.ف. 148/1.

التهامي بن محمد بن التهامي الحمادي المكناسي، نزيل فاس الجديد[1].

رتبه على الأسماء الحسنى، وخصص لكل باب اسماً على حدة، ثم فرغ من تأليفه في شعبان عام **1321**هـ/ **1903**م، وهو في مجلدين.

خ.م. **14**: المجلد الأول.

خ.م. **702**: المجلد الثاني.

52 ـ أدل الخيرات، في الصلاة على سيد الكائنات، لأبي الفيض الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني الحسني الفاسي، المتوفى عام **1327**هـ[2]/ **1909**م، منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية.

53 ـ ملذة الحبيب، بالصلاة على أسماء النبي الحبيب، للشيخ محمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن محمد مامين الإدريسي الشنجيطي، المتوفى عام **1328**هـ[3]/ **1910**م.

خ.ع.د. **750**.

خ.ي. **488**.

54 ـ الدلائل النبوية، والمكارم المحمدية، لأحمد بن الحاج العباس الشرايبي الفاسي ثم المراكشي، المتوفى عام **1329**هـ[4]/ **1911**م، في مجلدين.

خ.ي. **89**: نسخة تامة.

خ.ع.ك. **1571**: النصف الأول في مجلد.

---

(1) لا تعرف له ترجمة، وهو حفيد العلامة الشهير: التهامي الحمادي المكناسي، المترجم في «إتحاف أعلام الناس» **81/2 ـ 94**.

(2) تعددت مصادر ترجمته، على أن أوسعها هو كتاب «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» من تأليف ابنه الشيخ محمدالباقر، مطبعة الفجر عام **1962**م.

(3) من بين المصادر الكثيرة لترجمته، نشير إلى «معجم الشيوخ» للقاضي عبدالحفيظ الفاسي الفهرسي **37/2 ـ 41**.

(4) ترجمته في «الأعلام» المركشي **280/2**.

55 ـ قضاء الحوائج والأوطار، في الصلاة والسلام على النبي المختار، لمحمد ـ بفتح أوله ـ بن أحمد بن علي بن محمد التادلي والموساوي، المراكشي المولد والمنشأ، فرغ من كتابة هذه الصلوات الإنشائية ـ بخطه ـ في **10** شعبان عام **1331**هـ/ **1913**م، فجاءت في سفر من الحجم الوسط: ص **178**.

خ.ع.ك. **1551**.

56 ـ مجلى الأسرار والحقائق، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق، للقاضي أبي العباس أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني الفاسي، المتوفى عام **1348**هـ[1]/ **1929**م، مطبعة محمد أفندي مصطفى في مصر عام **1310**هـ ـ **120**ص.

57 ـ مفتاح الأسرار، فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، لمحمد بن إدريس الدباغ الحسني الفاسي، المتوفى عام **1350**هـ/**31** ـ **1932**م، ويغلب على صلواته الصبغة الإنشائية، غير أنه مبتور الآخر، ويقع الموجود منه في **189**ص من الحجم الصغير.

خ.ع.ك. **1608**.

58 ـ نور البصر، في الصلاة على خير البشر، لمحمد بن عبدالسلام بن أحمد بوستة المراكشي، كان بقيد الحياة صدر عام **1351**هـ/ **1932**م.

خ.ع.ك. **32** أول مجموع.

59 ـ ولنفس المؤلف **كتاب مطول في الموضوع ذاته** يوجد السفر الخامس منه في:

خ.ع.ك. **2801**.

---

(1) تناوله بالتعريف به عدد من المؤلفين المعاصرين، على أن الترجمة الموسعة هي التي كتبها ابنه الأستاذ عبدالملك البلغيثي، وصدر بها الجزء الأول من كتاب والده: «تشنيف الأسماع» المطبعة الجديدة بفاس، ص1 ـ 52.

60 ـ الطيب الفاتح، والورد السانح، في صلاة الفاتح ﷺ، لمحمد بن عبدالواحد السوسي النظيفي الأصل، المراكشي القرار، المتوفى عام **1367**هـ/ **1948**م.

بنى صيغه على صلاة الفاتح، ورتبها حسب المعجمة الشرقية موشحة بتعاليق شارحة، ونشر الجميع بمصر في **208**ص.

61 ـ السراج المنير، في الصلاة على البشير النذير، لأبي حفص عمر بن الحسن بن عمر بن الطائع الكتاني الحسني الفاسي، المتوفى عام **1370**هـ/ ؟؟؟.

وقفت على قطعة منه في مخطوطة خاصة من **46**ص، يغلب أن تكون بخط مؤلفها.

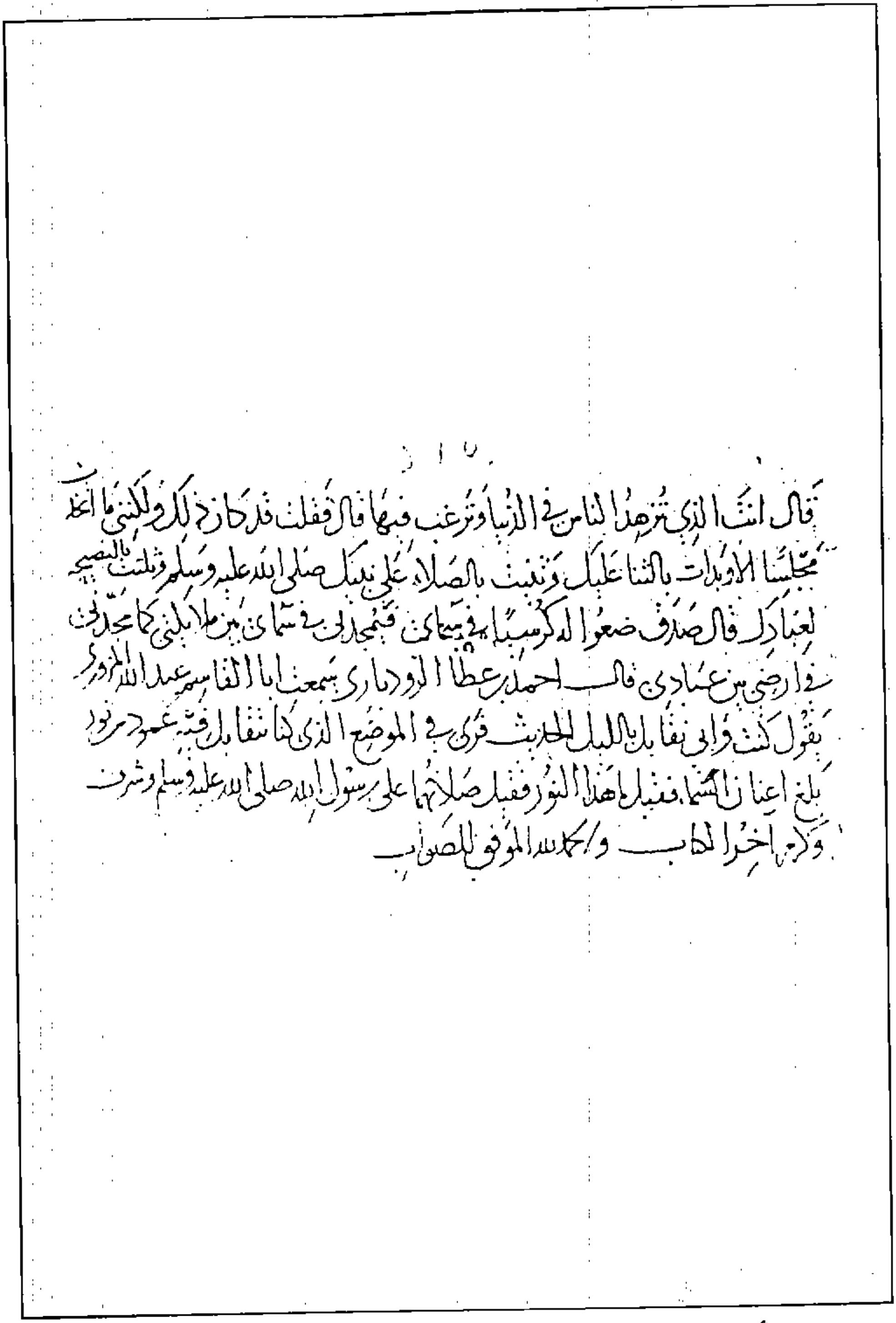
62 ـ وسيلة الملهوف... لمحمد عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني الحسني الفاسي، المتوفى عام **1382**هـ/ **1962**م، ضمنها صلوات إنشائية، وختمها ببعض أدعية الفرج بعد الشدة المرفوعة، ثم فرغ منها غروب الاثنين ثاني جمادى الثانية، **1327**هـ، وهي منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية عام **1331**هـ، في **192**ص من الحجم الصغير.

63 ـ بغية السائل، في أشرف الوسائل، في الصلاة على المبعوث من خير القبائل، ويحمل مؤلفه اسمه قدور بن أحمد بن محمد الحلفاوي المراكشي، حيث رتبه على **30** باباً تشتمل على **360** فصلاً.

ولم يتحدد لي عصره بالضبط، فلذلك ذيلت به هذه النماذج من المؤلفات المغربية في الصلوات النبوية. عنوان الورقة الأولى من المخطوط ـ الخزانة العامة ـ الرباط ـ رقم (**252**ق).

كتاب أنوار الآثار المختصة بفضل
الصلاة على النبي المختار محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم صلاة دائمة إلى يوم الدين تأليف الشيخ الفقيه الإمام
الحافظ أبي العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل الأقليشي رحمه الله عليه ورضوانه
وعلى جميع المسلمين آمين

الورقة الأولى من المخطوط ـ الخزانة العامة ـ الرباط ـ (رقم 242ق).



قال أنت الذي تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها قال فقلت قد كان ذلك ولكنني ما أخلي
مجالسنا الأوقات بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم وثلثت بالنصيحة
لعبادك قال صدق ضعوا له كرسيًا في سماواتي فيمجدني في سماواتي بين ملائكتي كما مجدني
في أرضي بين عبادي قال أحمد بن عطاء الروذباري سمعت أبا القاسم عبد الله المزوري
يقول كنت وأبي نتقابل بالليل الحديث فرئي في الموضع الذي كنا نتقابل فيه عمود من نور
بلغ عنان السماء فقيل ما هذا النور فقيل صلاتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم آخر الكتاب والحمد لله الموفق للصواب

الورقة الأخيرة من المخطوط ـ الخزانة العامة ـ الرباط ـ رقم (242ق).

كتاب أنوار الآثار
المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث المقرىء أبو القاسم عبدالرحمن بن حسن بن حمزة قال: إن الشيخ الفقيه الأجل الثقة الأمين، أبو عبدالله محمد بن الشيخ الفقيه الإمام أبي عبدالله محمد بن محارب القيسي بقراءتي عليه في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وستمائة: أن الشيخ الأجل أبو الجود حاتم بن سنان بن بشير بن إبراهيم الحربي الجيلي قراءةً عليه وأنا أسمع في يوم الثلاثاء التاسع من محرم سنة تسعين وخمس مائة بفُسطاط مصر: أنا الشيخ الفقيه الإمام العالم أبو العباس أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل التجيبي الأُقليشي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة سبع وأربعين وخمس مائة، بها قال:

أستخير الله الواحد الملِك القهار، بعد حمده الذي هو من أنفس الأذكار وصلاتِه على نبيِّه الطاهر المختار. في جمع أربعين حديثاً من الآثار المختصة بفضل الصلاة على نبيِّه نُور الأنوار، لِيَلبَسَ المصلي عليه من ضِيَائِهَا أصفى شعار، ويَلهَجَ بها لسانُه في العشي والإبكار، ويخص يوم الجمعة منها بمزيد أذكار.

[الحديث الأول]:

1 ـ فقد خرج أبو داود في كتاب السنن عن أوس بن أوس رضي الله

---

1 ـ رواه أبو داود (1047) (1531) عن هارون بن عبدالله، والنسائي 3/91 ـ 92 عن إسحاق بن منصور، وابن ماجه (1085) (1636) عن أبي بكر بن أبي شيبة ـ ثلاثتهم عن حسين الجعفي ـ ورواه ابن حبان في صحيحه (550)، والحاكم في المستدرك 1/278.

وقد أعله بعض الحفاظ بأن حسيناً الجعفي حدث به عن عبدالرحمن بن يزيد عن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ**»، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ؟ قال: يقولون: بَليت. قال: «**فإن الله تعالى حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء**» صلّى الله عليهم وسلم، فأكثروا من الصلاة على نبيّكم ﷺ في هذا اليوم العظيم وفي غيره، فإن لك في ذلك اختصاصاً ببركته وخيره، وأنت أولى الناس به يوم القيامة وأقربهم منه في دار المقامة.

[الحديث الثاني]:

2 ـ فقد خرَّج البزار في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولاكم بي يوم القيامة أكثركم عليَّ صلاة في الدنيا**» ﷺ.

ومهما صليت على نبيّك فأكثر عليه من الصلاة، فإنها وسيلة لنيل النجاة وذريعة لأنفس الصِّلات، ولك بكل صلاة صليتها عشر صلوات يصليها عليك جبَّار الأرض والسمٰوات، مع حطِّ سيئات ورفع درجات، وصلاة ملائكته الكِرَام عليك في ذلك المقام.

[الحديث الثالث]:

3 ـ فقد خرَّج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه عشراً**» [ﷺ].

[الحديث الرابع]:

4 ـ وخَرَّج البزار في مسنده: عن عمير الأنصاري، وكان بدرياً، قال:

---

2 ـ أخرجه البزار في مسنده (**1789**)، والترمذي (**484**)، وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (3/رقم **911**)، والبغوي **542/3**.

3 ـ صحيح مسلم (**804**)، وأبو داود (**1530**)، والترمذي (**485**)، والنسائي **50/3**، وابن حبان في صحيحه (**893**)، (**894**).

4 ـ أخرجه التيمي في الترغيب (**1646**)، إسناده ضعيف.

قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علـيَّ من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات**» [ﷺ].

[الحديث الخامس]:

5 ـ وخَرَّج ابن صخر في فوائده: عن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يُصلي علـيَّ صلاة، إلا صلَّت عليه الملائكةُ ما صلى علـيَّ فليُقِلَّ عند ذلكَ أو ليُكثِر**» [ﷺ].

[الحديث السادس]:

6 ـ وخَرَّج ابن أبي شيبة في المسند عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صلى علـيَّ صلاةً واحدةً، صلى الله عليه عشر صلوات، وحَطَّ عنه عشر سيِّئات**» [ﷺ].

[الحديث السابع]:

7 ـ وخرَّج النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علـيَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطَّت عنه عشر خطيئات ورُفعت له عشر درجات**» [ﷺ].

---

5 ـ أخرجه أحمد في مسنده 445/3، وابن ماجه (907)، وعبدالرزاق (3110)، والحلية 180/1)، والترغيب (1652) (1662)، والبيهقي في الشعب (1557) (1558)، والضياء في المختارة (217 ـ 218)، وإسناده حسن.

6 ـ ابن أبي شيبة 253/2)، والنسائي 50/3، وفي عمل اليوم والليلة (394)، وأحمد 102/3، وأبو يعلى (3681)، والبغوي (1365)، والبيهقي في الشعب (560/2)، وتمام في الفوائد (1573/4)، وابن السني (380).

7 ـ أعلّه النسائي في الكبير وعمل اليوم والليلة (166)، بأن مخلد بن يزيد رواه عن يونس بن أبي إسحاق عن بُريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس ـ وهذه العلة لا تقدح فيه شيئاً، لأن الحسن لا شك في سماعه من أنس وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضاً ـ ورواه ابن حبان (2390)، والحاكم 551/1.

[الحديث الثامن]:

8 - خرَّج ابن أبي شيبة في المسند: عن أبي بُردة بن نيار، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما صلى عليَّ عبدٌ من أمتي صلاةً صادقاً بها من قِبَل نفسه إلا صلّى الله عليه بها عشر صلوات، وكُتِبَ له بها عشر حسنات، ورُفِع له بها عشر درجات، ومحي عنه بها عشر سيئات**» [ﷺ].

[الحديث التاسع]:

9 - وخرَّج ابن أبي شيبة في المسند: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج يتبرز فلم يجد رجلاً يتبعه ففزع عمر رضي الله عنه فاتَّبَعَه بفخاره ومطهره، فوجده ساجداً في مشربَّة فتنحّى، فجلس وراءه حتى رفع رسول الله ﷺ رأسه، فقال: «**أحسنت يا عمر حيث وجدتني ساجداً فتنحيت عنّي، إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من صلّى عليك واحدة صلّى الله عليه عشراً، ورفعه عشر درجات**» [ﷺ].

[الحديث العاشر]:

10 - وخرَّج عبدالرزاق في مصنفه: عن أنس عن أبي طلحة قال: دخلت على النبي ﷺ يوماً فوجدتُه مسروراً، فقلت: يا رسول الله ما أدري متى رأيتُك أحسنَ بِشْراً أو أطْيَبَ نفساً من اليوم، فقال: «**وما يمنعني وجبريل عليه السلام خرج من عندي الساعة فبشَّرني أن لكل عبد يُصلي عليَّ صلاةً فكتب له بها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات، وتُرفع له عشر درجات، وتُعرَضُ عليَّ كما قالها، ويرد عليه بِمثل ما دعا**» [ﷺ].

---

8 - رواه النسائي (عمل اليوم والليلة **64**)، إسناده ضعيف.

9 - أخرجه القاضي إسماعيل في (فضل الصلاة على النبي ﷺ) (رقم **4**)، وإسناده ضعيف من أجل سلمة بن وردان. والمرفوع من الحديث صحيح لشواهده.

10 - إسناده حسن. أخرجه الإمام أحمد في المسند **29/4**.

[الحديث الحادي عشر]:

11 ـ وخَرَّج ابن أبي شيبة في مسنده: عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: كان لا يُفارق فينا رسول الله ﷺ أربعةٌ أو خمسةٌ من أصحاب النبي ﷺ لما يَنُوبه من حوائجه بالليل والنهار، قال: فجئته وقد خرج فاتبعته فدخل حائطاً من حيطان الأسواق يُصلِّي فسجد فأطال، فبكيتُ وقلت: أرى رسول الله ﷺ قد قبض الله روحه، فرفع رأسه، فدعاني فقال لي: «**ما شأنك؟**»، قال: قلت: يا رسول الله، أطلت السجود، فقلت: قد قبض الله روح رسوله لا أراه أبداً، فقال: «**سجدت شُكراً لربي فيما أولاني في أمتي، مَنْ صلى عليّ صلاة من أمتي كتبت عشر حسنات، ومُحي عنه عشر سيئات**» [ﷺ].

[الحديث الثاني عشر]:

12 ـ وروى الزهري عن أنس، عن أبي طلحة، عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السَّلام قال: «**من صلّى عليك صلاةً ردَّ الله عليه مثل قوله وعرضت عليه يوم القيامة**» [ﷺ]

وإذا صليت على نبيِّك عليه السلام فأضف للصلاة عليه السلامَ، فإن لله ملائكة يبلغونه من أمته، فيرد عليك سلامك الذي سلمت عليه أعلى وأرفع قدراً ويسلم عليك ربك بكل تسليمة سلمت عليه عشراً.

[الحديث الثالث عشر]:

13 ـ فقد خرَّج النسائي عن عبدالله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل ملائكة سيَّاحين يُبلغوني من أمتي السلام**» [ﷺ].

---

11 ـ أخرجه أحمد **191/1**، والحاكم **555/1**، وعبد بن حميد في (المنتخب **157**)، وابن شاهين في الترغيب (رقم **14**)، والبيهقي **371/2**، وأبو يعلى (**847**)، وابن أبي عاصم في (الصلاة على النبي ﷺ: **57**).

12 ـ تقدم تخريجه.

13 ـ النسائي في السنن الكبرى (**114**) (**9204**)، وعمل اليوم والليلة (**66**)، وابن حبان في صحيحه (**914**)، والطبراني (**10528**)، وابن أبي عاصم (**28**)، والهيثم الشاشي في مسنده (**825**)، والبيهقي في الدعوات (**159**)، والبغوي (**687**).

[الحديـث الرابع عشر]:

14 ـ وخرَّج النسائي أيضاً عن أبي طلحة، أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبِشر في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البِشر في وجهك!، قال: **«إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك عز وجل يقول: أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرة، أو لا يُسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرة»** [ﷺ].

[الحديـث الخامس عشر]:

15 ـ وخَرَّجَ ابن أبي شيبة في المسند عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علـيَّ فإن صلاتكم وتسليمكم يبلغني حيثما كنتُم»** [ﷺ].

[الحديـث السادس عشر]:

16 ـ وخرَّجَ العُقيلي عن عبدالرحمن بن عوف، قال النبي ﷺ: **«من صلَّى علـيَّ صلَّى الله عليه، ومن سلَّم علـيَّ يُسلِّم الله عليه»** [ﷺ].

[الحديـث السابع عشر]:

17 ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من أحد يُسَلِّم علـيَّ إلاَّ ردّ الله علـيَّ روحي حتى أرد عليه السلام»** [ﷺ].

ومهما صليت على نبيِّك ﷺ صلاة فسَلِ الله الوسيلة فبذلك تنال غاية الفضيلة، ولا تغفل عقيب الأذان عن هذه من المقام فبذلك تستوجب الشفاعة من نبيِّك عليه السلام.

---

14 ـ تقدم تخريجه من حديث أنس.

15 ـ مصنف ابن أبي شيبة 345/4.

16 ـ إسناده ضعيف. فيه عبدالرحمن بن أبي الحويرث ضعيف. يعتبر به في الشواهد.

17 ـ مصنف ابن أبي شيبة 217/2، إسناده ضعيف فيه سعيد بن زيد. قال النسائي: ليس بالقوي، وتابعه محمد بن فضيل.

[الحديث الثامن عشر]:

18 ـ فقد خرَّجَ ابن أبي شيبة في المسند، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**صَلُّوا عليَّ فإن صلاتَكم عليَّ زكاة لكم، واسألوا الله لي الوسيلة**»، قالوا: وما الوسيلة يا رسول الله؟ قال: «**أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو**» [ﷺ].

[الحديث التاسع عشر]:

19 ـ وخرَّجَ النسائي عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مِثل ما يقول وصلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلَّى الله عليه عشراً، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الوسيلةَ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّت له شفاعتي**» [ﷺ].

ومهما دعوت إلٰهك فابدأ بالتحميد، ثمَّ ثَنِّ بالصلاة على نبيِّك المبجَّل ﷺ، واجعل صلاتك عليه في أول دعائك وأوسطه وآخره وانشر [ثنائه](*) عليه نفائس مفاخره، فبذلك تكون ذا دعاء مُجاب، ويرفع بينك وبين الله الحجاب.

[الحديث العشرون]:

20 ـ فقد خرَّجَ الترمذي في مصنفه عن فضالة بن عبيد قال: بينا

---

18 ـ أحمد 168/2، الترمذي (3614)، والنسائي 25/2، وفي عمل اليوم والليلة (45)، وعبد بن حميد في (المنتخب 345)، وابن خزيمة (418)، وابن حبان (1690)، وابن المنذر في الأوسط (1191)، والطبراني في مسند الشاميين (246)، وابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ (74)، وابن أبي شيبة 226/1، وأبو عوانة 336/1، والطحاوي 143/1، وابن السني (93)، والبيهقي 409/1.

19 ـ الترمذي (3476)، الطحاوي في المشكل 76/3، وابن المنذر في الأوسط (1529)، والحاكم 230/1، والبيهقي 147/2، الطبراني 791/18 ـ 793، وإسناده صحيح.

(*) كلمة غير واضحه في الأصل.

20 ـ أخرجه من طريقه: التيمي في الترغيب (1650)، والديلمي في الفردوس 10/4، وإسناده ضعيف جداً.

رسول الله ﷺ قاعداً إذ دخل عليه رجل فصلّى، فقال: اللّهم اغفر لي وارحمني. فقال رسول الله ﷺ: «**عجلت أيها المصلّي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهلُه وصَلِّ علـيَّ ثم ادعه**». قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**أيها المصلِّي: ادعُ تُجَبْ**» [ﷺ].

[الحديث الحادي والعشرون]:

21 ـ وفيما خرَّج الحسن بن عرفة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي على محمد ﷺ، فإذا صلى على محمد ﷺ تَخرق الحِجَاب واستُجيب، وإذا لم يُصل على النبي ﷺ رجَع الدعاء**» [ﷺ].

[الحديث الثاني والعشرون]:

22 ـ وخرّج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلى على نبيّك ﷺ» [ﷺ].

[الحديث الثالث والعشرون]:

23 ـ وخرَّج عبدالرزاق في مصنفه عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوني كقدح الراكب، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق على معالقه وملأ قدحاً ماء فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو أن يشرب شرب وإلا أهرقه فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره**» [ﷺ].

---

21 ـ رواه الترمذي (**486**) موقوفاً. قال ابن كثير في (مسند الفاروق) **176/1**، وهذا إسناد جيّد. وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر قوله. ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة الأسدي عن سعيد عن عمر مرفوعاً والأول أصح. وعزاه السخاوي في (القول البديع): **223** لابن راهويه، وابن بشكوال، والواحدي. وحكمه حكم المرفوع. قال ابن العربي في (العارضة **273/2**): (مثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفاً، لأنه لا يدرك بنظر).

22 ـ مصنف عبدالرزاق (**3117**) وإسناده ضعيف. وأخرجه البزار (**3156**) زوائده.

23 ـ أخرجه ابن أبي شيبة (**8706**) (**31783**).

وإن جعلت الصلاة على نبيك معظم عبادتك فقد كفاك الله هَمَّ دنياك وآخرتك.

[الحديث الرابع والعشرون]:

24 ـ فقد خرَّج ابن أبي شيبة في المسند، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها صلاة عليك، قال: «**إذاً يكفيك الله ما هَمَّك من أمر دنياك وآخرتك**» [ﷺ].

[الحديث الخامس والعشرون]:

25 ـ وخرّج الترمذي عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**». قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**» قال: قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير**» قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير**» قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير**» قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذاً تُكفى همّك ويُغفر ذنبك**» [ﷺ].

وإذا صليت على نبيك ﷺ فاسأل الله له المقعد المقرب، فبذلك تنال شفاعته وتستوجب.

[الحديث السادس والعشرون]:

26 ـ فقد خرّج البزار في مسنده عن رُويفع بن ثابت قال: قال

---

24 ـ أخرجه الترمذي (**2457**)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الطبراني (**3574**)، والبيهقي في (الشعب) (**1748**)، وإسناده حسن في الشواهد. وانظر: (المجمع) **118/10**، والقول البديع (**119**).

25 ـ أخرجه البزار (**3157**)، والطبراني في الكبير (**4480**)، وابن أبي عاصم في السنة (**827**)، و (الصلاة على النبي ﷺ: **78**)، بإسناد ضعيف. فيه ابن لهيعة، فيه كلام كثير.

26 ـ رمز له السيوطي في الجامع الصغير **94/1**، بالضعف. وكذا المناوي في (الفيض) **283/2**، والسخاوي في (القول البديع): **113**، وقال: في سند الجميع نُعيم بن ضمضم وفيه خلاف عن عمران بن الحميري.

رسول الله ﷺ: «**من صلَّى على محمد ﷺ فقال: اللَّهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي**» [ﷺ].

ولتكن الصلاة على نبيك ﷺ ذا إحسان، ولتصل عليه بالجنان واللسان فإن صلاتك تبلغه وهو في ضريحه، واسمك معروض على روحه ﷺ.

[الحديث السابع والعشرون]:

27 ـ فقد خرّج البزار في مسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني اسمه واسم أبيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك**» [ﷺ].

[الحديث الثامن والعشرون]:

28 ـ وخرّج عبدالرزاق في مصنفه عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تُعرضون عليَّ بأسمائكم وسيماكم فأحسنوا الصلاة عليّ**» [ﷺ].

ولتسلم على نبيك عليه السلام مهما دخلت المسجد وخرجت منه فإنه في هذا المقام من الكلام.

[الحديث التاسع والعشرون]:

29 ـ فقد خرّج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

27 ـ مصنف عبدالرزاق (3120).

28 ـ النسائي في (عمل اليوم والليلة): 90، وابن ماجه (730)، وعبدالرزاق (1671)، والطبراني في الدعاء (427)، وابن السني (86)، والحاكم 207/1، والبيهقي 442/2، وإسناده ظاهر الصحة ولكن له علة خفية. ذكرها ابن حجر (نتائج الأفكار) 280/1.

29 ـ مصنف ابن أبي شيبة 217/2، إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللّهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللّهم اعصمني من الشيطان الرجيم**».

فلتكن مثابراً على الصلاة على نبيك ﷺ فبذلك تُطهّر من غيّك، ويتزكى ظاهرك، ويُسر قلبك وينوّر، وتنال مرضاة ربك، وتأمن الأهوال يوم المخاوف والأوجال. [ﷺ].

[الحديث الثلاثون]:

30 ـ فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صلاتكم عليّ محرزة لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لأبدانكم**» [ﷺ].

[الحديث الحادي والثلاثون]:

31 ـ وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليّ صلاة في دار الدنيا**» [ﷺ].

وكما تصلي على نبيك عليه السلام بلسانك، فكذلك تخط الصلاة عليه ببنانك مهما كتبت اسمه المبارك في كتاب، فإن لك بذلك أعظم الثواب.

[الحديث الثاني والثلاثون]:

32 ـ روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كتب عني علماً وكتب معه صلاة عليّ لم يزل في أجر ما قرىء ذلك الكتاب**» [ﷺ].

---

30 ـ قال الحافظ السخاوي: ذكره الديلمي تَبَعاً لأبيه بلا إسناد، وكذا الأقليشي. (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) ص**270**.

31 ـ أخرجه أبو القاسم التيمي في (الترغيب)، وابن عساكر، وأبو اليمن من طريقه، والخطيب ومن طريقه ابن بشكوال، والديلمي في (مسند الفردوس) من طريق ابن لال، قال السخاوي (ومسنده ضعيف جداً) انظر: (القول البديع) ص**259**.

32 ـ أخرجه الدارقطني، وابن بشكوال من طريقه، وابن عدي وابن الجوزي.

[الحديث الثالث والثلاثون]:

33 - وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»**.

ولذلك قال سفيان الثوري رحمه الله: لو لم تكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنه يصلى عليه ما دام في ذلك.

وقال محمد بن أبي سليمان: رأيت أبي في النوم، فقلت: يا أبة، ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بِمَ؟ قال: بكتابتي الصلاة على النبي ﷺ.

وقال عبيدالله الفزاري: كان لنا جار ورّاق فمات، فرئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: بماذا؟ قال: كنت إذا كتبت ذكر رسول الله ﷺ في الحديث، كتبت ﷺ.

وقال سفيان بن عيينة بن خلف صاحب الخلقان قال: كان لي صديق يطلب معي الحديث فمات، فرأيته في منامي وعليه ثياب خضر يجول فيها. فقلت: أليس كنت تطلب معي الحديث، فما هذا الذي أرى، قال: كنت أكتب معكم الحديث فلا يمر حديث فيه ذكر محمد ﷺ إلا كتبت في أسفله ﷺ فكافأني ربي، هذا الذي ترى عليَّ ﷺ.

وقال عبدالله بن عبدالحكم: رأيت الشافعي رحمه الله في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني ربي وغفر لي وزفَّ بي إلى الجنة كما تزف بالعروس، ونشر عليّ كما ينشر على العروس، قلت: بِمَ بلغت هذا الحال؟ فقال لي قائل: يقول لك: بما في كتاب الرسالة من الصلاة على محمد ﷺ. قلت: وكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنه الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت [ﷺ].

فلا تكونن عن الصلاة على نبيك ﷺ غافلاً فيكون نور الخير عنك

---

33 - أخرجه التيمي في (الترغيب) (رقم **1672**) وإسناده ضعيف جداً، من أجل كادح ونهشل، وبه أعله ابن كثير في (التفسير **524/3**)، ونقل عن الذهبي قوله: (أحسبه موضوعاً).

آفلاً، وتكون من أبخل البخلاء، والمتخلقين بأخلاق أهل الجفا والمنقلبين بقلوب غير مطمئنة والمنكبين عن طريق الجنة».

[الحديث الرابع والثلاثون]:

34 ـ فقد خرَّج النسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل عليَّ»** [ﷺ].

[الحديث الخامس والثلاثون]:

35 ـ وخرّج أيضاً عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: **«ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا من غير صلاة على النبي ﷺ إلا تفرقوا عن أنتن من الجيفة»** [ﷺ].

[الحديث السادس والثلاثون]:

36 ـ وخرَّج عبدالرزاق في مصنفه عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من الجفا أن أذكر عند الرجل فلا يصلي عليَّ»** [ﷺ].

[الحديث السابع والثلاثون]:

37 ـ وخرَّج أيضاً عن محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نسي الصلاة عليَّ فقد خطىء طريق الجنة»** [ﷺ].

---

34 ـ رواه الترمذي (**3546**) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) **56**، والحاكم في (المستدرك) **549/1**.

35 ـ رواه النسائي في (عمل اليوم والليلة) (**411**)، والبيهقي في (الشعب) **214/2**، والضياء في (المختارة).

36 ـ أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (**2**/رقم: **3121**)، وعند الطبراني عن حسين بن علي مرفوعاً، انظر: (مجمع الزوائد) **164/10**.

37 ـ رواه الطبراني في (المعجم **3**/رقم: **2887**)، وانظر: مجمع الزوائد **164/10**، وجلاء الأفهام: **165**.

[الحديـث الثامن والثلاثون]:

38 ـ وخرَّج ابن أبي شيبة في المسند، عن أنس قال: ارتقى رسول الله ﷺ على المنبر فرَقي درجة فقال: آمين، ثم ارتقى درجة، فقال: آمين، ثم ارتقى الثالثة، فقال: آمين، ثم استوى فجلس فقال أصحابه: أيْ نبي الله، على ما أمّنت؟ فقال: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: رغم أنف امرىء أدرك أبويه أو أحدهما لم يدخل الجنة**»، قال: «**قلت: آمين. ورغم أنف امرىء أدرك رمضان لم يغفر له**»، قال: «**قلت: آمين، ورغم أنف امرىء ذكرتَ عنده فلم يُصل عليك**»، قال: «**قلت: آمين**» [ﷺ].

ولتكن صلاتك على النبي ﷺ كما أمرك بالصلاة عليه فبذلك تعظم حظوتك لديه.

[الحديـث التاسع والثلاثون]:

39 ـ فقد خرّج مالك في موطئه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، وكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال: «**قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم**» [ﷺ].

---

38 ـ أخرجه تمام في فوائده (**990**)، وأبو الليث السمرقندي في (تنبيه الغافلين) **443/2** .قال السخاوي بعد عزوه لتمام: (سنده ضعيف)، (القول البديع) **208**.

39 ـ صحيح مسلم (**504**)، والموطأ (**457**)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) **59**، وسنن ابن ماجة (**905**)، والطبراني في الأوسط (**1673**).

[الحديث الأربعون]:

40 - وخرّج مالك أيضاً في الموطأ عن أبي حميد الساعدي، أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**» [ﷺ].

[الحديث الحادي والأربعون]:

41 - وخرَّج العقيلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد شهد لي يوم القيامة بشهادة وشفعت بشفاعته**» [ﷺ].

[الحديث الثاني والأربعون]:

42 - وخرّج النسائي عن زيد بن خارجة قال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «**صلوا عليَ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد**» [ﷺ].

كما كرمته برسالته، وبجلته تكريماً، وعلمته ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً.

وهذه أربعون حديثاً من أحاديث النبي عليه السلام تتضمن ما في الصلاة عليه من الفضائل الجسام، جمعتها في هذا الكتاب، رجاءً من الله حُسن المآب، ببركة الصلاة مني وممن سمعه من أهل الإسلام، ولقوله فيما

---

40 - رواه البخاري (3369)، ومسلم (979)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) 59.

41 - الضعفاء الكبير (251)، (الكامل في الضعفاء) 221/1، (ميزان الاعتدال) 58/1.

42 - أخرجه ابن عدي في (الكامل) والنُّمَيري من طريقه، والسخاوي في: (القول البديع) ص100.

روي عنه عليه السلام من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينفعهم الله بها قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت.

وأي علم أرفع، وأي وسيلة أشفع وأي عمل أنفع من الصلاة على من صلى الله عليه وجميع ملائكته، وخصّه بالقربة العظيمة منه في دنياه وآخرته. فالصلاة عليه أعظم نور وهي التجارة التي لا تبور، وهي كانت هجيرا الأولياء في الإمساء والبكور. وقد حدث أبو محمد عبدالغني بن سعيد الأزدي قال: سمعت إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحاسب يخبر عن محمد بن عمر أنه قال: كنت عند أبي بكر محمد بن موسى بن مجاهد فجاء الشبلي، فقام إليه أبو بكر بن مجاهد فعانقه وقبّل بين عينيه، فقلت له: سيّدي يفعل هذا بالشبلي وأنت وجميع من ببغداد يقولون إنه مجنون، فقال لي: فعلت كما رأيت رسول الله ﷺ فعل به، وذلك أني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أقبل الشبلي، فقام إليه فقبل بين عينيه، فقلت: يا رسول الله أتفعل هذا بالشبلي؟ قال: نعم، هذا يقرأ بعد صلاته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ الآية، ويتبعه بالصلاة على النبي ﷺ.

وقال أبو الحسن الشقراني: رأيت منصور بن عمار في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال لي: أنت منصور بن عمار؟ قلت بلى يا رب، قال: أنت الذي تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قال: فقلت: قد كان ذلك ولكنني ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيّك ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك، قال: صدق، ضعوا له كرسياً في سمائي، فيمجدني في سمائي بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي.

قال أحمد بن عطاء الروذباري: سمعت أبا القاسم عبدالله المرّوزي يقول: كنتُ وأبي نقابل بالليل الحديث فرئي في الموضع الذي كنا نتقابل فيه عمود من نور بلغ عنان السماء، فقيل: ما هذا النور؟ فقيل: صلاتهما على رسول الله ﷺ وشرف وكرم.

آخر الكتاب، والحمد لله الموفق للصواب.

فهارس الباقيات الصالحات[1]

1 ـ فهرس الآيات.

2 ـ فهرس الأحاديث.

3 ـ فهرس الأعلام.

4 ـ فهرس الأماكن.

(1) هذه الفهارس من إعداد والدي الأستاذ أحمد بن عزوز ـ جزاه الله خيراً ـ.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
- م -			
﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	28	لقمان	171
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾	96	النحل	44
﴿ما يفعل الله بكم إن شكرتم وآمنتم﴾	147	النساء	122
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	46	الكهف	41 ـ 45
﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾	12	النساء	103
﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	11	الحديد	80
- هـ -			
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾	60	الرحمٰن	113
- و -			
﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	10	يونس	121
﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾	124	التوبة	83
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾	17	محمد	83
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾	68	الفرقان	93 ـ 96
﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	67	الزمر	171
﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾	26	الفتح	113
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾	96	الصافات	178
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾	163	البقرة	111
﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾	7	الزمر	122
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾	71	مريم	105
﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	34	إبراهيم	122
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	14	النمل	168
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾	39	ق	149
﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	145	آل عمران	122
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	63	الفرقان	167

- ي -

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

- أ -

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

- م -

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهارس[1]
كتاب أنوار الآثار

1 ـ فهرس الآيات.

2 ـ فهرس الأحاديث.

3 ـ فهرس الأعلام.

4 ـ فهرس الأماكن.

(1) هذه الفهارس من إعداد والدي الأستاذ أحمد بن عزوز ـ جزاه الله خيراً ـ.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام
لمقدمة تحقيق كتاب أنوار الآثار

ـ أ ـ

- ن -

- هـ -

- ي -

فهرس الأماكن
لمقدمة التحقيق كتاب أنوار الآثار

فهرس المصادر والمراجع

1 ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب**: تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، 1973م.

2 ـ **أخبار وتراجم أندلسية**: تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963م.

3 ـ **أزهار الرياض للمقري**: تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ومحمد بن تاويت، المغرب، 1980م.

4 ـ **الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما**: ليوسف النبهاني، بعناية بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم، والجفان والجابي، بيروت، ط1.، 1415هـ.

5 ـ **الأسماء والصفات للبيهقي**: تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي بجدة، ط1.، 1413هـ.

6 ـ **الإصابة**: لابن حجر، مصورة دار صادر، لطبعة مطبعة السعادة بمصر.

7 ـ **الأعلام**: للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط8.، 1989م.

8 ـ **الإعلام بفضل الصلاة على النبي ﷺ**: للنميري.

9 ـ **إكمال المعلم بفوائد مسلم**: للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة الرشد بالرياض، ط1.، 1419هـ.

10 ـ **أمالي الأذكار = نتائج الأفكار**.

11 ـ **إنباه الرواة للقفطي**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م.

12 ـ **الأنساب للسمعاني**: اعتنى بنشره مرغوليوث، لندن، 1912م.

13 - **الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع**: دار المنصور للطباعة، الرباط، **1973**م.

14 - **البحر الزخار (مسند البزار)**: تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن، طبعة دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط**1**.، **1410**هـ.

15 - **البداية والنهاية**: لابن كثير، تصحيح أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1**.، **1405**هـ.

16 - **برنامج شيوخ الرعيني**: تحقيق: إبراهيم شبوح، دمشق، **1962**م.

17 - **بغية الملتمس للضبي**: نشره كوديرة وزيدين، مدريد، **1885**م.

18 - **بغية الوعاة للسيوطي**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، **1964**م.

19 - **البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزأبادي**: تحقيق: محمد المصري، دمشق، **1972**م.

20 - **تخريج الإحياء**: للعراقي، المطبوع مع الإحياء، دار الريان، القاهرة.

21 - **تذكرة الحفاظ للذهبي**: مصورة دار الكتب العلمية، لطبعة حيدرآباد الدكن.

22 - **الترغيب والترهيب للتيمي**: طبعة أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة، ط**1**.، **1414**هـ.

23 - **الترغيب والترهيب**: للمنذري، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وسمير أحمد العطار، ويوسف علي بديوي، ط**2**.، دار ابن كثير، **1417**هـ.

24 - **تفسير ابن كثير**: تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط**1**.، **1419**هـ.

25 - **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.**

26 - **تفسير الكشاف للزمخشري**: مصورة دار المعرفة، بيروت.

27 - **التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار**: اعتنى بنشره كوديرة، مدريد **1884**م، وطبعة السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، **1955**م.

28 - **تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني**: تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، **1957**م.

29 - **التكملة لوفيات النقلة**: للمنذري، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط**3**.، **1405**هـ.

30 - **التلخيص الحبير**: لابن حجر، مصورة طبعة عبدالله هاشم يماني، المدينة المنورة، **1384**هـ.

31 ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر**: ط. وزارة الأوقاف بالمغرب.

32 ـ **تهذيب التهذيب**: لابن حجر، دار الفكر، **1404**هـ.

33 ـ **تهذيب الكمال**: للمزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط3. ، **1413**هـ.

34 ـ **جامع الترمذي**: تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي بيروت، **1996**م.

35 ـ **الجامع الصحيح للإمام البخاري مع فتح الباري**: ط. دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء دمشق، **1418**هـ.

36 ـ **جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي**: دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط **1973**م.

37 ـ **جذوة المقتبس للحميدي**: تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، **1952**م.

38 ـ **جلاء الأفهام**: لابن القيم، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط2. ، **1419**هـ.

39 ـ **حلية الأولياء**: لأبي نعيم الأصفهاني، مصورة دار الريان، القاهرة، ط5. ، **1407**هـ.

40 ـ **الدعاء**: للطبراني، تحقيق: الدكتور محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1. ، **1407**هـ.

41 ـ **دكانة الكتب**: للدكتور محمد خير رمضان يوسف، ط. دار ابن حزم، **1419**هـ.

42 ـ **دلائل النبوة**: لأبي نعيم، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعجي، وعبدالبر عباس، مصورة دار النفائس، بيروت، ط2. ، **1406**هـ.

43 ـ **الديباج المذهب لابن فرحون**: القاهرة، **1351**هـ.

44 ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام**: تحقيق: الدكتور إحسان عباس الدار العربية للكتاب **1975**م.

45 ـ **الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي**: تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت.

46 ـ **رسائل ابن حزم الأندلسي**: تحقيق: الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت **1981**م.

47 - **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني**: ط. دار البشائر الإسلامية.
48 - **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: للألباني، المكتب الإسلامي، ط4./1405هـ.
49 - **سلسلة الأحاديث الضعيفة**: للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.، 1412هـ.
50 - **سنن ابن ماجة**: طبعة محمد فؤاد عبدالباقي، مصورة دار الحديث، القاهرة.
51 - **سنن أبي داود**: تحقيق: محمد عوامة، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط1.، 1419هـ.
52 - **سنن الدارقطني**: مصورة، طبعة عبدالله هاشم يماني، المدينة المنورة 1386هـ.
53 - **سنن الدارمي**: تعليق: خالد السبع، وفؤاد زمرلي، دار الريان، القاهرة، ط1.، 1407هـ.
54 - **السنن الصغرى للنسائي**: اعتناء وفهرسة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب، ط2.، 1409هـ.
55 - **السنن الكبرى للنسائي**: طبعة سيد كسروي حسن، وعبدالقادر البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.، 1411هـ.
56 - **سير أعلام النبلاء**: للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، طبعة مؤسسة الرسالة، ط7./1410هـ.
57 - **شجرة النور الزكية** لمحمد مخلوف: المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
58 - **شرح الزرقاني على المواهب**: مصورة، طبعة المكتبة الأزهرية، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ.
59 - **شعب الإيمان**: للبيهقي، ط. بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1./1410هـ.
60 - **الصحاح**: للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط1./1376هـ.
61 - **صحيح ابن حبان**: تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1./1412هـ.
62 - **صحيح ابن خزيمة**: تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2./1412هـ.
63 - **صحيح مسلم**: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.

64 ـ **الصلة لابن بشكوال**: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، **1966**م.
65 ـ **صلة الصلة لابن الزبير**: نشره ليفي بروفنسال، الرباط، **1937**م.
66 ـ **الصلات والبُشر في الصلاة على خير البشر**: للفيروزأبادي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار التربية للتأليف والنشر، دمشق، **1385**هـ.
67 ـ **الضعفاء الكبير**: للعقيلي، طبعة عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1./**1404**هـ.
68 ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: للسخاوي، مصورة طبعة حسام الدين القدسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
69 ـ **العقد الثمين**: للفاسي، تحقيق: الدكتور فؤاد سيد وآخرين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، **1385**هـ.
70 ـ **عمل اليوم والليلة**: لابن السني، تخريج: الدكتور عبدالرحمٰن كوثر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
71 ـ **فهرس ابن عطية**: تحقيق: محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت **1980**م.
72 ـ **فهرست ابن النديم**: تحقيق: رضا تجدد، طهران، **1971**م.
73 ـ **فهرسة ابن خير**: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت **1979**م.
74 ـ **قلائد العقيان للفتح ابن خاقان**: بولاق **1283**هـ.
75 ـ **فضل الصلاة على النبي ﷺ**: لإسماعيل القاضي، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، ط1./**1383**هـ.
76 ـ **فيض القدير**: للمناوي، مصورة دار المعرفة لطبعة مصطفى محمد، **1391**هـ.
77 ـ **القاموس المحيط**: للفيروزأبادي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط2./**1407**هـ.
78 ـ **القبس في شرح الموطأ**: تحقيق: الدكتور محمد عبدالله ولد كريم، ط. دار الغرب الإسلامي، **1992**م.
79 ـ **الكامل في الضعفاء**: لابن عدي، طبعة دار الفكر، بيروت **1405**هـ.
80 ـ **كشف الظنون**: لحاجي خليفة، مصورة دار الفكر، **1402**هـ.
81 ـ **لسان العرب**: لابن منظور، مصورة دار صادر.
82 ـ **مجمع الزوائد**: للهيثمي، طبعة حسام الدين القدسي، ط1./**1352**هـ.
83 ـ **المستدرك على الصحيحين للحاكم، ومعه تلخيص المستدرك للذهبي**: مصورة دار الكتاب العربي لطبعة حيدرآباد الدكن.

84 ـ **مسند أبي يعلى**: تحقيق: حسين أسد، طبعة دار المأمون، دمشق، ط1./1404هـ.
85 ـ **مسند عبد بن حميد**: طبعة صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، ط1./1408هـ.
86 ـ **المصنف لابن أبي شيبة**: مصورة إدارة علوم القرآن والسنة بباكستان.
87 ـ **المصنف لعبدالرزاق**: تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، مصورة المكتب الإسلامي، ط2./1403هـ.
88 ـ **المعجم الأوسط، للطبراني**: تحقيق: الدكتور محمود الطحان، طبعة دار المعارف، الرياض، ط1./1405هـ.
89 ـ **معجم السفر لأبي طاهر السلفي**: تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، 1414هـ.
90 ـ **المعجم الكبير للطبراني**: نشر: حمدي عبدالمجيد، ط2./1404هـ.
91 ـ **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبار**: باعتناء كوديرة، مدريد 1885م.
92 ـ **نفح الطيب للمقري**: تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م.
93 ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير**: تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1963م.
94 ـ **الوافي بالوفيات للصفدي**: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار النشر، فرانز شتاينر، فيسبادن، 1948م.

الموضوع	الصفحة